

The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Arts

Ph.D. of Arabic Language



الجامعة الإسلامية بغزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كلية الآداب

دكتوراه اللغة العربية

التركيب النحويّ من الوجهة البلاغية في الأحاديث النبويّة
(دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)

**The Grammatical Structures in the Hadiths of
the Prophet from a Rhetorical Point of View:
An Applied Study on the Hadiths of *The
Literature Book in the Six Books***

إعدادُ الباحثِ

حمادة خالد محمد علوان

إشرافُ

الأستاذ الدكتور /

محمد شعبان علوان

قُدِّمَ هَذَا البَحْثُ إِسْتِكْمَالاً لِمُتَطَلِّبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدِّكْتَوْرَاهِ
فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

رمضان / 1441هـ - مايو / 2020م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التركيب النحوي من الوجهة البلاغية في الأحاديث النبوية
(دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)

The Grammatical Structures in the Hadiths of the Prophet from a Rhetorical Point of View: An Applied Study on the Hadiths of *The Literature Book in the Six Books*

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	حمادة خالد محمد علوان	اسم الطالب:
Signature:	حمادة خالد محمد علوان	التوقيع:
Date:	2020/09/29	التاريخ:



هاتف داخلي: 1150

الجامعة الإسلامية بغزة

The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2020/09/29م Date

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ حمادة خالد محمد علوان لنيل درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ برنامج اللغة العربية وموضوعها:

التركيب النحوية من الوجهة البلاغية في الأحاديث النبوية دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة

Grammatical structures from the rhetorical point of view in the hadiths of the Prophet (Applied study in the book of literature in the six books)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 11 صفر 1442 هـ الموافق 2020/09/29م الساعة الحادية عشرة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية الآداب اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمد شعبان علوان	مشرفاً ورئيساً	
أ.د. نعمان شعبان علوان	مناقشاً داخلياً	
أ.د. يوسف شحدة الكحلوت	مناقشاً داخلياً	
أ.د. عبد الفتاح أحمد أبو زائدة	مناقشاً خارجياً	

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية الآداب/برنامج اللغة العربية. واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. بسام هاشم السقا

ملخص الدراسة

هذه الدراسة هي دراسة للتركييب النحوية من الوجهة البلاغية في الأحاديث النبوية، وقد تم التركيز على كتاب الأدب لوجود بلاغة جمالية راقية وكثيرة وقد تعدد الأساليب اللغوية والبلاغية فيها، وتم الحديث عن القيم البلاغية والأسرار البلاغية للعلوم البلاغية الثلاثة بالإضافة إلى البلاغة الكامنة وراء التركيب اللغوية والمشتقات التصريفية.

هدف الدراسة: تزويد المكتبات العربية برسائل تُعنى بالبلاغة النبوية، والتركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة النبوية، إضافة إلى ترسيخ جذور قوّة البلاغة النبوية في الدراسات العربية.

عينة الدراسة: تناول الباحث موضوع الأحاديث النبوية، (دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)

منهج الدراسة: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث تناول موضوع البحث دراسة فروع البلاغة الثلاثة بالإضافة إلى أسرار البلاغة في الأساليب النحوية والمشتقات التصريفية.

نتائج الدراسة:

- مثلت هذه الدراسة موضوع التركييب النحوية من الوجهة البلاغية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة، وتم استنباط القيم الجمالية والدلالية فيها، كما أظهرت اللّمسات البلاغية والبديعية الجميلة فيها.
- التوصل إلى أبرز القيم الجمالية والدلالية، والمجالات التي تخلفها هذه الفنون. وكذلك أظهر البحث قيمته من خلال استعمال تقسيمات تفصيلية إلى حد ما والإكثار من الشواهد عليها.
- تبين أن أحاديث الأدب النبوية قد امتلأت جوانبها بالألفاظ التي تنم عن سهولتها وسلاستها ودقة اختيارها.

ثانيًا - التوصيات:

- توصي هذه الدراسة بتعميق البحث البلاغي والتركيز على الألوان البلاغية في الحديث النبوي واستخراج القيم الدلالية والجمالية.
- أنصح طلبة العلم والبلاغة أن يهتموا بدراسات الحديث النبوي من الزاويتين النحوية والبلاغية.

Abstract

This study is a study of grammatical structures from a rhetorical point of view in the hadiths of the Prophet. The focus of this study is on the *Literature Book* because of the presence of elegant and many aesthetic rhetorical aspects, and the multiple linguistic and rhetorical methods in it. The study discusses the rhetorical values and secrets of the three rhetorical sciences in addition to the rhetorical features underlying linguistic composition and the morphological derivatives.

The objective of the study: this study aims at enriching Arab libraries with studies relevant to Quranic rhetoric, with a certain focus on studies related to prophetic rhetoric. This is in addition to establishing strong roots for prophetic rhetoric in Arabic studies.

Study Sample: The researcher addressed the topic of prophetic hadiths (an applied study in the hadiths of *the Literature Book in the Six Books*)

Research Methodology: The researcher used the descriptive and analytical method, where the subject of the research examines the three branches of rhetoric in addition to the secrets of rhetoric in grammatical methods and morphological derivatives.

The most important findings of the study:

- This study of grammatical structures in the hadiths of the Prophet's literature showed the rhetorical and creative touches in the prophetic traditions.
- The researcher was interested in trying to explore the three rhetorical types that indicate rhetorical and creative beauty in the noble hadiths, which are known to be characterized by rhetoric, clever expression, the art of persuasion, enjoyment, and suspense.
- The researcher focused on showing at the most prominent aesthetic and semantic values, and the areas create by these arts. The research also reflected its significance through the use of detailed divisions and a lot of evidences on such divisions.
- The hadiths of the Prophet's literature were filled with expressions that indicate their ease, smoothness and accurate selection.

The most important recommendations of the study:

- This study recommends deepening rhetorical research, focusing on rhetorical types in the Prophetic hadiths, and extracting its semantic and aesthetic values.
- I recommend scholars and rhetoric researchers to pay attention to studies of the hadith from grammatical and rhetorical perspectives.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

[الأحزاب: 45]

الإهداء

ابتغيت من هذا العمل مرضاته ﷺ

إلى المعظمين لله ﷻ إيماناً

إلى سيدي - ﷺ - نبياً

إلى الإسلام ديناً

إلى القرآن دستوراً

إلى العربية لغةً

إلى والديّ فخراً

الذين كانا السند دوماً

فرضي الله عنهما

إلى أم وليد مودةً

إلى أبنائي محبةً

وليد ويامن ورهف

إلى أهلي وربعي وُدّاً

إلى مشرفي توقيراً

إلى جامعتي كنزاً

إلى غزتي عزّاً

إلى الأحباب مسكناً

إلى أساتذتي مكسباً

إلى العلم ذخراً

إلى المسلمين للعودة إلى كتابه ﷻ وسنة نبيه ﷺ عليه وسلم

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى - سبحانه وتعالى - أن يتقبله مني

خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون صواباً على المنهاج القويم، والصراط

المستقيم، لأن ينفع به كاتبه ومن حوله، وأن ينفع به أجيالاً وأجيالاً.

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19]

أرى لزماً عليّ أن أتقدم بجزيل الشكر لعلم جليل أرشدني أثناء إعداد هذه الرسالة إرشاداً كريماً خالصاً لوجه الله -تعالى- . كما أشكره لما تفضل به عليّ من تذليل لصعوبات البحث، وهو أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني، الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان، فلا بد في هذا المقام من وقفة إجلال وشرف له فهو الذي ساعدني بكل ما أوتي من علم غزير، وعقل ناضج وحلم واسع، في إكمال هذا العمل البسيط، وقد عرفت عنه زهد الثناء، وأن كل ما يقدمه للدارسين والباحثين من عون وعلم، يحتسبه عند الله -تعالى- فأحببت رضاه بأن أسكت عما يجب عليّ، داعياً المولى -عز وجل- أن يجزيه خير الجزاء والثواب.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى أعضاء لجنة المناقشة كل من:

الأستاذ الدكتور / نعمان شعبان علوان حفظه الله مناقشا داخليا

الأستاذ الدكتور / يوسف شحدة الكحلوت حفظه الله مناقشا داخليا

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح أحمد أبو زائدة حفظه الله مناقشا خارجيا

لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة، وتحمل عناء قراءتها وتدبرها وإثرائها وتعديلها من أجل تقويم ما لم أستدركه في كتابتي وتعزيز ما استقام، فأسأل المولى -عز وجل- أن ينفعني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة.

كما أشكر بعد شكري لله -تعالى- الجامعة الإسلامية الغراء، وعلى رأسها كلية الآداب، وفي مقدمتها قسم اللغة العربية.

وقبل أن ألقى القلم لا أنسى في هذا المقام الشكر الجزيل إلى زوجتي (أم وليد) التي أبت إلا أن تصبر وتسهر وتحت وتُرشد، كما أشكر كل من أمدني بالعون والمساعدة، لا سيما زملائي المعلمين وغيرهم ممن وضعوا بصمات الحث والإرشاد

الباحث/ حمادة علوان

قائمة المحتويات

إقرار.....	أ
نتيجة الحكم.....	ب
ملخص الدراسة.....	ت
ABSTRACT.....	ث
اقتباس.....	ج
الإهداء.....	ح
شكر وتقدير.....	خ
قائمة المحتويات.....	د
المقدمة.....	1
أسباب اختيار الموضوع:.....	1
أهداف الموضوع:.....	2
الجهود والدراسات السابقة:.....	2
منهج البحث :.....	3
آلية الدراسة:.....	4
خطة البحث :.....	4
التمهيد: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية.....	5
أولاً: نقاط الالتقاء بين علمي النحو والبلاغة.....	6
ثانياً: تقديم حول الكتب الستة وأصحابها.....	7
ثالثاً: البلاغة النبوية.....	11

13	الفصل الأول: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم المعاني
14	المبحث الأول التراكيب النحوية للخبر ودلالاتها البلاغية
14	أولاً: الخبر وأغراضه البلاغية
14	ثانياً: الأغراض البلاغية مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها
25	المبحث الثاني: التراكيب النحوية للأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية
25	الإنشاء لغةً
25	الأساليب الإنشائية الطلبية
25	أولاً: الأمر وأغراضه البلاغية
35	ثانياً: الاستفهام
36	ثالثاً: الأغراض البلاغية للاستفهام مع بيان القيم فيها
47	رابعاً: النهي وأغراضه البلاغية
54	خامساً: النداء وأغراضه البلاغية
62	التراكيب النحوية للأساليب الإنشائية غير الطلبية ودلالاتها البلاغية
62	المطلب الأول: أسلوب الترجي
62	أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
62	ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها
62	ثالثاً- الخلاصة:
63	المطلب الثاني: أسلوب القسم
63	أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
64	ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها
65	ثالثاً- الخلاصة:
66	المبحث الثالث: التراكيب النحوية للإيجاز والإطناب ودلالاتها البلاغية
66	أولاً: مفهوم الإيجاز:

66	ثانياً: الإيجاز بالحذف وأسراره البلاغية.....
67	ثالثاً- نوعا الإيجاز:.....
84	ثانياً: الإطناب وأسراره البلاغية.....
84	التعريف لُغةً واصطلاحاً:-
84	صور الإطناب مع بيان القيم الجماليّة فيها:.....
89	المبحث الرابع: التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغية للفصل الوصل والقصر ودلالاتها البلاغية.....
89	أولاً: الفصل وأسراره البلاغية:.....
93	ثانياً: الوصل وأسراره البلاغية.....
97	ثالثاً: القصر وأسراره البلاغية.....
114	المبحث الخامس: التراكيب النحوية للتقديم والتأخير ودلالاتها البلاغية.
114	أولاً: التقديم والتأخير وأسرارهما البلاغية.....
115	ثانياً: الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير مع بيان القيم الجماليّة فيها:
124	الفصل الثاني: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم البيان.
126	المبحث الأول: التراكيب النحوية للتشبيه ودلالاتها البلاغية.....
127	المطلب الأول: التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب، ويتضمن المحاور التالية.
131	المطلب الثاني: التشبيه باعتبار النوع، ويتضمن المحاور التالية.
134	المطلب الثالث: التشبيه باعتبار الأداة، ويتضمن المحاور التالية.....
135	المطلب الرابع: التشبيه باعتبار ذكر وجه الشبه وحذفه.
136	المبحث الثاني: التراكيب النحوية للمجاز ودلالاتها البلاغية.....
136	أولاً: المجاز العقلي -الإسنادي- وأسراره البلاغية:.....
137	ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجماليّة فيها:
137	ثالثاً- الخلاصة:.....

المبحث الثالث: التركيب النحوي للاستعارة ودلالاتها البلاغية.....	142
أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-.....	142
ثانياً:أنواع الاستعارة وأسرارها البلاغية.....	143
المبحث الرابع: التركيب النحوي للكناية ودلالاتها البلاغية.....	145
أولاً- المفهوم الاصطلاحي:.....	145
ثانياً: أنواع الكناية مع بيان القيم الجماليّة فيها:.....	145
ثانياً: التركيب النحوي للتعريض ودلالاتها البلاغية.....	152
ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجماليّة والدلالية فيها:.....	152
ثالثاً- الخلاصة:.....	153
الفصل الثالث: التراكم النحويّ من الوجهة البلاغية في علم البديع.....	154
المبحث الأول: التراكم النحويّ للمحسنات المعنويّة ودلالاتها البلاغية.....	155
المطلب الأول: الطباق.....	155
المطلب الثاني: الطي والنشر.....	163
المطلب الثالث حسن التعليل.....	166
المطلب الرابع: براعة الاستهلال.....	170
المطلب الخامس: الاحتباك.....	181
المطلب السادس الإبداع.....	183
المطلب السابع الإحصاء اللفظي (التسليم).....	184
المطلب الثامن الاستدراك (الرجوع).....	187
المطلب التاسع التقويف.....	189
المطلب العاشر المقابلة.....	191
المطلب الحادي عشر النزاهة.....	195
المطلب الثاني عشر حسن النسق.....	197

المطلب الثالث عشر لزوم ما لا يلزم.....	200
المطلب الرابع عشر مراعاة النظير.....	202
المطلب الخامس عشر فن المزوجة.....	204
المطلب السادس عشر سوق المعلوم مساق غيره (تجاهل العارف).....	206
المبحث الثاني: التراكيب النحوية للمحسنات اللفظية ودلالاتها البلاغية.....	208
المطلب الأول الجنس.....	208
المطلب الثاني: السَّجْع.....	217
المطلب الثالث إيغال الاحتياط.....	225
الفصل الرابع: القيم الجمالية والفنية للتراكيب النحوية في الأسلوب النبوي.....	237
المبحث الأول: مظاهر بلاغة التراكيب النحوية في الأحاديث النبوية.....	238
المطلب الأول: اسم الفاعل.....	238
المطلب الثاني اسم المفعول.....	240
المطلب الثالث: اسم الفعل.....	241
المطلب الرابع: اسم الهيئة.....	244
المطلب الخامس: ضمير الفصل.....	245
المطلب السادس: الفعل المزيد.....	247
المطلب السابع: المصدر المؤول.....	249
المبحث الثاني: التراكيب اللغوية في الميزان البلاغي.....	250
المطلب الأول: أسلوب التحذير.....	250
المطلب الثاني: أسلوب التفضيل.....	252
المطلب الثالث أسلوب الشرط.....	257
المطلب الرابع: أسلوب العرض والتحضيض.....	270
المطلب الخامس: التصغير.....	273

المبحث الثالث: القيم الجمالية والفنية في العلوم البلاغية.....	275
جدول إحصائي إجمالي للفنون البلاغية في أحاديث الأدب في الكتب الستة.....	281
أبرز النتائج.....	285
التوصيات.....	290
المصادر والمراجع.....	291
الفهارس العامة.....	305
أولاً- فهرس الآيات القرآنية.....	306
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....	310
فهرس معاني الكلمات الجديدة في الأحاديث.....	325

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أتقن كلَّ شيءٍ صنعًا، وفطر النفوس على حبِّ الجمال، وزين ما خلقَ بزيّناتٍ روائعٍ تميلُ إليها النفوس، وتأنسُ بها وترتاح إليها، وهي تدلُّ على إبداع خالقها وإرادته الحكيمة، في كلِّ ما خلق من ظواهر وبواطن.

هو الذي أنزل كتابَهُ القرآنَ معجزًا، ومن إعجازه ما فيه من جمالٍ بيانيٍّ وبلاغةٍ رائعةٍ لا ترقى إلى مثُلها بلاغةُ جميعِ البلغاء، ولا فصاحةُ جميعِ الفصحاء.

والصلاة والسلام على رسولنا محمدٍ خاتمِ النبيّين والمرسلين، وإمامهم، مَنْ حَصَّه الله بالدينِ الخاتم، وهو أبلغ العرب وأفصح من نطق بالضاد. أما بعد...

فإنَّ أحاديث النبي ﷺ جاءت ممتلئة بالفصاحة والبلاغة؛ لذا اخترنا أن نطرق باب البلاغة النَّبَوِيَّة بعد أن تطرقنا إلى البلاغة القرآنية في مرحلة الماجستير، وقد تم التركيز في هذه الأطروحة على التراكيب النَّحْوِيَّة ودراستها من الزوايا البلاغية، لما للتراكيب النَّحْوِيَّة من مراكز مهمة أساسية انبثقت من خلالها الدراسات البلاغية والمجازية التي تخرج عن إطار الحقيقة، كما أننا وجهنا بوصلتنا البحثية إلى كتاب الأدب في الكتب الستة، قاصدين بذلك البحث والتقيب في مكان البلاغة والبيان في لغة نبينا العدنان ﷺ ولسانه، والتركيز على موضوعات الأدب التي احتوت على أمور ينبغي بل يتعين - على الإنسان المسلم أن يتحلى بها كالأخلاق النبيلة والبر والتواضع واللين والرفق والسماحة، وغير ذلك من أحاديث الأدب التي ظهرت - كثيرًا - في الكتب الستة والتي تربو على خمسين ومئتين وألف حديثًا.

أسباب اختيار الموضوع:

_ لعل البلاغة النَّبَوِيَّة من العلوم التي نتشرف بدراستها، وقد تناولها بعض العلماء بالدراسة والتحليل وقد كانت في الصحيحين غالبًا الأمر الذي دفعني لاختيار هذا المجال في الدراسة.

ومن الدوافع والأسباب التي دفعتني لاختيار هذا البحث هي:

- أن هذا الموضوع من الموضوعات البلاغية المهمة التي تبرز مدى البلاغة والبيان النَّبَوِيَّ، مما جعلني أفكر مليًا في اختياره كعنوان لهذه الرسالة.
- إثراء المكتبة العربية بدراسات بلاغية تطبيقية على الأحاديث النَّبَوِيَّة.

- مساعدة طلاب العلم على فهم الدرس البلاغي في الحديث النبوي؛ لأن دراسة بلاغة الحديث النبوي بهذه الطريقة فيها إفادة كبيرة، ولفت كبير لأنظار الباحثين لينحوا هذا المنحى.
- الكشف عما يميز الأساليب البلاغية النبوية عن غيرها، وذلك عن طريق مقارنتها بنفس الأسلوب البلاغي ولكن مع تغيير في تركيبه النحوي، ورصد ما يتبع ذلك من اختلافات جوهرية وثانوية، وفي هذا تأكيد على أهمية الدرس البلاغي.
- عرض نماذج مشرقة من الأسلوب النبوي البليغ بصورة ميسرة.
- الكشف عن التراكيب النحوية للأساليب البلاغية في الحديث النبوي، ومحاولة تفسير وتعليل مجيئها على هذه الصيغ بالذات، عن طريق اكتشاف المعاني والدلالات الخفية وراء هذه التراكيب النحوية المختلفة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أهداف الموضوع:

- تزويد المكتبات العربية برسائل تُعنى بالبلاغة النبوية.
- التركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة النبوية.
- ترسيخ جذور قوّة البلاغة النبوية في الدراسات العربية.

الجهود والدراسات السابقة:

بعد الدراسة والبحث حصلت على مجموعة من الدراسات السابقة ذات الصلة ولكنها قليلة ومحدودة، وهي:

1- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم وقد تم تقسيم دراسة التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم على ستة طلاب حيث كان لكل طالب خمسة أجزاء متتالية.

2- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني: للدكتور عبد الفتاح لاشين، وقد شمل فيها الباحث بالدراسة الشواهد (شعرية وقرآنية) عند الإمام الجرجاني وكيف كان يدرسها بلاغيًا من خلال تراكيبها النحوية.

3- دلالات التراكيب : للدكتور محمد أبو موسى، وهو كتاب جليل القدر، تناول هذا العالم فيه بعض مسائل علم المعاني من ناحية تراكيبها النحوية في آيات متفرقة من القرآن

الكريم، وبيّن دلالاتها البلاغية ومعانيها الثواني، وهو كتاب مُكَمَّلٌ لدراسته الأولى التي طبعتها جامعة بني غازي والتي سماها بخصائص التراكيب.

منهج البحث :

اعتمدت في هذه الخطة المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي، حيث تناول موضوع البحث دراسة: التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغية في الأحاديث النبويّة (دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)

ويمكنني إجمال هذه المنهجية في النقاط الثلاث التالية :

- الأولى: السير وفق المنهج الوصفي والتحليلي، للوقوف على الأساليب البلاغية وتراكيبها النحوية: معانيها، وبيانها، وبديعها. ومن ثم الوقوف على بديع معانيها وروائع دلالاتها المجازية.
 - الثانية: تقسيم المسائل الداخلة تحت كل مبحث من مباحث الرسالة على مطالب؛ وذلك تحرياً لسهولة تصوّرها ومعالجتها.
 - الثالثة: الالتزام في كتابة هذا البحث بالمنهج الذي تسير عليه البحوث المماثلة له في التخصص من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، والتعريف بالمصطلحات العلمية، وتوثيق النقول من مصادرها الأصليّة، ونحو ذلك.
- ومن زاوية أخرى فقد كانت المنهجية المتبعة لدى الباحث بشأن البحث في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة كانت تتمحور حول قضايا ثلاث، وذلك عند كتابة هذه الأطروحة كما يلي:
- 1- قام الباحث بإسقاط كل حديث اتسم عند الإمام الألباني بأنه حديث ضعيف أو حديث موضوع وبالتالي كان التركيز في انتقاء الأحاديث الواردة في كتاب الأدب في الكتب الستة على الأحاديث الصحيحة والأحاديث الحسنة واستثنى غيرها تماماً إلا ما سقط سهواً.
 - 2- تم التركيز على الأحاديث القولية فحسب أي ما قاله -عليه السلام- حتى يتسنى للباحث أن يغوص في غمار بلاغة العدنان -عليه الصلاة والسلام، وعليه فقد استثنيت الأحاديث الفعلية أو التقريبية أو النعتية.
 - 3- سار الباحث على نظام موحد يوحد بوصلة الرسالة وذلك من خلال ذكر الراوي الأعلى والأدنى مع المتن.

وقد حاول الباحث أن يربط بين التركيب النحوي والسرّ البلاغيّ بشكل مباشر حتى يستطيع القارئ أن يعقد المقارنة ويربط بين التركيب النحوي والمنظور البلاغي.

وقد وضع الباحث مبحثاً يتحدث عن الأساليب اللغوية في الميزان البلاغيّ ولعل هذا الموضوع هو من الموضوعات التي لم يسلط الضوء عليها قط حسب معرفة الباحث، فكان التركيز في الدراسات السابقة يتجه نحو التركيب النحوي والنظر إليه بمنظور بلاغي فحسب بيّد أن الباحث اتجه إلى أن يبحث في أطراف اللّغة العربية فلجأ إلى التصريف والتراكيب اللغوية المستخدمة عند العرب ولجأ كذلك إلى علم الأصوات ثم توجه إلى علم العروض والقافية فقد استطاع أن ينظر إلى فروع العربية بمنظار بلاغي ودلالي ليأتي بشيء جيد إلى حد ما.

وقد قام الباحث بقراءة تفسيرية خاصة للأحاديث النبويّة في كتاب الأدب في الكتب الستة محاولاً الوصول إلى مكان ومقاصد المعاني البلاغية والدلالية وغير ذلك. وقد برز لدى الباحث عنصر التأثير النفسي على القلوب؛ حيث استخدم النبي -عليه السلام- للتراكيب النحويّة والأساليب اللغوية المتمثلة في أسلوب الشرط والتحذير والإغراء والتكرار وغيرها من الأساليب التي انتشرت في بقاع الأحاديث الأدبية والأخلاقية.

آلية الدراسة:

تتمثل في استقراء التراكيب النحويّة في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة ورصدها، ومن ثم تصنيفها حسب النوع ومناقشتها وتطبيقها وربطها بعلوم البلاغة العربية، وهذا حسب ما سيأتي في خطة البحث.

خطة البحث :

مقدمة وتمهيد وأربعة فصول على النحو الآتي:

المقدمة: وتم الحديث فيها عن أسباب اختيار البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج الدراسة.

التمهيد

التركيب النحويّة من الوجهة البلاغية.

التمهيد

التركيب النحوي من الوجهة البلاغية.

أولاً: نقاط الالتقاء بين علمي النحو والبلاغة.

لقد امتلأت الكتب البلاغية بالحديث عن قضية النظم التي فتح الله على إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني بطرق بابها، تلك القضية التي لا تزال الدراسات تؤكد على صحتها وسلامتها. وير الباحث أن إمام البلاغة وقطبها عبد القاهر الجرجاني امتاز بالحكمة ودقة الروية وصواب المنهج فضلاً عن تمكنه في النحو، فله الإيضاح في النحو، والجمل في النحو وكتاب في الصرف، فقد كان متضلعا بالنحو ولديه خبرة نحوية واسعة، مما أهله لاكتشاف قضية الإعجاز القرآني. ومن خلال قراءة الباحث فإن لابن الأثير لمحة إشارية تخص اعتناق النحو والصرف بالبلاغة العربية حيث قال في كتابه المثل السائر: "السّرّ البلاغيّ يظهر في النحو والتصريف"⁽¹⁾ وكأنه يقول: لا موقع لفهم المعاني الثانية إلا إذا فكرنا ملياً في التركيب النحوي والصرفي واللغوي.

إن الباحث حاول أن يفرز بعض السياسات البلاغية التي توصل تلك القواعد البلاغية وتوصلها بعضها ببعض، وهنا المقصود في الحديث أن أساليب اللغة العربية من نحو وتصريف ولغة وشعر وصوت يكون لها امتداد بلاغي وأثر دلالي، بمعنى أن هناك ولوجاً وتداخلاً بين فروع اللغة العربية وليست بين علوم البلاغة الثلاثة فحسب، ولعل ما انتجته هذه الرسالة والمعنونة بـ(التركيب النحوي من الوجهة البلاغية) وتخصيص مبحث بعنوان الأساليب اللغوية في الميزان البلاغي، وأيضا مبحث: (القيم الجمالية والفنية في علوم البلاغة العربية يؤكد ما قيل سابقاً.

وكانت دراسة الجرجاني للنظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب⁽²⁾ "إذ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"⁽³⁾. ثم إن النظم "إذن يتحقق عن طريق إدراك المعاني النحوية، واستثمار هذا الإدراك في

(1) أنظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 18.

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ص 211.

(3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 81.

حسن الاختيار والتأليف. لذا يجب التفريق بين النحو بالمعنى الشائع وبين المعاني النحوية المرادة من النظم⁽¹⁾.

وقد عرفت الجملة عند البلاغيين بأنها " المركب الذي تتم به الفائدة فإن قلت: إن "تأت" وسكت لم تغد كما لا تغد إذا قلت "زيد" وسكت فلم تذكر اسما آخر ولا فعلا. ولا كان منويا في النفس معلوما من دليل الحال"⁽²⁾.

ويقول ابن جني: في باب القول على النحو: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب غيره... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم - وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"⁽³⁾.

ولنقطف بعضاً مما يؤشر إليه السكاكي في قضايا التراكيب اللغوية والنحوية حيث قال في باب أطلق عليه - علم النحو "اعلم أن علم النحو هو أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك وبالكلم نوعيها المفردة وما هي في حكمها"⁽⁴⁾.

ثانياً: تقديم حول الكتب الستة وأصحابها.

هذا تعريف بإيجاز عن الرواة الستة وكتبهم في الحديث، مع بعض الكلام عن كتبهم الأمهات الست المشهورة التي هي دواوين السنة النبوية، وهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه.

1- محمد بن إسماعيل البخاري

هو جبل الحفظ، وإمام الدنيا في الحديث، حفظ القرآن الكريم وهو غلام، وحَبَّبَ الله إليه حفظ الحديث وعمره عشرة أعوام، واجتهد في طلب العلم فكان يلتهم العلم التهاماً حتى أنه لما بلغ ستة عشر عاماً كان قد حفظ جميع كتب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وفيها عشرات الآلاف من الأحاديث والآثار، وعرف منذ صغره كلام أصحاب أبي حنيفة في الأحكام

(1) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش، ص104.

(2) أسرار الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيباً ودلالة، حفيظة أرسلان شابسوغ، ص10.

(3) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ج68/1.

(4) مفتاح العلوم، السكاكي، ص23.

الفقهية، وصنّف وعمره ثمانية عشر عاما كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، وصنّف في صغره-أيضًا- كتاب التاريخ الذي ذكر فيه أسماء آلاف الرواة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، مع ذكر شيء من أنسابهم، وبعض من روى عنهم ورووا عنه، وربما ذكر تاريخ وفياتهم.⁽¹⁾

ومن عجيب حفظ البخاري لمتون الأحاديث وأسانيدها ما قاله أبو الأزهر: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد، ولا في المتن!⁽²⁾

وللبخاري مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه الصحيح، ومن مؤلفاته أيضا: "التاريخ الكبير ثمانية مجلدات، والتاريخ الأوسط، والضعفاء الصغير، والأدب المفرد، وخلق أفعال العباد، ورفع اليدين في الصلاة وتوفي البخاري رحمه الله ليلة عيد الفطر في قرية خَرَنْتُك قرب سمرقند سنة 256 هجرية وعمره 62 عاما".⁽³⁾

2- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

قال الذهبي: هو الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. بدأ مسلم بسماع الحديث وكتابته وهو غلام مرافق، وحجّ بعد بلوغه، وسمع من بعض علماء مكة، ثم رجع إلى وطنه نيسابور، ثم ارتحل إلى العراق، والحرمين، ومصر، فكتب الحديث عن أكابر علماء عصره، وبلغ عدد مشايخه 235 شيخا، ومن أشهر مشايخه الإمام البخاري، فقد أكثر مسلم من مجالسته حين استوطن البخاري نيسابور.⁽⁴⁾ ولمسلم طريقة متميزة في صحيحه، فهو يجمع أسانيد الحديث الواحد ويذكر متته كاملا ورواياته بتفصيل في مكان واحد، مما يُقرّب الفائدة للمتخصصين في الحديث وتوفي مسلم رحمه الله في نيسابور سنة 261 هجرية وعمره 57 عاما تقريبا⁽⁵⁾

(1) انظر: التعريف بأصحاب الكتب الستة، (البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه)، محمد بن علي بن جميل المطري، نسخة رقمية عبر الإنترنت.

(2) الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن بن حمد بن حمد العباد البدر، ص38.

(3) نقلا بتصرف: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، ج43/14.

(4) أنظر الإمام مسلم وصحيحه، عبد المحسن بن حمد بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، العدد الأول، 1390هـ-1970م، ص35.

(5) المصدر نفسه.

3- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني.

أصله عربي من قبيلة الأزدي اليمنية، وسجستان إقليم كبير يقع الآن في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانستان، ويمتد إلى بعض مناطق إيران، ويعرف الآن باسم سيستان، وقد فتح المسلمون إقليم سجستان في عهد الخلفيتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد استوطنتها أحد أجداد أبي داود من اليمانيين أيام الفتح الإسلامي، فولد أبو داود فيها، ويُنسب إليها فيقال: السجستاني. (1)

وعدد أحاديث كتاب السنن لأبي داود (5274) حديثاً كما في طبعة المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وأكثر أحاديث كتاب السنن لأبي داود في الأحكام الفقهية، وقد رتبته أبو داود في أكثر من 40 كتاباً، أوله كتاب الطهارة، وآخره كتاب الأدب. وتوفي أبو داود رحمه الله في البصرة سنة 275 هجرية وعمره 73 عاماً، ودُفن إلى جانب قبر أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري. (2)

4- أحمد بن شعيب النسائي

قال الذهبي: الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي، صاحب كتاب السنن، وُلد بنساً (من مدن خراسان)، وطلب العلم في صغره، ورحل إلى خراسان (بلاد واسعة تشمل حالياً الشمال الشرقي من إيران وبعض أفغانستان)، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور. (3)

وقد بلغ عدد شيوخ النسائي في الحديث 449 راوياً، ولم يكن النسائي محدثاً فقط، بل كان عالماً بالقرآن، فقيهاً، قاضياً، وهو ممن أخذ القرآن عن أبي شعيب السوسي راوي قراءة أبي عمرو البصري أحد القراء السبعة، وتولى النسائي القضاء بمصر وحمص، وتبويات كتابه السنن تدل على إمامته في الفقه، قال الحاكم: كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه، وهو الراوي لكتاب السنن الصغرى عن النسائي، وكتاب السنن الصغرى مطبوع في 8 مجلدات، وعدد الأحاديث والآثار فيه (5758)، وفيه 51 كتاباً، وتوفي النسائي رحمه الله في فلسطين وهو متجه إلى الحج سنة 303 هجرية، وقيل: إنه وصل إلى مكة وهو مريض فمات بها، وعمره 88 عاماً. (4)

(1) انظر: التعريف بأصحاب الكتب الستة، محمد بن علي بن جميل المطري، نسخة رقمية عبر الإنترنت.

(2) المصدر نفسه.

(3) نقلاً بتصرف: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، ج14/ص24.

(4) ينظر: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، ج14/ص24.

5- محمد بن عيسى الترمذي.

التِّرْمِذِيُّ الْكَبِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سُورَةَ بْنِ مُوسَى السَّلْمِيِّ الْحَافِظِ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ الضَّرِيرُ مُصَنِّفُ الْكِتَابِ الْجَامِعِ. وقد ولد سنة بضع ومائتين وسمع قُتَيْبَةَ بن سعيد وأبا مُصْعَبَ الزُّهْرِيَّ وإِبْرَاهِيمَ بن عبد الله الْهَرَوِيَّ وإِسْمَاعِيلَ بن مُوَى السَّدِّيَّ وَصَالِحَ بن عبد الله التِّرْمِذِيَّ وَخَلَقًا كَثِيرًا وَأَخَذَ عِلْمَ الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيِّ وَرَوَى عَنْهُ حَمَّادُ بن شَاكِرٍ وَمَكْحُولُ بن الْفَضْلِ وَآخَرُونَ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ وَقَالَ كَانَ مِنْ جَمْعٍ وَصَنَّفَ وَحَفِظَ وَذَكَرَ، تَوَفَّى ثَلَاثَ عَشَرَ رَجَبٍ بِتَرْمِذَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ⁽¹⁾

6- محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني.

ابن ماجه: بفتح الجيم وهاء ساكنة، هو لقب والده يزيد، والقزويني نسبة إلى قزوين، وهي مدينة تقع في الشمال الغربي من طهران عاصمة إيران، وفي شمالها يقع بحر قزوين.⁽²⁾

وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَةَ صَاحِبُ كِتَابِ السُّنَنِ الْمَشْهُورَةِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى عَمَلِهِ وَعِلْمِهِ وَتَبَحُّرِهِ وَاطِّلَاعِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلْسُّنَةِ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ كِتَابًا، وَأَلْفَ خَمْسَمِائَةِ بَابٍ، وَعَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ حَدِيثٍ كُلُّهَا جَيَادٌ سِوَى الْيَسِيرَةِ. وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ حَجَرٍ بِقَوْلِهِ: "إِنَّهُ انْفَرَدَ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ صَحِيحَةٍ".⁽³⁾ أَلَفَ ابْنُ مَاجَةَ كِتَابًا فِي الْحَدِيثِ أَسْمَاهُ كِتَابُ السُّنَنِ، وَعَرَضَهُ عَلَى الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِي فَنَظَرَ فِيهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ.⁽⁴⁾

وعدد أحاديث سنن ابن ماجه (4341) حديثا، وقد رتبته ابن ماجه على 37 كتابا، وكل كتاب يتضمن أبوابا كثيرة، قال أبو الحسن القطان: في كتاب السنن لابن ماجه ألف وخمسمائة باب. وقد بدأ ابن ماجه كتابه السنن بأحاديث في اتباع السنة النبوية وفي الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، ثم ذكر كتاب الطهارة وسننها ثم الصلاة إلى أن ختم كتابه بكتاب الزهد. توفي ابن ماجه رحمه الله في قزوين سنة 273 هجرية وعمره 64 عاما.⁽⁵⁾

(1) أنظرالوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج4/207.

(2) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: علي شيري، ج11/61.

(3) ابن ماجه القزويني، الشيخ كامل محمد عويضة، ص45

(4) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: علي شيري، ج11/61.

(5) أنظر التعريف بأصحاب الكتب الستة، محمد بن جميل المطري، نسخة رقمية عبر الإنترنت.

ثالثاً: البلاغة النبوية

توصل الباحث بعد قراءته لأحاديث النبي ﷺ حيث إن أحاديثه -عليه السلام- هي أحاديث نقية من كل الشوائب والإسهاب بل إن الأحاديث تجتمع في دائرة الإيجاز والإعجاز⁽¹⁾ كما أنها تحتوي على فنّ الإبداع وهو فن بديعي يقصد به اشتغال الحديث على عدة فنون بديعية، بالإضافة إلى أن هذه الأحاديث طاهرة من كل عيب ونقص ومن كل ما يחדش الحياء فلا تجد فيها سوى لمسات فنية وجماليات أسلوبية وتعبيرات مبنية وواضحة وأوتيت جوامع الأخلاق والآداب.

وقد ظهرت بلاغة التراكيب النحوية بشكل واضح في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام فلم نجد حديثاً واحداً فيه جفاف من المقاصد البلاغية كما تبين للباحث أن التراكيب التي استخدمها النبي -عليه الصلاة والسلام- تركز على جانب التقديم والتأخير وعلى جانب التكرار.

ومن الواضح جداً أن بلاغة العدنان -عليه السلام- اتضحت عند مطلع جل الأحاديث النبوية تحت باب براعة الاستهلال أو حسن الابتداء. لقد تعددت مظاهر البلاغة في الحديث النبوي وهذا ينم عن أمر واحد وهو أن النبي -عليه السلام- أوتي جوامع العلم كما أوتي جوامع الكلم.

إن القصص النبوي يعتمد في مجمله على حقائق وأخبار واقعية لا ريب فيها هذا لا يعني أن الأساليب خبرية استخدمت في حقائقها دون ذكر أخبار استعملت في معانٍ ثانية لأسرار بلاغية، كما أن الحديث -هنا- لا يدل على حقائق واقعية وأخرى خيالية وهمية لأن القصص النبوي يعتمد على حوادث حدثت بالفعل وليس كالقصص البشرية التي يعتمد بعضها على حقائق وأخرى على خيال، وجملة القول في هذه الزاوية: إن التكرار هو سمة جمالية بلاغية راقية في الحديث النبوي وفنّ خال من التكرار المذموم والمستقبح كما التكرارات التعبيرية البشرية بل مستطرف وجميل ويؤتي أكله ببلاغة وروعته في كل المواقع النبوية.

إن الاستعارة النبوية من الوضوح والبيان بمكان فأنت تنظر إلى الاستعارة في الحديث وكأن الجمادات تتحرك وتتفاعل، ويفهم مغازيها ومقاصدها دون جهد كما عند الشعراء في قصائدهم والكتاب في منشوراتهم، محتم على الباحث أن يمزج بين عالمي النحو والبلاغة كيف

(1) المقصود بذلك هو أن بلاغة الرسول ﷺ كان يركز في أحاديثه على بلاغة الإيجاز غير المخل، أما الإعجاز فالمراد هنا أن بلاغة الرسول أقرب إلى الإعجاز البلاغي الموجود في القرآن الكريم، لكنه لم يكن معجزاً لأنه تعبير بشري.

لا وقد وعى وأدرك البلاغيون بلاغتهم بعدما أدركوا النحو ومعانيه ولا أخال أن غير البلاغيّ الشهير إمامنا الجرجاني هو الذي عبر لنا طريق البيان لهذه المسألة كما لا أخال أن غير الحديث النبويّ قد أرسى قواعد النظم التي تنبه لها الإمام الجرجاني والتي جعلنا نعانقه بين النحو وما ينبثق عنه من دلالة وبلاغة.

أما الدلالة في الحديث النبويّ الشريف، فانها تفهم من قوله (ﷺ): "نحن معاشر الأنبياء، أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم" (1). فعلى ضوء الحديث الشريف، نستطيع أن نقول ليس بالامكان الإمساك بدلالات الأحاديث النبويّة الشريفة، وذلك لانها مرهونة بمستوى المخاطبين، والمخاطبون هم على أصناف، فمنهم من لا يمتلك ثقافة، ومنهم من هو متوسط الثقافة، ومنهم من هو سامي الثقافة، ومنهم المستهزى، ومنهم المتفهم، ومنهم المتعصب، ومنهم الهادئ... من الصفات الحميدة والذميمة. والرسول الكريم (ﷺ)، يتكلم مع كل واحد من هذه الفئات بما يناسبه؛ فمن أجل ذلك تتعدد الدلالات في حديثه.

وقد أجدني أقول: لقد كان يغلب على كلامه (ﷺ) طابع الإيجاز، حيث كان لا يحبذ الإطناب الزائد، والإندفاع في الكلام، كما في قوله "كفى بالسلامة داء" وهذه من أحسن وأبلغ وأوجز كلامه، حيث إنها ثلاث كلمات تحمل بين طياتها معاني جمّة.. (2).

أما دلالات السجع - خاصة - في الحديث النبويّ الشريف، فقد كانت ذات اتجاهين:

- 1- الأول جاء موجزاً قصيراً مناسباً مع الحدث الكائن، ومناسباً مع مستوى وعي المخاطب.
- 2- اما الإتجاه الثاني فقد اعتراه شيءٌ من الطول، مع لون من التفصيل، وخلق يكاد يكون كلياً من التفاعل النفسي السريع، الذي وجدناه سيد الموقف في الاتجاه الأول. (3)

(1) اتحاف السادة المتقين، محمد مرتضى الزبيدي: 65/2.

(2) الإيجاز في العربية، آمال الزين: (موقع إلكتروني).

(3) الأسجاع في الحديث النبويّ الشريف - صحيح البخاري، احمد عباس داود، ص100.

الفصل الأول:

التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغيّة
في علم المعاني.

المبحث الأول

التركييب النحوية للخبر ودلالاتها البلاغية.

أولاً: الخبر وأغراضه البلاغية

أجمع البلاغيون على أن علم المعاني هو الأصل ويبنى عليه العلمان الأخريان من فروع البلاغة المشهورة وهما علما البيان والبديع ويمكن تحليل ذلك أن علم المعاني يتحدث عن التراكيب والجمل ومنها تنبثق فنون الألوان البيانية والبديعية متماشية مع الواقع والحقيقة، حيث إن عنصرَي الخيال والمجاز قد احتلا مركز الصدارة.

وقد اتفق البلاغيون - كما ورد في كتبهم وتراثهم - أن الكلام ينشطر إلى خبر وإنشاء وأن الإنشاء نوعان: (طلبي وغير طلبي)، كما أن هذه التقسيمات تبحث في اللسان العربي - فضلاً عن البيان النبوي المزاي والحلية اللفظية والمعنوية.

المفهوم الاصطلاحي:

الخَبْرُ: هو "كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته".⁽¹⁾

وقد يقع الأسلوب الخبري في موقع الأسلوب الإنشائي؛ وذلك لأغراض بلاغية يقصدها البليغ؛ أهمها: التفاؤل وإظهار الحرص والرغبة في وقوع المعنى الإنشائي وتحقيقه، إدخالاً للسرور على المخاطب ويكون ذلك في الدعاء بأن يقصد المتكلم طلب الشيء، وتكون صيغة الأمر هي الدالة عليه أو طلب الكف، وتكون صيغة النهي هي الدالة عليه، فيعدل عنهما إلى صيغة الإخبار بالماضي الدالة على تحقق الوقوع، وفيه إشعار بأن الدعاء للمخاطب قد حصل وتحقق⁽²⁾، من ذلك قول الشاعر:

إن الثمانين وبُغْتَهَا قَدْ أُحْجِجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

ثانياً: الأغراض البلاغية مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

تبين للباحث أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبوي أن الخبر له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى ثمانية أغراض وهي كما يلي:

(1) ينظر: من بلاغة القرآن الكريم - المعاني البيان البديع، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص32.

(2) البلاغة (المعاني)، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ص397.

1- التشويق والإغراء:

الإغراء: "هو التّصح على التزام الشيء، والتمسك به كقولك لمن أقبل يتظلم: "يا مظلوم"، فليس الغرض منه، حقيقة النداء الذي هو طلب الإقبال؛ لأن الإقبال حاصل، فلا معنى لطلبه، إنما المراد: إغراء المخاطب، وحثه على زيادة التظلم، وبث الشكوى، بقرينة الحال.⁽¹⁾

ومثله ما ورد عَنْ حازم بن حرمة قَالَ مررت بالنبى ﷺ: فقال لي (ياحازم أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. فإنها من كنوز الجنة)⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (فإنها من كنوز الجنة)، وغرضه التشويق، وبالتالي يلتقي الخبر، بالإنشاء والقصر والنداء في جميع أجزاء الحديث دلالة على بلاغة الرسول ﷺ وفي كل الحديث تشويق وإغراء وتأكيد على ذكر الله -جلّ جلاله.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ »

أسلوب خبري مؤكد بإِنَّ وهو خبري توكيدي طلبى، وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ "، وجاء هذا الأسلوب بهدف لفت الانتباه فإن المقصود هنا ابن النبي إبراهيم -عليه السلام- والذي قال عنه النبي ﷺ يوم فقد نجله: إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ وَإِنَّا عَلَى فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ، وقد بشر بأن سيتم الرضاعة في الجنة، فستأتي من تتم له الرضاعة، إذ إن إبراهيم -عليه السلام- مات بعد ثمانية عشر أسبوعاً -أي قبل إتمام الرضاعة- وكان في هذه المحنة العظيمة منحة من العظيم -ﷺ- بأن يتم الرضاعة في الجنة، فهو تأنيس وإيناس لخير الخلق والناس، للنبي العدنان - عليه الصلاة والسلام- وعليه فلم تعد الجملة الخبرية المؤكدة مجرد نحو عابر، بل مليئة بالبلاغة والإيحاء.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ شَرَّاءَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ. فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ: قَالَ (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل)⁽³⁾

(1) كتاب المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الشاملة الحديثة، ص111.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله، 1257/2: رقم الحديث 3826.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الذكر، 1246/2: رقم الحديث 3793.

وذلك في مطلع الحديث فجاء بالفعل (لا يزال) دلالة على الاستمرارية والديمومة بترطيب اللسان طالما أن الذكر موجود وقد جاءت كلمة (رطباً) هنا اسم فاعل وهي من المشتقات التصريفية بارزة مأكثة في السعادة النفسية والتحفيز بالذكر والتشويق لعمل هذا الصنيع هو الاستغفار والتسبيح.

ونظيره ما ورد عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله سبحانه إلا الصوم فإنه لي. وأنا أجزي به) ⁽¹⁾

أسلوب خبري توكيدي، في قوله ﷺ: (فإنه لي)، وجاء التوكيد من باب زيادة التشويق والإغراء، وليس مجرد إخبار وإنباء.

ومثله ما ورد عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرؤه يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران اثنان) ⁽²⁾

أسلوب خبري، في قوله ﷺ: (الماهر .. مع السفرة)، وقد أخبر النبي عليه السلام هذا الخبر ليخرج من دائرة النحو والتبليغ، والإخبار إلى دائرة البلاغة النبوية، فجاء التوكيد ليمنح لفت الانتباه كما أن فيه تشويق وإغراء، وهي دعوة إلى الناس أجمعين أن يتحولوا حول مجالس القرآن والسنة النبوية.

ومثله ما ورد عن النبي ﷺ قال: (طوبى ⁽³⁾ لمن وجد في صحيفته استغفاراً -كثيراً-) ⁽⁴⁾

أسلوب خبري في كلمة (طوبى) وجاء الخبر للإغراء والتشويق للجنة التي أعدت للمستغفرين الله كثيراً فلم يكن الخبر خالياً من ملامح البلاغة النبوية والدلائل التي تشير إلى التشويق لأهل الاستغفار بأن لهم الجنة.

ومثله ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجُ حَرَامٍ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ " ⁽⁵⁾

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل العمل، 1256/2: رقم الحديث 3823.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3779.

(3) طوبى: تعني غبطة وسعادة والمقصود في الحديث شجرة في الجنة.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الاستغفار، 1254/2: رقم الحديث 3818.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ نقل الحديث، 268/4: رقم الحديث 4869.

أُسْلُوبٌ خَبْرِيٌّ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَجَالِسُ:)، وَجَاءَ الْخَبَرُ مِنْ بَابِ التَّشْوِيقِ وَالْإِغْرَاءِ.

وَمِنْ اللَّافِتِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ لَفٌّ وَنَشْرٌ مَجْمَلٌ، وَفِيهِ إِيضَاحٌ بَعْدَ إِبْهَامٍ، إِذْ إِنَّ ذَكَرَهُ ﷺ (إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَجَالِسُ:) تَحَدَّثُ تَشْوِيقًا لَدَى السَّامِعِ لِمَعْرِفَةِ مَا هِيَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْمَحْرَمَةُ لِيَتَبَعَدَ عَنْهَا وَجَاءَ الْعَدَدُ نَكْرَةً (ثَلَاثَةٌ) لِإِفَادَةِ الْإِبْهَامِ فَيَحْدِثُ بَعْدَ ذِكْرِهَا إِيضَاحٌ بَعْدَ إِبْهَامٍ يَدْخُلُ السَّرُورُ عَلَى قَلْبِ السَّامِعِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا.

وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ⁽¹⁾

أُسْلُوبٌ خَبْرِيٌّ طَلْبِيٌّ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (إِنْ لِي...) وَغَرَضُهُ التَّشْوِيقُ. وَمِنْ الْمُلْحُوظِ هُنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْجَزَ عِنْدَمَا قَالَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِمَا وَاضِحٌ فَهِيَ مِنَ الْحَمْدِ وَلَكِنَّهُ أَطْنَبَ مُوضِحًا، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (أَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ...) وَ(أَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ...) وَ(أَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو...).

وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلُ أَنْ يَتَفَرَّقَا)⁽²⁾.

أُسْلُوبٌ خَبْرِيٌّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. . إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا. فَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ الْخَبْرِيُّ الَّذِي أَفَادَ السَّامِعِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّنْصِيحِ عَلَى الْمَصَافَحَةِ الَّتِي تَزِيلُ الشَّحْنَاءَ وَالْبَغْضَاءَ ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُمَا كَنْتِجَةَ طَبِيعِيَّةٍ إِلَى شَخْصَيْنِ مُسْلِمَيْنِ طَبَقًا إِقَامَةً شَرَعَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - فِي قُلُوبِهِمَا لِيَكُونَا نَاجِحِينَ فِي حَيَاتِهِمَا الْإِسْلَامِيَّةِ نَلْحِظُ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ أَنَّ فِيهِ أُسْلُوبٌ قَصْرٌ جَاءَ بِطَرِيقِ النِّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ .

وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنفِ)⁽³⁾

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في أسماء النبي -عليه السلام، 135/5: رقم الحديث 2840.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المصافحة، 1220/2: رقم الحديث 3703.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الرفق، 1216/2: رقم الحديث 3688.

وذلك في قوله: "إن الله رفيق يحب الرفق"، وفي هذا الحديث تشويق وإغراء على الرفق الذي هو ضد العنف فهي دعوة نبوية لعامة البشرية بإحلال الرفق ونبذ العنف لما للرفق من محاسن ولما للعنف من مهالك ومفاسد، وإن هذا الأسلوب الذي جاء في الحديث النبوي هو أسلوب خبري توكيدي جاء من الدرجة الثانية؛ لأنه مؤكد بأداة واحدة وهي (إن) التوكيدية وهي تتماشى مع الموقف ومع الجهة المخاطب إليها وهم المسلمون؛ وبالتالي لا نحتاج هنا إلى مؤكدين اثنين حتى يخاطب المنكرون إذ جاء الأسلوب الخبري بدلالة بلاغية واضحة لم تكن دون قيمة؛ بل تأكيد على أن الله رفيق وقد جاء بتكرار الكلمة (الرفق) من باب الحث ثم أكد ذلك بتفسير وتوضيح وهو (يعطي عليه ما لا يعطي على العنف).

ومثله ما ورد عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال (كان على الطريق غصن شجرة يؤذى الناس. فأماطها رجل. فأدخل الجنة) ⁽¹⁾

الأسلوب الخبري من أول الحديث إلى آخره، وغرضه التشويق، ومن اللافت أن الرسول عليه السلام ذكر خبرا ماضيا على اعتبار ما سيكون مستقبلا كما في جملة (دخل الجنة)، وهذا من الأخبار رفيعة المستوى في البلاغة والتشويق والإغراء.

ثم إن سماحة الإسلام تقتضي وتستدعي فعل الخير من الإنسان فحين يذكر (رجلا) ولم يقل: مسلما فهذا يعطينا لمحة وإشارة إلى أنه ينبغي فعل الخير مع المتقين من المسلمين ومع غير المسلمين وإن ذكر الماضي واستبداله بالمستقبل على اعتبار ما سيكون، في قوله ﷺ: (فأدخل الجنة)، فهذا أمر يخرج عن نطاق الأسلوب الخبري إلى استتطاق دلالات وإشارات بلاغية وبيانية ونفسية ثم إن مجيء (الفاء) التعقيبية مرتين متجاورتين فهي تفيد السرعة فضلا عن أن الفاء تفيد التعقيب كما أننا لم نتلق من هذا الحديث قصة مجردة من الدلالات الفنية مثلما نجدها عند القاصين والكتاب وما كانت هذه أقصوصة خرافية لا تطابق الواقع؛ بل هي بلاغة نبوية وحقيقة أخبر عنها رسول الله ﷺ من الله -جل جلاله-، ولعل اللافت لهذا الحديث يجد كلمة (إمطة) التي تعني الإزالة لكنها أشمل من الإزالة فهي إزالة وابتعاد وتنحي وكأنه يريد أن يقول: على المسلم أن يكون معتادا على رفع الأذى عن الناس فبهذه الخصال ينتشر الإسلام ويقبل الناس عليه أفواجا.

ونظيره ما ورد عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَصُرُّكَ بَأْيَهِنَّ بَدَأَتْ. وَلَا تُسَمِّنَنَّ غُلَامَكَ

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إمطة الأذى عن الطريق، 1214/2: رقم الحديث 3682.

يَسَارًا وَلَا رِبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَمَّ هُوَ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ لَا». إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ فَلَا تَزِيدُنَّ عَلَى⁽¹⁾.

أُسلوب خبري، في قوله ﷺ: (أحب الكلام ... أربع)، وجاء الخبر من أجل التوضيح وإبراز المعنى وإظهار الأمر، وجاء الخبر على نحو بدل التفصيل

2- التحذير والتنبيه:

وقد عرف التحذير بأنه: "هو نصب الاسم بفعل محذوف يفيد التنبيه والتحذير ويقدر بحسب ما يناسب المقام كاحذر وباعد وتجنب وق وتوق ونحوها، ويكون التحذير"⁽²⁾ :

1- تارة بلفظ إياك وفروعه، نحو إياك والكذب فإياك ضمير بارز منفصل في محل نصب مفعول لفعل محذوف تقديره باعد أو ق أو احذر والكذب معطوف على إياك أو مفعول به لفعل محذوف أيضا كما تقدم، ولك أن تجعل الواو للمعية والكذب مفعولا معه.

2- وتارة بدون إياك وفروعه نحو نفسك والشر والأسد الأسد وإعرابها كما تقدم.

3- وتارة بلفظ إياه وإياي وفروعهما إذا عطف على المحذر

ومثله ما ورد عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»⁽³⁾

هذا حديث قدسي، في قوله ﷺ: فيما يرويه عن ربه: "(يؤذيني ابن آدم) وهنا أسلوب خبري لعله بلاغية تكمن في التحذير والتوبيخ والزجر والتهكم؛ لأنَّ هذا يؤذي الله -جلَّ جلاله. وعليه أن يفهم أن الكلام دلالي، ويتعين عليه أن يستحضر قوة الله تعالى، وأن ما يؤذيه ينم عن رحمته بعباده الفقراء والمساكين كما ظهر ذلك جليا في الأحاديث القدسية التي أظهرت رحمته عز وجل بالجائعين والظمآنين والمرضى، وفي المقابل فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن هذا الحديث القدسي إنما جاء بغرض التحذير والتنبيه.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»⁽⁴⁾

(1) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ النهي عَنْ التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب، 172/6: رقم الحديث 5724.

(2) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ص518.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الرجل يسب الدهر، 369/4: رقم الحديث 5274.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4833.

أُسلوب خبري في قوله (الرجل على دين خليله)، وقد أفادت كلمة (يخالل) المشاركة والاستمرارية والكثرة، فهي على وزن (يفاعل)، فجاءت هكذا لتؤكد على أن من يسير على نظام وطبع خليله وصاحبه باستمرارية سيتأثر به حتماً؛ ولكن لا يأتي هذا التأثير والتأثر مباشرة وليس وليد لحظة؛ بل بعد استمرار؛ لذا كانت كلمة (يخالل) هي على وزن يفاعل والتي تفيد لغويا وصرفيا المشاركة من الطرفين والاستمرارية، فالتقى النحو مع البلاغة واللغة والصرف معا.

3-بيان العاقبة:

ومثله ما ورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْغَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ»⁽¹⁾.

أُسلوب خبري، في قوله ﷺ: (الغادر يرفع له لواء)، وغرضه بيان العاقبة، لكل من يفعل ذلك، وقد جاء الخبر لافتا للانتباه وجاء ممزوجاً بشيء من التهديد.

4-التقريع:

وعرف التقريع بأنه: "توجيه اللوم والعتاب الشديد الموجه، وأصلُ الْقَرْعِ الضَّرْبُ".⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ خُنَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: ابْنُ حُسَيْنٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَلَمْ يَذْكُرْ حَفْصُ أَبَا هُرَيْرَةَ»⁽³⁾.

أُسلوب خبري جاء على صيغة القسم، في قوله ﷺ: (كفى بالمرء)، وهو من باب التقريع، وجاءت الباء مزيدة للتأكيد، لقد استوقف الباحث في هذا الحديث النبوي الشريف إذ رأى في مطلع ما يظهر براعته وحسن ابتدائه ومن زاوية أخرى وجد الباحث اندماج التركيب النحوي بالبلاغة النبوية فكلمة (كفى) تعني كما ترى المعاجم (أجزأ) وأيضا (تكفي وتغني) وقد جاءت واستعملت في تقوية اتصاف فاعله في كلمة (بالمرء) بوصف يدل هذا الفاعل والموجود في التمييز الذي ذكر في الكلمة التي تليه وهي كلمة (ثما) ومن الملحوظ أن الفاعل (بالمرء) جاء ملحقا بالباء الزائدة؛ ولكن الزيادة في نظر الباحث ههنا لم تأت دون ان تترك بصمة بلاغية ودلالية؛ بل جاءت الباء للتوكيد.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ ما يدعى الناس بأبائهم، 53/1: رقم الحديث 6177.

(2) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص210.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الستر على المسلم، 373/4: رقم الحديث 4992.

وقد تطرق ابن عاشور إلى الباء الزائدة فقال: (وهي باء زائدة لتوكيد الكفاية، بحيث يحصل إبهام يشوق السامع إلى معرفة تفصيله فيأتون باسم يميز نوع تلك النسبة ليتمكن في ذهن السامع) وعليه، فقد جاءت الباء مؤكدة لكلمة كفى وجاء التمييز -أيضاً- ليوضح الغموض الذي لحق بالفعل في الجملة كما جاء لتوضيح الفاعل الذي جاء بباء زائدة.

4- التوبيخ:

ومثله ما ورد عَنْ عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فَرِيَةٌ لِرَجُلٍ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرَهَا. وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَى أُمَّهُ).⁽¹⁾

أفي قوله: "(إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ...)"، والخبر إنكاري لوجود (إن) واللام في (لرجل) ولم يأت مجرد خبر عابر أو جملة نحوية تسرد، بل جاء بغية التوبيخ والزجر من متصرفه والقائم بهذا الفعل الشنيع.

5- النصيحة والإرشاد:

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ:⁽²⁾

أُسلوب خبري في الحديث (خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا) والسر البلاغي فيه هو النصيحة على فعل هذا الصنيع ودعوة إلى توسعة المجالس لاستقبال المسلمين فيها؛ وبالتالي فإنَّ الباحث يرى أن فيه زيادة في حب التطبيق.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيُّكُمْ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامَ سَمَانٍ؟) قُلْنَا نَعَمْ : قَالَ (ثَلَاثَ آيَاتٍ يَقْرَأُهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ⁽³⁾ سَمَانٍ عِظَامٍ)⁽⁴⁾

في قوله ﷺ: (ثَلَاثَ آيَاتٍ ...)، وجاء بغرض النصيحة والإرشاد، وفيه دلالة تحفيزية وإغراء لكسب الثواب وحث على ذلك.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ما كره من الشعر، 1237/2: رقم الحديث 3761.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ سعة المجلس، 257/4: رقم الحديث 4820.

(3) خلفات: جمع خلفه، وهي الحامل من النوق.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3782.

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرِحُوا بِشَيْءٍ لَمْ أَرَهُمْ فَرِحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَفْعَلُ بِمِثْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (المرء مع من أحب) من أجل النصيح والتحفيز والتشجيع، وفيه إشارة دلالية لضرورة الأخذ بعين الاعتبار إلى معرفة الأصحاب والأصدقاء وإلى أين تقع المحبة من تلك القلوب لأنها ستحشر يوماً ما معها.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْعَمَرِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنْ أَحَبَّ الْأَسْمَاءُ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (إِنْ أَحَبَّ ...) بغرض الحث، ولقد ذكر النبي ﷺ (عبدالله) و(عبدالرحمن) من أحب الأسماء إلى الله -جلّ جلاله- لربنا للأسباب أبرزها: أَنْ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْعَبُودِيَّةُ.

إن أفضل اسم على وجه الأرض هو اسم الله -جلّ جلاله-، ولعلّ علماء الأصوات ودوا أن اسم الله -جلّ جلاله- (الله) هو مقطع صوتي واحد كما رأوا في مخابرتهم ومراكزهم الصوتية وهذه بشهادات الغرب قبل العرب، وكأنه من اسم الله -جلّ جلاله- ومن هذا المقطع الصوتي الواحد يؤكد على وحدانية الله -جلّ جلاله- وتفرد بالعبودية وأما اسم (الرحمن) فهو من أسماء الله -جلّ جلاله- وجاء الاسم الثاني بعد اسم الله -جلّ جلاله- في أول آية في أول سورة من القرآن الكريم في سورة الفاتحة، في قوله ﷺ: -جلّ جلاله- (باسم الله الرحمن الرحيم) ثم إن لفظ الرحيم من الرحمة خاصة بأهل الجنة أما الرحمن فهي صفة للرحمة لأهل الأرض في الدنيا.

ومثله ما ورد عَنْ بَشِيرِ بْنِ مَهَاجِرٍ عَنْ ابْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلِكَ وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ)⁽³⁾

خبر في قوله ﷺ: (يجيء)، وجاء جملة فعلية دلالة على الاستمرارية، وفي المقابل جاء للحث، وكأنه سيأتي القرآن باستمرار لتحدث وينطق قائلاً أن مؤنس باستمرار هناك لأنك سهرت الليالي وأرهقت فسم في الدنيا، فيكون هذا كثواب فكافئ لمن يقرأ القرآن في الدنيا وثم إن

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، 333/4: رقم الحديث 5127.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء ما يستحب من الأسماء، 133/5: رقم الحديث 2834.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3781.

الأدب في الحديث هو الإنصاف والعدل القرآني الذي يكافئ قارئه في الدنيا حيث ينال أجورا عظيمة.

ومثله ما ورد عَنْ ابن عمر عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ (أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن) ⁽¹⁾

أُسلوب خبريٍّ من أول الحديث إلى آخره والغرض التحفيز والتشجيع والتحبب ومن الجدير ذكره أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذكر لفظ (عز وجل) رغم أنه لم يذكر ذلك في أحاديث كثيرة، ولعلَّ ذلك يناسب المقصود في الحديث؛ لأنَّه يحفز المسلمين على اختيار أسماء تشعر بالعبودية لله تعالى؛ لذا قال (عز وجل).

6- الإباحة:

والإباحة هي حرية الاختيار والانتقاء وتعني عند البلاغيين الأمر بالقيام بالفعل أو تركه. .

ومثله ما ورد عَنْ مروان بن الحكم عَنْ عبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث عَنْ أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ : قَالَ (إن من الشعر لحكمة) ⁽²⁾

وذلك في قوله إن من الشعر لحكمة من ضرب الإنكاري لوجود إن التوكيدية وكذلك اللام في كلمة (لحكمة)، ولعلَّ الغرض البلاغي والسر الدلالي يقع حول تعظيم شأن الشعر والحكمة، وأيضا الإباحة حيث ظنَّ المسلمون في بداية الأمر أن الشعر محظور عليهم، فجاء الخبر في الحديث ليبين لهم ذلك، وفيه تعظيم لشأن الشعر وعلو شأنه.

سابعا - الوعيد:

عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « وَيَلَكُمْ - أَوْ وَيَحْكُمُ قَالَ شُعْبَةُ شَكَّ هُوَ - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ». وَقَالَ النَّضْرُ عَنْ شُعْبَةَ وَيَحْكُمُ. وَقَالَ عُمرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ وَيَلَكُمْ أَوْ وَيَحْكُمُ ⁽³⁾ .

أُسلوب خبريٍّ، في قوله ﷺ : (ويلكم) وجاء بغية الوعيد والزجر، وليس مجرد خبر نحوي عابر، بل لغرض زجر ومنع لمن يفعل فعلة الجاهلية الأولى هي الاقتتال والفتنة وكأنها

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ما يستحب من الأسماء، 1229/2: رقم الحديث 3728.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الشعر، 1235/2: رقم الحديث 3755.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6166.

إشارة للمسلمين أن يجتنبوا هذه الأفعال ولعل كلم كفارا والتي تعني العصيان وليس المعنى الحقيقي لها يؤكد على عظم هذا الذنب.

وجاء في الحديث أيضا نهى في قوله (لا ترجعوا). وبالتالي قوي الحديث بلاغة حين استهل بالنهي وختم بالخبر.

ومثله ما ورد عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَّةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » (1).

أسلوب خبري، في قوله ﷺ: (كل أمتي معافى) وجاء الخبر هذا لعل بلاغية قيمة دلالية، حيث إنه -جلّ جلاله- يريد أن يلفت انتباه الأمة بخطورة المجاهرة بعد أن تم إعفاؤها من الفضح والمجاهرة وكشف ما ستره الله -جلّ جلاله-، وبالتالي الجملة خبرية نحويًا وبقصد التهديد والوعيد بلاغيا.

8- الاسترحام:

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً، جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ » (2).

أسلوب خبري، وذلك في قوله ﷺ: (جعل الله الرحمة ...)، وغرضه إظهار الرحمة، وجاء الخبر من أجل التوضيح وإبراز المعنى وإظهار الأمر، وبالتالي لم يأت الخبر إلا ليمنح غرضًا بلاغيا يحث فيه المسلم على أن يكون رحيما بالإنسان حتى ولو كان على غير هدى، على الحيوان سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا.

الخلاصة:

- ورد كثيرا من الاحاديث الخبرية من أجل التشويق والامتناع، وفي المقابل هنا أخبار مفادها الزجر والتهديد والتقريع والوعيد والتوبيخ.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 60، 53/1: رقم الحديث 6069.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 19، 53/1: رقم الحديث 6000.

المبحث الثاني:

التركييب النحوية للأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية.

الإنشاء لغةً:

الإيجاد والإحداث.

– الإنشاء اصطلاحاً:

- هو "الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، وهو ما لا يجعل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به". (1) .
- الانشاء الطلبي "وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وه خمسة أنواع الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء". (2) .
- الانشاء غير الطلبي: "وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله أساليب متلفة منها. صيغ المدح والذم، والتعجب والقسم والرجاء". (3) .
- ولأن البلاغة وأغراضها تظهر جليا كما يرى البلاغيون في موضوعات الإنشاء الطلبي اكتفى الباحث بطرق باب الإنشاء الطلبي كما يلي.

الأساليب الإنشائية الطلبية

وتتخصر هذه الأساليب – كما ذكرها النحاة والبلاغيون – في خمسة أساليب فقط وهي: الأمر والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء.

أولاً: الأمر وأغراضه البلاغية.

أولاً – الأمر في اللغة: الأمر هو نقيض النهي، أمره به، بأمره أمراً، أو إماراً. (4)

(1) مداخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني – علم البيان – علم البديع، أ.د يوسف أبوالعدوس، ص 53

(2) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ص 70 – 72.

(3) المصدر السابق، ص 70-72.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مادة أمر.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي:

قال صاحب المفتاح: "هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء والإلزام".⁽¹⁾ ومن المعلوم أن الأمر الحقيقي يكون دائما للوجوب ويتحقق ذلك بتوفر شرطي الاستعلاء والإلزام معا، فإن اختلف أحد الشرطين كالاستعلاء أو الإلزام ولم يكن على سبيل الحقيقة، وإنما خرج لإفادة معنى بلاغي يفهم من خلال السياق وكذلك من تحديد جهة الأمر ولمن وجه هذا الأمر والموضوع المتحدث فيه.

والأمر هو ما دلّ على وقوع حدث ما في الزمن المستقبل. وسمّي أمرا؛ لأن المتكلم يتوجه إلى المخاطب أمرا إياه أن يقوم بعمل ما لم يقم به بعد.⁽²⁾

وقيل: هو "كلمة دلت على الطلب بذاتها" أي بانضمام غيرها إليها. فخرج: ما لا دلالة له عليه أصلا. كالمضارع، وفعل التعجب. وما دل عليه بواسطة. نحو: لا تضرب. فإن دلالاته عليه بواسطة حرف النّهي الذي هو طلب الترك.

ولابد (مع) ذلك من (قبول) ها (ياء المخاطبة)، أي ياء الفاعلة - وهي اسم مضمّر عند سيبويه والجمهور.⁽³⁾

وقد عرفه البلاغيون بقولهم: "هو طلبُ حصولِ الفعلِ من المخاطبِ على سبيلِ الاستعلاء والإلزام"⁽⁴⁾، وقد تخرّج صيغةُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ المتقدّم . فيرادُ منها أحدُ المعاني الآتية بالقرينة، لكنّ الظاهر أنها مستعملةٌ في معناها الحقيقيّ، وإنما تختلفُ الدواعي.

ثانيا: الأغراض البلاغية للأمر مع بيان القيم الجماليّة والدلالية فيها:

تبين للباحث أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبوي أن الأمر له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى أربعة أغراض وهي كما يلي:

أولا- التحذير:

وهو "تنبيه المخاطب على أمرٍ مكروهٍ ليجتنبه".⁽⁵⁾

(1) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، شرح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ص425.

(2) القواعد التطبيقية في اللغة العربية، د. نديم حسين دكتور، ص138.

(3) شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله الفاكهي النحوي، تحقيق: د. المتولي رمضان الدميري، ص110.

(4) الخلاصة في علوم البلاغة، علي بن نايف الشحود، ص9

(5) انظر: شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد الحازمي، موقع الشيخ الحازمي 12/112

ويندرج تحت هذا الغرض حديث النبي ﷺ: يقول (الوالد أوسط أبواب الجنة فأضع ذلك الباب أو احفظه) ⁽¹⁾

وذلك في كلمة فأضع وكذلك (احفظه) غرضه التحذير، يرى الباحث أنه لا يوجد سوى النجدين والسبيلين اللذين لا ثالث لهما وهما طريق الخير والفلاح وطريق الشر والفساد، فإما أن تبرّ فتعبر الجنة، وإما أن تعقّ فلا تعلم إلى أين مصيرك؟

ومثله ما ورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا» ⁽²⁾، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» ⁽³⁾

وذلك في قوله ﷺ: (وكونوا). ومن الالفت-هنا-أنه بدأ الحديث بأسلوب تحذير بغرض النهي ثم جاء بأسلوب توكيدي بغرض النهي، ثم تلا ذلك بخمسة من النهي بغرض الزجر والمنع عن فاعلي هذه الأمور، وعليه أصبحت هناك سبعة من الأمور المنهية؛ ولكن الأجل أنه استهل وتوسط حديثه ﷺ بنهي ثم ختم بأمر. وهذه من البلاغة النبوية الحميدة.

ومثله ما ورد عن ابن مسعود، أَنَّهُ قَالَ: «اقْتُلُوا الْحَيَاتِ كُلَّهَا، إِلَّا الْجَانَّ الْأَبْيَضَ، الَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ فِصَّةٍ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «فَقَالَ لِي إِنْسَانُ الْجَانُّ لَا يَنْعَرِجُ فِي مِشْيَتِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا صَحِيحًا كَانَتْ عَلَامَةً فِيهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ» ⁽⁴⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (اقتلوا الحيات) للتحذير والتخويف.

ثانياً- النصح والإرشاد.

ومثله ما ورد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ (إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم. فأطعموهم مما تأكلون. وألبسوهم مما تلبسون. ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفتموهم فأعينوهم) ⁽⁵⁾

وذلك في قوله ﷺ: (أطعموهم وألبسوهم) من باب النصح والإرشاد.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالدين، 1208/2: رقم الحديث 3663.

(2) تحسسوا: التحسس شبه التسمع والتبصر، والتجسس بالجيم: البحث عن العورة.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 57، 53/1: رقم الحديث 6064.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قتل الحيات، 366/4: رقم الحديث 5261.

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الإحسان إلى المماليك، 1216/2: رقم الحديث 3690.

وقيل: "وهذا على الاستحباب ولا يجب عند أحد من العلماء أن يطعمه من كل ما يأكل من الأدام وطيبات العيش، بل إذا أطعمه من الخبز ما يقوته كان قد أطعمه مما يأكل لأن (من) للتبعيض وهو على حذف المضاف أي من نوع ما تأكلون"⁽¹⁾ .

وبالتالي جاء الأمران خارجين عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي المتمثل في الإرشاد النبوي، والنصح على الإحسان إلى الرقيق والخدم والأجير ومن شاكلهم. ومن زاوية أخرى فنجد فيه عدم الترفع على المسلمين والمؤمنين وعدم الاحتقار لهم.

ومثله ما ورد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى".

وذلك في قوله: "أحفوا و أعفوا والغرض النصح والإرشاد، حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على النظافة وينصحهم بالعمل على ذلك دوماً.

ومثله ما ورد عن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ (اعبدوا الرحمن وأفشوا السلام)⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: اعبدوا. وفي قوله ﷺ: أفشوا، من باب النصح والإرشاد، فقد أوتي جوامع الكلم وركز هنا على قضية مهمة وموجزة ومقتضبة ومعبرة وهي عبادة الرحمن - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ثُمَّ تلا ذلك إفشاء السلام؛ لأنَّ السلام بين عباد الرحمن يؤدي إرضاء السلام - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فمن أسمائه الرحمن، ومن أسمائه السلام، والسلام من قبل الإنسان لأخيه الإنسان فيه رحمة وسلام، وفيه رفق وحنان لبني الإنسان؛ لذا جاء الأمران خارجين عن إطارهما الحقيقي والواقعي إلى شيء من البلاغة النبوية، وهو النصح والإرشاد؛ بل الأهمية والعمل بالشيء، فإنَّ اعتناق عبادة الرحمن بإفشاء السلام لهو دلالة على أهمية نشر المحبة والود ونبذ الحقد.

ومثله ما ورد عن أنس، قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّ فُلَانٍ اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاجِي السِّكِّ شِئْتَ حَتَّى أَجْلِسَ إِلَيْكَ» قَالَ: فَجَلَسْتُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا ثُمَّ يَذْكُرُ ابْنُ عِيسَى حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا..⁽³⁾

(1) كتاب صحيح مسلم، شرح محمد الأبي ومحمد السنوسي، 59/6.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إفشاء السلام، 1218/2: رقم الحديث 3694.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الجلوس في الطرقات، 257/4: رقم الحديث 4818.

وذلك ، في قوله ﷺ: (اجلسي) من باب النصح والتلطف بهذا المرأة. ومن زاوية أخرى: "فيه دليل على كراهة الجلوس على الطرقات للحديث ونحوه، وهو محمول على ما إذا لم يكن إلى ذلك حاجة". (1)

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا قَدَّمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أُولِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ» (2)

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه (أمر)، في قوله ﷺ: (أولم ولو بشاة) وقد جاء الأمر من باب النصح والتحفيز والإغراء؛ بل زاد الإغراء حين قال: (ولو بشاة) وهذه دعوة تيسيرية لمن حاله الاقتصاد بين الغنى والفقر، وهذه من سماعة الإسلام.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الرَّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» قَالَ سَلَمَةُ: «فَرَوْحُ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُّوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» (3)

وذلك في قوله (سلوا الله خيرها) وكذلك، في قوله ﷺ: (استعيذوا بالله من شرها)، فالأمران هنا انطويا تحت وظيفة نفسية وأدبية فأما النفسية فهي ماثلة في الدعاء الذي يولد الراحة النفسية فبالسؤال وطلب جلب الخير فهذا يمنح طمأنينة وراحة للمسلم، والاستعاذة تولد التحصين الإيماني والاستقرار النفسي، أما الوظيفة الأدبية أو التربوية فهي ماثلة في أن يعتاد لسان المسلم على ذكر الله وعلى قول الخير وعلى التوجه والإقبال على صاحب القدرة التي لا يمكن لبشري أن يقتنيها أو يحصل عليها دون إرادة الله تعالى.

وأیضا في الحديث نهي، وذلك في قوله: (لا تسبوا) فالتقى الأمر مع النهي وغرضهما واحد وهو النصح والإرشاد.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحَسَّانَ «اهْجُؤْهُمْ - أَوْ قَالَ هَاجِؤْهُمْ - وَجَبْرِيلُ مَعَكَ» (4)

(1) شرح سنن أبي داود، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رسلان تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط 499/18.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 67، 53/1: رقم الحديث 6082.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا هاجت الريح، 326/4: رقم الحديث 5097.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 91، 45/8: رقم الحديث 6153.

وذلك وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: "اهجهم" وغرضه النصح ويأتي من قبيل الإباحة، لتوضيح أن الهجاء نحو الأعداء ليس ممنوعا في الإسلام، وجاء هذا الأسلوب بهدف توضيح أن الأمر مجاز في الشرع، وفيه حثٌ على الجهاد بهذه السجية وهذه الطريقة.

ومثله ما ورد عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ) (1)

وذلك ، في قوله ﷺ: (فليشر عليه). إن صورة الفعل المضارع تثير حركة ما مع اقترانها بلام الأمر إلا أنها ذات اتجاه بلاغي غرضه الإرشاد، فلم يكن الأمر بهذه الصيغة النحوية والتركيبية اللغوية وهنا المقصود جواب الشرط في قوله (فليشر) بعيداً عن الدلائل البلاغية.

كما يلحظ الباحث في أحاديثه التي برزت وبانت في كتاب الأدب، سيما في الأحاديث التي تستهل بأسلوب الشرط، تراها مليئة بالدلالات، فظاهرها دون استفادة؛ لكن حين التركيز تجد فيها من النصائح المفيدة، ومن التهذيب بمكان.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوباً» (2) مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» (3)

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه (أمر) في قوله ﷺ: (دعوه) وكذلك في كلمة (أهريقوا) غرضه النصح والإرشاد، وجاء الأمر -أيضاً- في الثانية للنصح والحث. وبالتالي فإن جمالية أسلوب الأمر أكدت أننا لا نتعامل مع الجملة بأنها لغوية صماء؛ وإنما نراها تتفاعل مع السياق فتولد المعاني الثانية وتستحضر دلالات جديدة وفوائد بديعة، فالعلان الأول والثاني فعلاً أمر لكنهما أفادا معنى بعيداً عن الحقيقة والجمود بل دلّا على معنى النصح على الصواب فكان الأمران حاملان عنصر الإرشاد النبوي لصحابته الكرام.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ «فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِبَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَى فَقُلْتُ فَإِنِّي أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ «فَصُمْ

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المستشار مؤتمن، 1233/2: رقم الحديث 3747.

(2) ذنوباً: الذنوب (بفتح الذال) وهو الدلو العظيم.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 80، 53/1: رقم الحديث 6128.

مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »⁽¹⁾.

وذلك ، في قوله ﷺ: (قم) و(نم) و(صم) و(أفطر) وجاء الأمر لعلّة بلاغيّة، وهي النصّح والإرشاد والإشفاق والرحمة بالمؤمنين، فالدين وسطي يتوسط بين الجهاد والاجتهاد وبين الراحة والاستراحة، بين القيام والنوم، بين الإفطار والصوم...

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)⁽²⁾

وفيه وذلك ، في قوله ﷺ: (أفشوا السلام) وغرضه البلاغيّ النصّح والإرشاد.

كما أن الأصل في الأمر أن يكون من جهة عليا مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأمر أكثر دراية ومعرفة ممن هو مأمور فلا يرغب إلا في خير واستقامة للمأمور لذا كان التوجه من قبل الرسول عليه السلام لما فيه خير وفلاح للمسلم وغير المسلم.

ونظير ذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ هَلَكْتُ وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ « أَعْتَقَ رَقَبَةً ». قَالَ لَيْسَ لِي. قَالَ « فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ». قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ « فَأَطْعِمِ سِتِّينَ مِسْكِينًا ». قَالَ لَا أَجِدُ. فَأَتَى بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَرَقُ الْمَكْتَلُ فَقَالَ « أَيْنَ السَّائِلُ تَصَدَّقُ بِهَا ». قَالَ عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلٌ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ « فَأَنْتُمْ إِذَا »⁽³⁾.

وذلك في قوله: "اعتق" و "صم" و "أطعم" وجاء الأمر فيها من باب النصّح والإرشاد إلى فعل الخير والصلاح.

ومثله ما ورد عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ قُلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ تَبْعُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَا. فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ ؟ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا. وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخَذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ)⁽⁴⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إفشاء السلام، 1217/2: رقم الحديث 3692.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6087.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ حق الضيف، 1212/2: رقم الحديث 3676.

وذلك ، وغرضه ومقصده النصح والنصح والإرشاد، وذلك في قوله ﷺ: (فأمرُوا-واقبلُوا-
وخذُوا)، ولم يترك-هنا-أسلوب الشرط وأساليب الإنشاء الأمرة إلى مقاصد تعليمية أو تربوية أو
اجتماعية.

ومثله ما ورد عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ الْبَدَاوَةِ،
فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التَّلَاعِ، وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبَدَاوَةَ مَرَّةً فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحَرَّمَةً
مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ، ازْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا
نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ»⁽¹⁾

وذلك في قوله (ارفقي) من باب النصح والحث. ونلاحظ هذا الأمر (ارفقي) أنه يجمع بين
الحقيقة النحوية -وهو الأمر الصادر من جها عليا إلى جهة دنيا- وبين الغرض البلاغي لهذا
الأمر، ذلك أن الأمر هو الرسول ﷺ أما الغرض البلاغي فهو واقع في الطلب الذي أنتجه هذا
الأمر والمائل في النصح والتلطف والإرشاد.

ثالثا - التشويق:

ومثله ما ورد عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ. فَنُصِفَهَا لِي
وَنُصِفَهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ). قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اقْرَءُوا يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمْدُنِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَيَقُولُ
أَتْنِي عَلِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ. فَيَقُولُ اللَّهُ مُجْدِنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي.
وهذه الآية بيني وبين عبدِي نصفين. يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يعني فهذه بيني
وبين عبدِي. ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ. وآخر السورة لعبدِي. يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم.
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فهذا لعبدِي ولِعَبْدِي مَا
سَأَلَ).⁽²⁾

وفيه أسلوب إنشائي ونوعه أمر في (اقرأوا)؛ للترغيب والتألف؛ فهي متألفة لفظاً ومعنى
مع الحديث؛ لأنَّ الحديث-هنا-عَنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي تَبْدَأُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ، وَأَنَّ اللَّطْفَ الرَّبَّانِيَّ مَثَلَانِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالْقُدْسِيِّ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (ولِعَبْدِي مَا
سَأَلَ)، وَمِنَ اللَّافِتِ لِلانْتِبَاهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَفْسِرَ وَيُوضِحَ مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، كَمَا

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية التماذج، 255/4: رقم الحديث 4808.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3784.

كان يوضح ما جاء في القرآن الكريم، فالسنة النبوية جاءت شارحة وموضحة للقرآن الكريم، وكذلك للأحاديث القدسية.

ومن اللافت أن الحديث يضم كثيرا من الفنون والأساليب مثل: تقديم وتأخير، في (حمدني عبدي) (ومجدي عبدي) (وأثنى علي عبدي)، وتكرار وتأکید في جملة **ولعبي ما سأل**؛ بُغية تثبيت هذا القرار الرباني ثم النبوي، وتأکید على استغلال الفرصة السانحة بين يدي عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض طالبين رحمة الله، كما أن تكرار **ولعبي ما سأل ما يثلج صدر المؤمن**، ويثبت الإيمان، ويرسخه في قلبه، فضلا عن الأثر النفسي الذي يخلفه هذا التكرار المقصود، والذي يبعث فيه الحياة الروحية من جديد كلما تراجع المسلم أو تكاسل، كما أن هذا الحديث المطنب ببلاغته والتقدير بامتداده جاء تفسير نبوي راقٍ يضاهي كل تفسير البلاغيين والمحدثين، فقد جاء تفسير آيات أم الكتاب مستوضحة بمغازي عقديّة، وبمعانٍ دلالية، كما اتضح في جملة (ولعبي ما سأل) وكذلك في نهاية الشرح والتفسير لسورة الفاتحة قال: (هذا لعبدي ولعبي ما سأل)، وهي مختلفة عما سبق دلالة على أن الله -جلّ جلاله- سيعطي الخير مضاعفا لا متساويا، فالأجر كالحبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة؛ بل الله يضاعف لعباده ما لا يتخيلون.

ومثله ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ « أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا، وَلَا تَحْتَ وَرَقِهَا ». فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « هِيَ النَّخْلَةُ ». فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ يَا أَبَتَاهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا. قَالَ مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا، فَكَرِهْتُ⁽¹⁾

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه أمر، في قوله ﷺ: (أخبروني...) وغرضه التشويق والإثارة وإعمال العقل. فهذا الفعل هو فعل أمر بل جملة الفعلية التي التصق بها الفعل بالفاعل بالمفعول مما لفت انتباه السامع، وبالتالي سيلحق فعل الأمر غرض بلاغيّ ينحدر من التركيب النحوي المتمثل في الجملة الفعلية المستهله بفعل أمر، فكانت النتيجة أن الأمر يستثير الفكر ويعمل العقل، ويشوق السمع، ويحبس النفس؛ لانتظار ما سيأتي به النبي ﷺ من تشبيهات وعلاقات تزيل الغموض الذي قد يلحق بالمسلم.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 89، 53/1: رقم الحديث 6144.

ومثله ما ورد عَنْ حازم بن حرملة قَالَ مررت بالنبي ﷺ: فقال لي (ياحازم أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. فإنها من كنوز الجنة) ⁽¹⁾

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه أمر، في قوله ﷺ: (أكثر) للحث والإغراء والتشويق.

ومن الجميل ذكره أن: " ما في السماء والأرض له تحول من حال إلى حال، وذلك التحول لا يقع إلا بقوة، فذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده،، فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوي والسفلي، وكل قوة على تلك الحركة كحركة النبات وحركة الحيوان، وحركة الفلك، وحركة النفس والقلب، والقوة على هذه الحركات التي هي حول، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ⁽²⁾

لكن الخطأ الذي يقع في المسلمون اليوم أن هذه الحوالة لا تقال إلا عند البلاء والابتلاء وهذا غير صحيح حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : هذه الكلمة كلمة استعانة لا كلمة استرجاع وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعا لا صبورا. ⁽³⁾

رابعاً - الدعاء :

وهو اسم ومصدر ومثله وفعله دعا يدعو ⁽⁴⁾ وقد سمّاه ابن فارس (المسألة) ويتجه الأمر بكلامه إلى من هو أعلى منه على صفة التضرع والضعف والابتهاال والرجاء والاستكانة والاستعطاف، أو الانتقام. ⁽⁵⁾

ومثله ما ورد عن جرير رضي الله تعالى عنه قال ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم في وجهي. وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ " اللَّهُمَّ نَبِّئْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا " ⁽⁶⁾

وذلك غرضه الدعاء، في قوله ﷺ: (نبتة) و(واجعله).

وقد كان هذا الأمر الدعائي من باب الإشفاق والترفق على الرجل الذي لا يجيد الخيالة والفروسية، وفيه - كما قال صاحب عمدة القاري: "فضل الفروسية وأحكام ركوب الخيل، فإن

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ لا حول ولا قوة إلا بالله، 1275/2: رقم الحديث 3826.

(2) <https://akhawat.islamway.net/forum/topic/335620> 3 يونيو 2015.

(3) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، 390/2.

(4) انظر الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، ص 184.

(5) انظر: جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص 124

(6) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ 68، 53/1: رقم الحديث 6090.

ذلك مما ينبغي أن يتعلمه الرجل الشريف والرئيس. وفيه: أنه لا بأس للإمام أو للعالم إذا أشار إليه إنسان في مخاطبة أو غيرها أن يضع عليه يده ويضرب بعض جسده، وذلك من التواضع واستماله النفوس. وفيه: بركة دعوته ﷺ؛ لأنه جاء في الحديث أنه ما سقط بعد ذلك من الخيل⁽¹⁾.

خامسا - التهذيب والإكرام:

ومثله ما ورد عن أبي سعيد الخدري، أن أهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد أرسل إليه النبي ﷺ، فجاء على حمار أقمر فقال النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم»، فجاء حتى قعد إلى رسول الله ﷺ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (قوموا)، والمراد منه التهذيب والتربية الإسلامية، فهذا الأمر حث وتعليم للمسلمين على القيام، إن جاء سيذا كبيرا أو رجلا من علية القوم أو من الأعيان والوجهاء، وعليه فإن القيام والوقوف إلى مثل هؤلاء الأشخاص لا يضر شيئا، ولا غضاضة فيه ولا إثم؛ لأنه يربي على حسن المعاملة والدين المعاملة وفيه غرض التهذيب والإكرام.

ثانيا: الاستفهام.

أولاً- التعريف لغة واصطلاحاً:-

- في اللغة

الاستفهام لغةً هو (طلب الفهم)، جاء في لسان العرب "استفهمه، سأله ان يفهمه. وقد استفهمني الشيء فافهمته وفهمته تفهيماً"⁽³⁾، وقيل: "تصور المعنى في لفظ المخاطب"⁽⁴⁾. قال الراغب في المفردات "الاستفهام ان يطلب من غيره ان يفهمه"⁽⁵⁾.

- المفهوم الاصطلاحي:

عرفه القزويني بأنه: " طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة".

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 280/14.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في القيام، 355/4: رقم الحديث 5215.

(3) لسان العرب، ابن منظور، (فهم) 459/2.

(4) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، 93.

(5) المفردات، الراغب الاصفهاني، ص 386.

ثالثاً: الأغراض البلاغية للاستفهام مع بيان القيم فيها:

قال البلاغيون العرب في الدراسات الأدبية أن أدوات الاستفهام لا تتوقف عند المعاني الأصلية التي ينتهي إليها أسلوب الاستفهام الحقيقي الذي يتطلب إجابة محددة. ولكن الاستفهام قد لا يبحث عن إجابة محددة؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء؛ وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالاته المجازية الدلالة الحقيقية فيصبح بمعنى الخبر، لا بمعنى الإنشاء⁽¹⁾

وتبين للباحث أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبوي أن الاستفهام له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى سبعة أغراض وهي كما يلي:

1- التشويق

ومثله ما ورد عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)⁽²⁾

وفيه الإنشاء الاستفهامي غير الحقيقي وغرضه البلاغي التشويق والتحبب.

ومثله ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ بمئى « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « بَلَدٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « شَهْرٌ حَرَامٌ ». قَالَ « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا »⁽³⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (أتدرون أي يوم هذا) وقوله (أتدرون أي شهر هذا) وقوله (أتدرون أي بلد هذا). وقد أعطى هذا الاستفهام غرضاً بلاغياً يتمثل في التشويق وحبس الأنفس وإعمال العقل.

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - وهو القسم الثالث - بهاء الدين السبكي

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إفشاء السلام، 1217/2: رقم الحديث 3692.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 43، 84/5: رقم الحديث 6043.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيْحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامَ سَمَانٍ ؟) قُلْنَا نَعَمْ: قَالَ (فثَلَاثَ آيَاتٍ يَقْرَأُهنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ سَمَانٍ عِظَامٍ) ⁽¹⁾

وفيه أسلوب إنشائي استفهامي بالهمزة في قوله ﷺ: (أَيْحِبُّ أَحَدَكُمْ ...)، ومن الملحوظ في هذا الحديث عنصر التشويق والإغراء الثوابي والبحث عَنْ مكان الخير والأجور العظيمة فقال ﷺ (أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ)، فقد جاء بالهمزة الاستفهامية؛ لتفيد دلالة وهي السرعة، وليكون الردّ وتكون الإجابة سريعة، وعندما تحدث عَنْ من يرغب أن يعود لأهله فيلقي ثلاث خلفات سنان عظام؛ قَالَ بعدها: إِنَّ ثَلَاثَ آيَاتٍ خَيْرٌ، ولم يقل: موازيا لهذه الخلفات الثلاث؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يِضَاهِيهِ شَيْءٌ.

وتلتقي هنا-أيضًا-الأساليب اللغوية مع التراكيب النحويّة مع الأسرار البلاغية، حيث قَالَ: (خير له ...)، وهذه صيغة أفعال التفضيل، والمنتشرة على ألسنة العرب في ذلك الوقت وفيه سر بلاغيّ، فقد جاء من المبالغة والتفضيل ومن باب الخيرية العظيمة، التي يبحث عنها كل إنسان مسلم، فخير البشر من التزم بالقرآن.

والذي نؤكد عليه أن هناك حقيقة هي النبي ﷺ أراد أن يوضح قضية مهمة، وهي أن الإنسان المسلم عليه أن ينطلق من القرآن ثُمَّ الحديث الشريف؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ والحديث هو الموضح والمبين، ولعلّ هذا من الأدب النبوي؛ لذا كان -عليه الصلاة والسلام- يركز على القرآن، ولذا قَالَ في موضع آخر (بلغوا عني ولو آية)، ولم يقل: (ولو حديث)، وهنا قَالَ: (فثَلَاثَ آيَاتٍ) ولم يقل: (فثَلَاثَ أَحَادِيثٍ)، ولعلّ العدد (ثلاثة) هو من الأعداد التي يستخدمها -عليه السلام- كسُنَّةٍ في حياته، ولأن في العدد ما هو مقبول يستطيع الإنسان أن يطبقه في حياته، وهذا من سماحة الدين الإسلامي، وهذا-أيضًا-من الوسطية الإسلامية.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمَعْلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟) قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ. فَأَذْكُرْتَهُ: فَقَالَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ) ⁽²⁾

إنشاء استفهامي غرضه التشويق والتحفيز، في قوله ﷺ: (أَلَا أَعْلَمُكَ).

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3782.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1244/2: رقم الحديث 3785.

وجاءت (ألا) "بتخفيف اللام أتى بها لتنبهه المخاطب لما يلقي إليه بعدها (أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد) وإنما قال له ذلك ولم يعلمه بها ابتداء ليكون أدعى إلى تفريغ ذهنه لتلقيها وإقباله عليها بكليته".⁽¹⁾

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مر به وهو يغرس غرساً: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟) قلت غراساً لي: قَالَ (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟) قَالَ بلى. يا رسول الله: قَالَ (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة)⁽²⁾

وذلك في قوله: (ألا أدلك؟) من باب التشويق، إذ إنه -عليه السلام- كان يكثر من ذكره لأي جديد. كما يرى الباحث أن في الحديث بياناً فضلاً لذكر الله - سبحانه وتعالى - بتلك الكلمات، وأن الأجر منها يستمر في الآخرة، وعليه فالاستفهام هنا جاء مناسباً للموقف الذي أجراه أبو هريرة عند زرعه وغرسه فكان بمثابة الموقف التعليمي السليم والمناسب للسؤال الذي سألته الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومثله ما ورد عَنْ النعمان بن بشير قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد. ينعطفن حول العرش. لهن دوي كدوي النحل. تذكر بصاحبها. أما يحب أحدكم أن يكون له (أو لا يزال له) من يذكر به؟)⁽³⁾ .

وفيه أسلوب إنشائي، ونوعه استفهام، في قوله ﷺ: (أما يحب...)، وغرضه البلاغي التشويق والإرشاد.

من الملحوظ هنا أن (أما) الاستفهامية تلتها كلمة (يجب) وهذه الكلمة فعل مضارع تتم عن الاستمرارية وكان القصد هنا أن التشويق سيبقى ساري المفعول طالما أنك تسبح وتهلل وتكبر وتحمد وأن من طبق هذه السنة النبوية ستستمر معه السعادة والراحة.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ سَمِعَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ: قَالَ (يا عبد الله ابن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟). قلت بلى. يا رسول الله: قَالَ (قل لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)⁽⁴⁾

(1) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان البكري، 491/6.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3807.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1252/2: رقم الحديث 3809.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ لا حول ولا قوة إلا بالله، 1256/2: رقم الحديث 3824.

وذلك وغرضه التشويق، وحب الخير للصحابة في قوله ﷺ: (ألا أدلك؟). وعليه فهذا الأسلوب الإنشائي لا يريد الاستفسار الاستخبار لأن السائل هو الرسول عليه الصلاة والسلام ه الأعلم وما هو إلا وحي يوحى، والمسؤول هو عبد الله بن قيس ويريد الإجابة الشافية المشوقة من النبي عليه الصلاة والسلام.

وبالتالي "حين يخرج الاستفهام إلى أسلوب مجازي إنما يؤدي ظاهرة جمالية وبلاغية لا تعرف في الأسلوب الحقيقي الذي يسأل به المتكلم عن شيء معروف ومشهور، أو عن معنى يفهم من السياق؛ ويتوجه فيه المتكلم إلى نفسه قبل أن يتوجه به إلى الآخرين". (1).

2- التقرير

التقرير هو الإثبات مع الوضوح؛ وكذلك هو الإثبات مع التسليم... وهو لا يحتاج إلى جواب في الاستفهام المجازي؛ لأنه يقرر فكرة من الأفكار؛ يحمل المخاطب على الإقرار بها؛ وبمعنى آخر السؤال نفسه جواب ثابت. (2). وعرف التقرير -أيضا- بأنه: حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده (3).

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَبِضَ الصَّبِيَّ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ مَا فَعَلَ ابْنِي قَالَتْ أُمُّ سَلِيمٍ هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ. فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ وَاوُوا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - عليه السلام - فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ «أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ». قَالَ نَعَمْ قَالَ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا». فَأُولَدَتْ غُلَامًا فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ اخْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَبَعَثَتْ مَعَهُ بَتَمَرَاتٍ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «أَمَعَهُ شَيْءٌ». قَالُوا نَعَمْ تَمَرَاتٌ. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ (4).

وذلك في قوله ﷺ: (أعرستم)، للتقرير، فهو يعلم أنهما تعرسا، لكنه يريد أن يدعو لهما لذا قال: اللهم بارك لهما، وبالتالي فهذا تقرير؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- يعلم ذلك بل ويقر

(1) جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص164

(2) انظر: جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص164.

(3) انظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ص 180.

(4) سنن مسلم، مسلم، الأدب/ استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله، 174/6: رقم الحديث 5737.

بذلك من خلال الدعاء. وقال صاحب عمدة القاري: "هو من أعرس الرجل، فهو معرس إذا دخل بامرأته عند بنائها وأراد به ههنا الوطء، فسماه إعراساً؛ لأنه من توابع الإعراس" (1).

3- الائتناس:

وعرف الائتناس بأنه: وهو إدخال الأنس والطمانينة إلى قلب الإنسان.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: (يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟) (2)

- وذلك في (ما فعل النُّغَيْرُ؟)، فجاء السؤال من باب التسلية والتحبب والائتناس وذلك بعد وفاة طائر الذي حزن على موته. ومن الجميل ذكره أن لهذا الشطر من الحديث ستين فائدة ذكرها أحد العلماء يظهر من خلالها الائتناس والتسلية، ولعل أبرزها باقتضاب وإيجاز ما يلي:
- فيه جواز الممازحة وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة.
- وفيه التلطف بالصديق صغيراً كان أو كبيراً، والسؤال عن حاله.
- وفيه جواز تكنية من لم يولد له، وجواز لعب الصغير بالطير.
- وفيه جواز إدخال الصيد من الحل إلى الحرم وإمساكه بعد إدخاله.
- وفيه جواز تصغير الاسم ولو كان لحيوان، وجواز مواجهة الصغير بالخطاب والسؤال.
- وفيه أن أسماء الأعلام لا يقصد معانيها، وأن إطلاقها على المسمى لا يستلزم الكذب،
- وفيه مسح رأس الصغير للملاطفة، وفيه دعاء الشخص بتصغير اسمه عند عدم الإيذاء.
- وفيه جواز السؤال عما السائل به عالم لقوله "ما فعل النُّغَيْرُ؟" بعد علمه بأنه مات.
- وفيه الاستدلال به على إطلاق جواز لعب الصغير بالطير. (3)

4- الاستنكار:

والمعنى فيه النفي وما بعده منفي لذلك تصحبه.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 225/20.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المزاح، 1226/2: رقم الحديث 3720.

(3) نقلاً بتصريف من موقع صيد الفوائد، للباحث علي بن محمد بن ونوس.

ومثله ما ورد عَنْ بِنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ « مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعَدَاتِ ». فَقُلْنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَكَّرُ وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ « إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ وَرَدُّ السَّلَامِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ »⁽¹⁾.

وذلك وغرضه الاستغراب والإنكار والدهشة في قوله ﷺ: (مالكوم ولمجلس الصعدات؟).

وقال الحافظ ابن حجر: وزعم ثعلب أن المراد بالصعدات وجه الأرض، والاستفهام إنكاري توبيخي، أي ما كان ينبغي لكم هذه المجالس.⁽²⁾

و(ما لكم) مبتدأ وخبر وعطف على الضمير المجرور بإعادة الجار وقوله (ولمجالس الصعدات) أي التي يصعد منها أصحاب الدور لحوائجهم.⁽³⁾

لكن هذه الجملة الإسمية قد خرجت من إطارها النحوي لتعطي إشارة واضحة تفيد الإنكار والرفض لكل من يفعل ذلك.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ « بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ ». فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدَتَنِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ »⁽⁴⁾.

وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: "متى عهدتني؟"، والغرض هنا الاستنكار، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم يستنكر ذلك، لذا قال: متى علمت أنني أتلفظ بالفحش من القول؟! والمراد: أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسب الرجل أو يقول له كلاماً فاحشاً في مجلسه، وجاء هذا الأسلوب بهدف توضيح أنه لا يجوز للإنسان أن يكون فاحشاً.

(1) سنن مسلم، مسلم، الأدب/ حق الجلوس على الطريق رد السلام، 2/7: رقم الحديث 5773.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 309/5.

(3) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحيي الدين النووي، 412/4.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 38، 16/8: رقم الحديث 6032.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَضْحَكَ الرَّجُلُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفُسِ وَقَالَ « بِمِ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْفَحْلِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يُعَانِقُهَا » . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَوَهَيْبٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامٍ « جَلَدَ الْعَبْدُ » . (1)

أسلوب إنشائي نوعه استفهام وغرضه الاستتكار والاستغراب وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " بم يضرب أحدكم؟"، وجاء هذا الأسلوب بقصد الرفض والزجر لكل من يفعل ذلك .

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضى الله عنه - كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقْرَةَ - قَالَ - فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ، فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « يَا مُعَاذُ أَفَتَأْنِ أَنْتَ - ثَلَاثًا - اقْرَأْ (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) وَ(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) وَنَحْوَهَا » . (2)

أسلوب إنشائي نوعه استفهام وغرضه المنع، وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: "أفتان أنت؟"، وجاء هذا الأسلوب بهدف توضيح الأمر وتعليم معاذ رضي الله عنه حيث يزجره عما تلفظ به بحق أحد الصحابة حين قال: إنك منافق، وبالتالي فإن الاستفهام النحوي خلف بعده شيئاً من البلاغة والدلالة ومفادها -هنا- عدم الحكم على الشخص بموقف أو بقول أو بكلمة.

2-التقريع:

ومثله ما ورد عَنْ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَتْ عَائِشَةُ صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فِتْنَةً عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » (3)

وودلك في قوله ﷺ: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه)، فقد جاء الأسلوب الاستفهامي بغرض التقريع، وهذا الحديث فيه تعريض لانه لم يصرح مباشرة ولم يخصص الشخص المقصود، وفيه معاتبة فقد حصلت منه لهم، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك سترًا

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 43، 18/7: رقم الحديث 6042.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 74، 33/8: رقم الحديث 6106.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 72، 53/1: رقم الحديث 6101.

عليه ، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب، فإنّ الجمال البلاغيّ يكمن -هنا- في استخدام التقريع، بمعنى لم يقل ﷺ متهمًا (بئس فلان الذي قل أدبه على ما أصنعه)، فجاء هذا المعنى بصيغة تهكمية في أسلوب الاستفهام، وبالتأكيد فإنّ قسّمات الوجه ونبرة الصوت تساعد على الحكم في هذا الاستفهام.

وَقَالَ عُمَرُ لِحَاطِبٍ إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . (1)

أسلوب إنشائيّ نوعه استفهام وغرضه التقريع وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر؟ "، وجاء هذا الأسلوب بهدف توضيح الحلال والحرام وأنه على الإنسان أن يحسن الظن، ولا يحكم بما في القلوب لأنها لم يشقها أحد، وهي من السرائر والضمائر، وهي لطائف بلاغية وسماحة نبوية في الوقت ذاته.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَّقْتُ الْبَابَ فَقَالَ « مَنْ ذَا » . فَقُلْتُ أَنَا . فَقَالَ « أَنَا أَنَا » . كَأَنَّهُ كَرَّهَا . (2)

وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " من ذا "، من باب التقريع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة التي كررها مرتين أدت معنى التقريع والتوبيخ، لأن الذي قال أنا لم يفصح عن هويته، ولم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه اللفظة (أنا)، فكان التقريع بتكرار هذه الكلمة وهي إشارة إلى عدم تقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذه اللفظة التي لم تدل على شيء، وجاء هذا الأسلوب بهدف توضيح كره النبي لمن يقول أنا في هذا الموقف، فإن كلمة (أنا) لوحدها لا تكشف هوية الشخص لذا قال عليه الصلاة والسلام أنا أنا

3- التهكم:

وعُرف التهكم بأنه: الإِسْتِهْزَاءُ بِالْمُخَاطَبِ، مَأْخُودٌ مِنْ تَهَكَّمَتِ الْبُرَّةُ إِذَا تَهَدَّمَتْ، (3) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (4)

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 74، 32/8: رقم الحديث 6103

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 17، 68/8: رقم الحديث 6250.

(3) البرهان، الزركلي، 2/ 232، وينظر الإتيان، السيوطي 3/ 111.

(4) [آل عمران: 21].

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَنْقَسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - يَا رَسُولَ اللَّهِ اْعْدِلْ. قَالَ « وَبَيْنَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَا ضَرْبَ عُقَّةٍ. قَالَ « لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَصِيْبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَّمُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ نَذْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ النَّبْضَةِ تَدْرُدُ ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ لَسَمْعَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَالْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ، فَأَتَى بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ ﷺ (1).

في قوله ﷺ: (من يعدل إذا لم أعدل)، فالزجر في هذا السؤال من يعدل؟ وفيه أيضا ما يحمل على النفي بأنه لا أحد، وبالتالي فهو زجر ونفي معا، وفي هذا درس عظيم لأدب الخطاب وبلاغة الرد.

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن يزيد مولى المنبعث عن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة فقال « عَرَفَهَا سَنَةً، ثُمَّ اعْرِفْ وَكَأَنَّهَا وَعِفَاصُهَا، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَالَةُ الْغَنَمِ قَالَ « خُذْهَا، فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذَّئِبِ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَالَةُ الْإِبِلِ قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ - أَوْ احْمَرَّ وَجْهُهُ - ثُمَّ قَالَ « مَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا، حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا ». (2)

أسلوب إنشائي نوعه استفهام ، وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " ما لك ولها؟ "، وغرضه الزجر والتوبيخ وجاء هذا الأسلوب بهدف إرسال رسالة للرجل الذي جاء للرسول ﷺ السؤال فسأل وسأل وأكثر من التسأل حتى وبخه الرسول عليه الصلاة والسلام، فهي دلالة بلاغية وجملية إشارية على رفض النبي ﷺ بما حدث مع هذا الرجل.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6163.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 75، 34/8: رقم الحديث 6112.

4- العتاب:

ويعرف العتاب بأنه: هو طلب الكف عن شيء على سبيل اللوم.⁽¹⁾

ومثله ما ورد عَنْ بِنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَذَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ يَغُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُوفٍ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ حَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَةَ بِرِدَائِهِ

ثُمَّ قَالَ لَا تَغْبَرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُوفٍ أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ اغْشِنَا فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَتِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ « أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ». يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ اغْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اضْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ النَّبْحَةِ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهَ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعَصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ⁽²⁾

وذلك غرضه العتاب والمراجعة والمحاسبة، وذلك في قوله ﷺ: (ألم تسمع؟).

ومن الجميل ذكره أن الرسول ﷺ، استخدم في عتابه هنا بنوع من الأدب النبوي لأنه ذكر كنية المعاتب (أبو حباب) " ولم يقل (كذا وكذا) يعني قوله لا تغبروا علينا ومعلوم أن في ذكر الرجل بكنيته إكراماً له عند العرب وأن النبي ﷺ لم يذكر عبد الله بن أبي بما فيه إهانة له وإنما ذكره بكنيته مع أنه ﷺ سمع منه كلاماً مقذعاً فيه تحقير وإهانة وهذا يدل على أن داعي الحق لا ينبغي له أي أن يقذع في كلامه للمخالفين ولو سمع منهم ما يؤذيه.⁽³⁾

(1) جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص149.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ الاستئذان باب 20، 53/1: رقم الحديث 6254.

(3) الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي

الهزري الشافعي، 335/19

تاسعا - التوضيح:

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فَيُكْم؟» قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾

وذلك في قوله ﷺ: (ما تعدون ...) فالأسلوب الاستفهامي -هنا- غرضه التوضيح.

عاشرا: النصيح والإرشاد

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (أفلا أدلكم...؟)، وهو أسلوب بلاغي راقٍ. وغرضه الإغراء والنصح

حادي عشر: التعجب

ومثله ما ورد عَنْ هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ اسْتَنْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحَجَرِ - يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ - حَتَّى يُصَلِّيْنَ، رَبُّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»⁽³⁾ .
في قوله ﷺ: (ماذا أنزل من الخزائن؟). وغرضه التعجب والدهشة بقدرة الله -تعالى-

الخلاصة:

كثر الأسلوب الاستفهامي في أحاديث الأدب حاملاً معه مزايا بلاغية راقية تتركز حول التشويق والإقناع.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من كظم غيظاً، 248/4: رقم الحديث 4779.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إفشاء السلام، 350/4: رقم الحديث 5193.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 121، 53/1: رقم الحديث 6218.

رابعاً: النّهي وأغراضه البلاغية.

أولاً- التعريف لُغَةً واصطلاحاً:-

في اللُّغة:

هو طلب الكف عن الفعل: جاء في (لسان العرب) (النهي) خلاف الامر، (نهاه، ينهاه نهياً) و(انتهى، وتناهى): كف⁽¹⁾ وقيل: النهي لُغَةً: المنع، يقال: نهيت الرجل عن الامر، انهاء نهياً.⁽²⁾

المفهوم الاصطلاحي:

عرفه العلوي: "هو عبارة عن قول ينبئ عن المنع من الفعل على جه الاستعلاء" كقوله: "لا تفعل"⁽³⁾.

ثانياً: الأغراض البلاغية مع بيان القيم بها:

تبين للباحث أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبوي أن النهي له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى أربعة أغراض وهي كما يلي:

1- الحث والتحذير:

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»⁽⁴⁾

أُسلوب نهْي، في قوله ﷺ: (لا تصاحب).

أُسلوب نهْي، في قوله ﷺ: (لا يأكل طعامك الا تقي). وقد جاء النهي هنا مكون من لا الناهية والفعل المضارع تصاحب ولا الناهية لا يليها إلا فعل مضارع، ولو تم التركيز على هذا الأسلوب لوجدنا فيه دلالة وإشارة إلى أن النهي هنا لابد أن يكون مطبقاً باستمرار ولا ينبغي للمسلم أن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ولا يجوز له أن يصبح ليصاحب مسلماً ثم يمسي فيصاحب كافراً ويتذبذب إيمانه فلا بد من الإخلاص لا الشرك،

(1) لسان العرب: مادة (نهى) : 218/20.

(2) جمهرة الأمثال، الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري، تحقيق عبد المجيد قطامش، 183/3.

(3) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة، 284/3.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4832.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْتَجِي اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِئُهُ»⁽¹⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا ينتجي اثنان...)، فجاء النهي لأجل النصيحة يخلفها الالتزام والالتزام وكذلك التحذير. وقد جاء النهي مكون من لا الناهية وما بعدها فعل مضارع ليؤكد على استمرارية النهي وعدم جواز التناجي إذا تناجى اثنان وبقي واحدا.

ومثله ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، وَلَا تَقْعُوا فِيهِ»⁽²⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تقعوا فيه)، وجاء النهي من باب الحث والإرشاد، حيث يحث -صلى الله عليه وسلم- ومن الجميل ذكره أن هذا النهي يلتقي تركيباً ودلالياً مع "فن النزاهة"، وذلك في قوله ﷺ: (ولا تقعوا فيه) فَإِنَّ اختيار كلمة (تقعوا) أفضل وألطف من كلمة (تسبوا) أو تتطاولوا أو تلعنوا أو غير ذلك من الكلمات التي تتسم بالهجاء المقذع.

ومثله ما ورد عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اسْتَلْقَى أَحَدُكُمْ عَلَى ظَهْرِهِ فَلَا يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى⁽³⁾

وذلك (فلا يضع)، وغرض النهي هنا الحث والإرشاد، فهو ينهى عن هذه الجلسة وهذه الهيئته لأنها غير مرغوب فيها أمام الناس، وهي علامة من علامات عدم التقدير للآخرين، وقد جاء النهي واقعا في تركيب نحوي يسمى أسلوب الشرط غير الجازم حيث جاء مكونا من أداة الشرط غير الجازم وجملة فعل الشرط استلقى وجملة الجزاء أو الجواب والمتمثل في كلمة (فلا يضع)، مما جعل النهي في هذا الأسلوب الشرطي أكثر تأثيرا ونهيا ومنعا، مما لو قيل لا يضع أحدكم رجليه على الأخرى عند الاستلقاء والتمدد.

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»⁽⁴⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تباغضوا) و(لا تحاسدوا) و(لا تدابروا)، فجاء النهي لأجل التحذير. والحسد هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد (ولا تباغضوا)؛ أي: لا تتعاطوا

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التناجي، 263/4: رقم الحديث 4851.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النهي عَنْ سب الموتى، 275/4: رقم الحديث 4899.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في الكراهية في ذلك، 96/5: رقم الحديث 2766.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ فيمن يهجر أخاه المسلم، 53/1: رقم الحديث 4910.

أسباب البغضاء؛ فالبغض حرام إلا في الله تعالى، (ولا تدابروا))؛ أي: لا يهجر أحدهم أخاه، وإن رآه أعطاه دبره أو ظهره.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، فُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَى فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَى قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ » (1).

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تفعل)، وجاء النهي من أجل الإرشاد والتحذير كذلك، والتخفيف عَنْ أمة محمد ﷺ، وعليه فهي إشارة ودلالة نبوية إلى المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية على أن هذا الدين سمح ورحيم.

عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» (2)

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تقولوا ..)، فجاء النهي للتحذير والتنبيه.

ومن المعلوم أن التراكيب النحوية والأساليب اللغوية والجمال العربية تختلف عند الزيادة أو الحذف أو التضعيف أو هيئة النطق والتركيب، وكذلك عند استبدال حرف بحرف أو كلمة بأخرى، لذا نجد أن حرف العطف (و) يتمتع بتوظيفه في بعض الجمل سيما التي ترتبط بجمل التوحيد والعقيدة، ومعلوم أن الواو تفيد مطلق الجمع فحين توظيفها يجب ان توضع بين لفظي الخالق والمخلوق، وفي حذف تقديره (فهو كائن عند الله وعبد الله)، وبالتالي صار هناك جمع وتسوية واشتراك بين الخالق والمخلوق، لذا كان النهي في محله عندما نهى الرسول بقوله: (لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ). ولا بد من حرف يفيد الانفصال أو التمهّل أو التراخي فكان الأمر بوضع حرف (ثم).

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقال خبثت نفسي، 295/4: رقم الحديث 4980.

2- الإرشاد والتوجيه والتذكير:

فهنا يراد بالاستفهام الإرشاد والتوجيه إلى أمر غير الذي تعودته المتكلم أو السامع⁽¹⁾ .

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي مسعود: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا يَوْمَ الرَّجُلِ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَجْلِسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ⁽²⁾

وفيه أسلوب إنشائي، ونوعه نهى، في قوله ﷺ: (لا يَوْمَ)، وقوله (لا يجلس)، وجاء للحث والإرشاد.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ⁽³⁾ شَاةٍ⁽⁴⁾ »

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تحقرن) وغرضه البلاغي النصيح والإرشاد والنصح على تقديم المعروف وفعل الخير والحض على التهادي دون استحقار أو استصغار. يعني أن الرسول . عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا الحديث حث على الهدية للجار ولو شيئاً قليلاً، قال: (ولو فرسن شاة) الفرسن ما يكون في ظلف الشاة، وهو شيء بسيط زهيد كأن النبي . عليه الصلاة والسلام . يقول: لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو قل.⁽⁵⁾

ويقول محمود بدر الدين العيني: "يعني ولو أنها تهدي فرسن شاة والمراد منه المبالغة في إهداء الشيء اليسير لا حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة في المهاداة به، والمقصود أنها تهدي بحسب الموجود عندها ولا يستحقر لقلته؛ لأن الجود بحسب الموجود، والوجود خير من العدم."⁽⁶⁾

ثم يقول في موضع آخر متحدثاً عن الغرض والهدف والمقصد من وراء هذا النهي: "وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشحناء ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة، والهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط

(1) جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص164

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في الاتكاء، 99/5: رقم الحديث 2772.

(3) فرسن شاة: الفرسن بكسر الفاء والمهملة هو عظم قليل اللحم وهو للبعير .

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 30، 53/1: رقم الحديث 6017.

(5) شرح رياض الصالحين محمد بن صالح بن محمد العثيمين 168/2

(6) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 126/13.

للمؤنة، وأسهل على المهدي؛ لإطراح التكليف، والكثير قد لا يتيسر كل وقت، والمواصلة باليسير تكون كالكثر⁽¹⁾

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبَثَ نَفْسِي، وَلْيَقُلْ لِقِسَّتْ⁽²⁾ نَفْسِي»⁽³⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا يقولن ...) وجاء النهي للحث والإرشاد إلى سبيل وطريق الأخلاق، فالخبث موقعه في بيت الخلاء، وعند بني الشيطان، فليس منطقيًا أن تُطلق على النفس الطاهرة بالخبث والخبائث، وقد استبدل ﷺ (لقست) بـ (خبثت).

ومثله ما ورد عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ»⁽⁴⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (لا تسبوا) وغرضه البلاغي النصح على عدم سبِّ الديك والبهائم، وهذا من الأدب النبوي والرحمة النبوية الرفيعة المشفقة على البهائم، فهي تنفع ولا تضر.

وقد أمر النبي ﷺ من سمع صوت الديك أن يسأل الله من فضله "إذا سمعت صوت الديك فقل أسأل الله من فضله فإنها رأت ملكا وبعض الديكة يكون أذانه على دخول الوقت أو قرب دخول الوقت فيوقظ الناس للصلاة فنهى النبي ﷺ عن سبه لهذه المزية التي تميز بها"⁽⁵⁾

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، رَوَايَةً وَقَالَ: مَرَّةً يَنْبَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ «لَا تَتْرَكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ»⁽⁶⁾

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه نهي وغرضه النصح والإرشاد، في قوله ﷺ: (لا تتركوا النار ...) فكان النصح واضحا في الحديث.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني ، ج13/126.

(2) لقست: خبثت

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقول خبثت نفسي، 295/4: رقم الحديث 4978.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الديك والبهائم، 327/4: رقم الحديث 5101.

(5) شرح رياض الصالحين محمد بن صالح بن محمد العثيمين 472/6.

(6) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ العلم، 53/1: رقم الحديث 5246.

3- الزجر:

وَالزَّجْرُ هُوَ الْعِاقَةُ، وَهِيَ التَّشَاؤُمُ⁽¹⁾ هو المنع والردع، والزاجرات هي الملائكة التي تزجر الإنسان في أعماله، وعلى كل واحد منا ملك عن يمينه وشماله، وهي تزجر الكافر عن الشرك والمؤمن عن المعاصي.⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ بِنِ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا يَغْضَبِ اللَّهُ، وَلَا بِالنَّارِ»⁽³⁾

وذلك في (لا تلاعنوا) و(لا يغضب) ف جاء النهي لأجل التحذير.

ومن الواضح جدا أن الرسول ﷺ، يكثر من استخدام فعل نهى المضارع المزيد بحرفين مما يفيد الاشتراك أو المشاركة كما في كلمة (تلاعنوا)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نهى لمن يلعن ولعن يتقبل اللعن أو يسمعه ولا يرفضه؛ لأنه -حتمًا- سيتأثر به وستكون له فرصة سانحة ليتبادل هذه الألفاظ الموحشة والممنوعة شرعا، وبالتالي ستكون هناك مشاركة في هذا الإثم وهذا التلاعن لذا كان الفعل المنهي مزيدا ينم عن التشارك.

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ - قَالَ زَيْدٌ -: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ - وَقَالَ مُسْلِمٌ إِنَّ رَجُلًا نَارَعَنَهُ الرِّيحَ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَعَنَهَا -، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»⁽⁴⁾

يلحظ الباحث أن في هذا الحديث لطيفة من لطائف المعاني والبيان والبديع، فقد استهل الرسول ﷺ بأسلوب إنشائي بُغْيَةِ النصح، فنهى، ثُمَّ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَكَّدَ، ثُمَّ اشْتَرَطَ، فَمَيَّزَ، فَوَصَفَ، وَأَوْغَلَ، ثُمَّ نَفَى، فَقَدَّمَ، وَأَخَّرَ، ثُمَّ أَجَابَ الشَّرْطَ، وَحَذَّرَ.

فالنهي في (لا تلعنوها)، والتوكيد في (فإنها)، والخبر في (مأمورة)، والشرط في (من لعن ... رجعت) والتمييز في (شيئًا)، والوصف في (ليس له...)، والتقديم والتأخير في (ليس له بأهل)، والنفي في (ليس له)، ثُمَّ أَجَابَ الشَّرْطَ وَالْجَزَاءَ وَالتَّحْذِيرَ فِي (رجعت اللعنة عليه)؛ وبالتالي نلاحظ (الإبداع البديعي) في هذا الحديث.

(1) تفسير القرآن الكريم، محمد المنتصر الحسني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، نسخة رقمية

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، نسخة رقمية .

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعن، 277/4: رقم الحديث 4906.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعن، 278/4: رقم الحديث 4908.

ومن الجمال البديعي في هذا الحديث أن التقى النَّفْيُ مع الصفة مع التقديم والتأخير مع إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (ليس له بأهل)

4- الدعاء:

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي، فَتَدْعُو بِهِنَّ» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فلا تكلني إلى نفس ...). وغرضه الدعاء والاسترحام والاستعطاف.

الخلاصة:

- ينقل نبينا -عليه السلام- ما نهى الله -تعالى- عبر هذه الأحاديث، فجاء بعضها كنهية حقيقي من جهة عليا إلى جهة دنيا وبعضها الآخر جاء لعل بلاغية راقية.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 53/1: رقم الحديث 5090.

خامساً: النداء وأغراضه البلاغية.

أ- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

النداء في أصل اللغة: الصوت، وهو مشتق من (الندى)، وهو بُعْدَ الصوت، النداء: الصوت .. وقد ناداه ونادى به، والندى بعد الصوت، ورجل ندى الصوت: بعيدة، والانداء بعد مدى الصوت، ندى الصوت: بعد مذهبه والنداء - ممدود- الدعاء بأرفع صوت (1).

والنداء - بكسر النون - افصح فقد جاء في القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (2).

في الاصطلاح:

اما اصطلاحاً عند النحاة فهو (طلب اقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص) (3)

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو، وأدواته الهمزة، وأي، ويا، وأيا، وهيا (4)، وقد تحدث البلاغيون عنها وفصلوا القول فيها، فمنها ما ينادي به القريب، ومنا ما ينادي به البعيد، مع تركيزهم عن خروجه عن معناه الحقيقي، واهتمامهم بتبيين العلاقة في هذه الأساليب المجازية (5).

كما أنه فنٌ يخرج لمعان مجازية: كالإغراء، والاختصاص، والاستعانة، والتنبية، والتعجب، والتحسر، والتوجع.

وقد جرى النداء في متصرفات كثيرة جداً، وكأنه من أكثر الفنون تصرفاً في المقاصد والمواقف، ومن وراء ذلك "أغراض وأسرار ومذاقات، والبحث في ذلك ودرسه باب جليل من أبواب معرفة الأدب وذوق اللسان" (6).

(1) ينظر كتاب الافعال، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع، ج3/276

(2) [البقرة: 171]

(3) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج2/133.

(4) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن، د. صباح دراز، ص276.

(5) ينظر: حاشية البناني علي مختصر السعد، ج2/28.

(6) دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص268.

"يا" هي الأداة الطبيعية في النداء، إذا هي أكثرها استعمالاً عند العامة والخاصة، ولأنها أم الباب، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها، لأنها تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد لانطلاق اللسان بمدّها دون أن يستأنف عملاً⁽¹⁾.

ب: الأغراض البلاغية للنداء مع بيان القيم فيها:

تبين للباحث أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبوي أن النداء له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى أربعة أغراض وهي كما يلي:

1- الدعاء:

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)⁽²⁾

وذلك وفي كلمة (اللهم) تحذف الياء الندائية، وتعوض عنها بالميم المشددة. وغرضه الدعاء،

وقد التقى النداء بالتوكيد، في قوله ﷺ: إني أخرج، مع الإيجاز بالحذف لأن المراد - كما نلاحظ - إني أخرج عَنْ هذا الإثم والوزر عند فقدان وإضاعة حقهما؛ فاليتيم ضعيف، ولا سند له إلا الله -جلّ جلاله، وسند من رسول الله ﷺ بهذا الدعاء وبالتذكير بحقه.

ومثله ما ورد عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رضى الله عنهما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا»⁽³⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (اللهم) وهي مستبدلة بكلمة (الله) وغرضه الدعاء،

ومثله ما ورد عَنْ حَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعُثُ، عِبَادَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ»⁽⁴⁾

وذلك في قوله ﷺ: (اللهم قني)، فجاء النداء حاملاً معه شيئاً من الانتباه، وفي الحديث بيان بعض هذِي النبي عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ النُّوْمِ.

(1) خصائص التعبير في القرآن، د. عبد العظيم المطعني ص422.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ حق اليتيم، 1213/2: رقم الحديث 3678.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 22، 53/1: رقم الحديث 6003.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 310/4: رقم الحديث 5045.

ومعلوم أن لفظ (اللهم) أصلها حرف نداء (يا) ولفظ الكريم (الله) وعندما حذف الحرف النداء (يا) تعين إضافة ميم مشددة، كما أن هذا النداء من النداءات الأكثر تأثيراً على النفس ومن أعظم الألفاظ الندائية، لذا كثيراً ما توجه الرسول ﷺ إلى استخدام لفظ (اللهم).

ومثله ما ورد عن أنس - رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال قحط المطر فاستسقى ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحب، فاستسقى فشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مطروا حتى سالت متاعب المدينة، فما زالت إلى الجمعة المقبلة ما تطلع، ثم قام ذلك الرجل أو غيره والنبي ﷺ يخطب فقال غرقنا فادع ربك يحبسها عنا. فضحك ثم قال «اللهم حوالينا ولا علينا». مرتين أو ثلاثاً. فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يميناً وشمالاً، يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر منها شيئاً، يريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته⁽¹⁾

وذلك في (اللهم حوالينا)، أي أن النداء في الجملة (اللهم أنزل المطر بجورانا لا في بيوتنا). وجاء الدعاء بعد ضحك النبي ﷺ من الرجل الذي قال واغرقنا فادع ربك يحبسها عنا. وهذه كرامة نبيه ﷺ بفضل الله - جلّ جلاله - إذ حبس المطر عندهم ونزل حواليتهم.

وقال صاحب عمدة القاري: "قوله: (حوالينا) بفتح اللام منصوب على الظرفية أي: أمطر حوالينا ولا تمطر علينا، وقال ابن الأثير: معناه: اللهم أنزل الغيث في مواضع النبات لا في مواضع الأبنية.⁽²⁾

ومثله ما ورد عن أبي هريرة، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: يا رسول الله مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ «قَالَ»⁽³⁾

في قوله (اللهم)، فجاء النداء جاذباً للانتباه عاملاً للعقل وغرضه الدعاء.

ومن الواضح جداً أن في هذا الدعاء ما يؤكد على الإيجاز غير المخل فكلمة اللهم فاطر السموات والأرض توازي يا الله أنت فاطر السموات وفاطر الأرض، لكنه ﷺ استخدم الإيجاز بذكر كلمة (اللهم) واستخدم الإيجاز بحذف المبتدأ وأبقى خبره، كما أوجز عندما حذف

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6093.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 301/22.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 316/4: رقم الحديث 5067.

الكلمة المكررة (فاطر)، وبالتالي فإن هذا التركيب النحوي بهذه الطريقة وهذا النظام الذي حذف فيه ما حذف وأبقى فيه ما أبقى ينم عن البلاغة الرفيعة والدعاء المتزن.

2- التلطف والتحبب:

ومثله ما ورد عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ لِي « أَيْ بُنَى وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ ». قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ. قَالَ « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ »⁽¹⁾.

أسلوب النداء، في قوله ﷺ: (أي بني)، فجاء النداء جاذبا للانتباه عاملا للعقل مؤثرا على النفس.

ومعلوم أن حرف النداء (أي) لا يكون إلا للقريب، وأن بني فيها تصغير صرفي تتم عن التودد والتلطف والتحبب، لذا انسجم التركيب النحوي بالعلة البلاغية فكان هناك حرف نداء قريبي وهناك تقرب وتودد باستخدام كلمة (بني) بدلا من كلمة (ابني)

ومثله ما ورد عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي التِّيَّاحِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: (يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟)⁽²⁾

وذلك، في قوله ﷺ: (يا أبا عمير). والتقى النداء بأنواع أخرى من الفنون البلاغية مثل: السجع، في قوله ﷺ: (عمير) و(التغير).

والنداء غالبا لا يكون إلا من طرفين مثلين في الرتبة أو الدرجة أو الموقعية لكن تواضع النبي ﷺ كسر كل القواعد المبنية على الظلم والإفساد؛ فالنبي -عليه السلام- -هنا- أردا من هذا الإنشاء الندائي أن يلخص لنا قاعدة التواضع للصغار، حتى يحبون الكبار ويسيروا على نهجهم، فقد بكى كثير من الصغار من أبناء الصحابة على فقدان النبي ﷺ ولم يكن هذا وليد ساعة ولا وليد يوم أو بعض يوم؛ ولكن هي سُنَّةٌ محمدية مؤكدة بأن يتواضع الإنسان مع الصغار؛ لأنه بهذا يكون متواضعا مع الجميع؛ لذا مازح النبي ﷺ مع أبي عمير بهذا السجع المحبب ليواسي به الغلام بعد طار من يده هذا الطائر واسمه (النغير)، ثم إن هذه الكنية لطفل صغير هو قمته الإيجابية وقمة التربية وقمة التواضع من قبل النبي ﷺ أما عَنْ البلاغة النبوية؛ فهي

(1) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ جواز قوله: لغير ابنه يا بني، 177/6: رقم الحديث 5749.

(2) النغير: طائر البليل وهو من فصيلة الشرشوريات وحجمه صغير.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المزاح، 1226/2: رقم الحديث 3720.

تربي النشء، وتهذب الخلق والخلق، وقد اجتمع السجع مع النداء مع الاستفهام مع التصغير من باب التحبيب والتودد.

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يُنَبِّئُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ مَحْبُوبٍ وَيَقُولُ كَثِيرُ الْحَدِيثِ»⁽¹⁾

وذلك وقد جاء المنادي -ههنا- بطريقة التصغير، والأثر الدلالي فيه هو الحب والتحبب، والود والتودد، واللفظ والتلطيف، فإن من معاني ودلالات التصغير التحبيب والتلطيف، وهي على وزن فعيل، فإذا اكتفينا من الناحية النحوية قلنا: منادى منصوب، وإذا وجهنا فكرنا إلى البلاغة؛ وجدنا الأثر النفسي والدلالي المائل في تطف النبي ﷺ لأبي عثمان حينما سماه ابن محبوب (الجعد)، فغير اسمه توددا له وتلطفا به، وهذه دعوة نبوية عامة وخاصة معاً فالخاصة أن ينادي باسم لطيف والعامة هي جواز أن يقال لابن غيره يا بني.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ «أَبَا هِرَّ الْحَقُّ أَهْلُ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَى». قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا»⁽²⁾.

وذلك، في قوله ﷺ: (أبا هر) والمراد (يا أبا هر)؛ ولكن المعنى واضح وبيّن؛ لذا حذف (يا) النداء. وفيه تلطف في الجملة.

ومثله ما ورد عَنْ غُرُورَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَذَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَذْرِ حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ حَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَةَ بِرِدَائِهِ

ثُمَّ قَالَ لَا تُعْبِرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَأَقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ اغْشِنَا فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الرجل يقول لابن غيره يا بني، 291/4: رقم الحديث 4964.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ الاستئذان باب 14، 53/1: رقم الحديث 6246.

يَتَوَاتَبُوا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ « أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ». يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ اغْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اضْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّهَ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ⁽¹⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (أي سعد)، فهذا النداء يحمل غرض التحبيب والرفق بسعد رضي الله عنه- ولعله استخدم ﷺ أداة النداء (أي) كنوع من التودد، وحتى تكون التهيئة مناسبة لسعد إذ إنَّ سؤالاً ينتظره في قوله ﷺ: (ألم تسمع ...؟)، فكانت الأداة (أي) للقريب والتقرب وهذا من لطف وسماحة العدنان ﷺ.

3- التحذير:

ومثله ما ورد عَنْ ابْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: يَا عَلِي لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (يا علي) فيه أسلوب إنشائي، نوعه نداء، وغرضه التحذير من تتابع النظرات. ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَخْفَرْنَ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ »⁽³⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (يا نساء)، وغرضه البلاغي التحذير للنساء المسلمات. ومثله ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي. فَرَكَضَنِي بِرَجْلِهِ: وَقَالَ (يَا جَنِيدُ إِنَّمَا هَذِهِ ضُجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ)⁽⁴⁾

وفيه أسلوب إنشائي، ندائي، في قوله ﷺ: (يا جنيد) فجاء النداء جاذبا للانتباه عاملا للعقل مؤثرا على النفس.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ الاستئذان باب 20 53/1: رقم الحديث 6254

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في نظرة المفاجئة، 101/5: رقم الحديث 2777.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 30، 53/1: رقم الحديث 6017.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ النهي عَنْ الاضطجاع على الوجه، 1227/2: رقم الحديث 3724.

4- التوبيخ والتبكي:

هذا النمط يتضمن من المعاني التقرير والخط من القدر بشكل أعظم من السابق؛ وأكثر ما يكون المخاطب فيه مدعياً، كاذباً، منافقاً؛ مخادعاً أو ذليلاً... ويزعم غير الذي هو عليه⁽¹⁾. والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي فالنفي هنا قصدي الاثبات ويعبر عن ذلك بالتقرير أيضاً.⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سَلِيمٍ فَقَالَ « وَنَحْكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُؤْيُكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بَعْضُكُمْ لَعَبَثُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ »⁽³⁾

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه نداء، في قوله ﷺ: (يا أنجشة). فجاء النداء للتحذير وأيضاً جاء جاذباً للانتباه.

ومن اللافت هنا أن النداء جاء قبل اسم فعل امر بمعنى تمهل وذلك في كلمة (رويدك)، ومن هنا نستشف أن الرسول ﷺ ظهرت رحمته بالنساء، كما ظهر تأذيه من صوت أنجشة في حضرة النساء، لذا لم يكن النداء بعد اسم فعل أمر من فراغ، ولم يأت قبل النهي اسم فعل أمر آخر خبط عشواء كما في كلمة (ويحك)، وتعود تلك اللمسة من رسول الله ﷺ تجاه المرأة إلى طبيعة الرحمة العامة القائمة في كيان رسول الله ﷺ تجاه الخلق أجمعين.

5- التشويق والإغراء:

الإغراء: "هو النصح على التزام الشيء، والتمسك به"⁽⁴⁾ "وهو كالتحذير في أنه إن وجد عطف أو تكرار وجب إضمار ناصبه، وإلا فلا، ولا تستعمل فيه إيا فمثال ما يجب معه إضمار الناصب قولك أخاك وأقولك أخاك والإحسان إليه أي الزم أخاك ومثل ما لا يلزم معه الإضمار قولك أخاك أي الزم أخاك".⁽⁵⁾

(1) جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة حسين، ص 164.

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، 2/134.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

(4) كتاب المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الشاملة الحديثة، ص 111.

(5) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني، 3/148.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرَأُكَ السَّلَامَ ». قُلْتُ وَرَحِمَهُ اللَّهُ. قَالَتْ وَهُوَ يَرَى مَا لَا نَرَى⁽¹⁾ .

وفيه أسلوب إنشائي، نوعه (نداء)، في قوله ﷺ: (يا عائش)، وجاء من باب التحبب والتعاطف مع زوجته عائشة رضي الله عنها. ترى العربية أن النداء وجهان وجه حقيقي وآخر مجازي كما ترى أن أداة النداء (يا) يجوز استعمالها للقريب وللبعيد، والمنطق يقول: إن توظيفها للبعيد هو الأصل وهو الحقيقة، بيد أن توظيفها واستعمالها للقريب فهو مجازي وها يكون النداء باستخدام الأداة (يا) من باب النصيح أو التحبب أو التودد.

ومثله ما ورد عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أَرَاهُ مِنْ خُرَاعَةٍ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ غَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنَّا بِهَا»⁽²⁾

وذلك ، في قوله ﷺ: (يا بلال)، فجاء النداء حاملاً معه شيئاً من الانتباه والتركيز والاعتناء.

ومن الجميل القول: إن الحديث في لفات تستدعي الوقوف عندها، أما الأولى فلم يقل النبي ﷺ، أقم الصلاة سأريحكم بها، أما الثانية فلم يقل النبي ﷺ، أرحنا منها قال أرحنا بها رغم أن المنطق يقول الراحة بالتخفيف، لكن جعلت قرّة عين النبي ﷺ الصلاة، وبالتالي جاء النداء النحوي لعلّة بلاغية وفوائد تربوية إيمانية.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 111، 53/1: رقم الحديث 6201.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ صلاة العتمة، 296/4: رقم الحديث 4985.

التركيب النحوية للأساليب الإنشائية غير الطلبية ودلالاتها البلاغية

المطلب الأول: أسلوب الترجي

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة: الرجاء في اللغة: "هو من مادة رجو، ويعني أمله وخافه".⁽¹⁾

المفهوم الاصطلاحي:

هو من أقسام الإنشاء غير الطلبي، وذلك لأن الرجاء ترقب الحصول، مع الجهد والكد في عمله، وهذا بخلاف ما جاء في التمني⁽²⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ونظيره ما ورد عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ قَالَ أَنَسُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِبَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُ؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ، فَتَلَاخَى فُ؛ لِأَنَّ وَفُ؛ لِأَنَّ وَإِنَّهَا رُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَأَلْتَمِسُوهَا فِي النَّاسِعةِ وَالسَّابِعةِ وَالْخَامِسةِ »⁽³⁾

أسلوب إنشائي نوعه (ترجي) في قوله (وعسى أن يكون خيراً لكم) وجاء الأسلوب من باب الرجاء وطلب تحقيق الأمنيات وفيها إشفاق وترفق.

ثالثاً- الخلاصة:

- من اللافت للباحث أن أسلوب الرجاء لم يُذكر في أحاديث الأدب إلا حديثاً واحداً، بالرغم أن عدد هذا الباب جاوز ألف ومئتين وخمسين حديثاً.
- إن أسلوب الترجي جاء من باب الرجاء والاسترجاء، وطلب تحقيق الأمنيات في مرحلة بعدية لاحقة وبعيدة المدى وضعيفة الفرصة، كما أن فيها إشفاق وترفق من قبل الراجي أو طالب الرجاء.

(1) قواعد اللغة العربية، حسين صالح، ص1 "ما الفرق بين التمني والرجاء، اطلع عليه بتاريخ 23-6-2018

(2) المصدر نفسه.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 44، 53/1: رقم الحديث 6049.

المطلب الثاني: أسلوب القسم

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

قال ابن منظور: (القَسَمُ بالتحريك: اليمين)⁽¹⁾ وقد ورد في المعجمات (أَقْسَمَ) بمعنى (حَلَفَ)، و(حَلَفَ) بمعنى (أَقْسَمَ)⁽²⁾. إلا أنَّ أبا هلال العسكري فرَّق بينهما بقوله: (القَسَمُ أبلغ من الحَلَفِ لأنَّ معنى قولنا (أَقْسَمُ بالله) أنَّه صار ذا قسم بالله، والقسم النصيب والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله.

والحلف من قولك سيف حليف، أي قاطع ماض، فإذا قلت حلف بالله فكأنَّك قلت قطع المخاصمة بالله، فالأوَّل أبلغ، لأنَّه يتضمن معنىً واحدًا وهو قطع المخاصمة فقط.⁽³⁾

المفهوم الاصطلاحي:

مادة قسم (ق، س، م) ⁽⁴⁾ : لها معنيان رئيسان هما: -

أ - التجزئة والتفريق: وهو - القسم - بسكون السين، وجمعه أقسام، وترجع إليه مشتقات عديدة منها: قسم الشيء يقسه قسماً : بمعنى: جزأه وفرقه، ويكون بمعنى: قدر ونظر، كقولك: هو يقسم أمره، أي: يقدره، ويدبره، وينظر كيف يعمل فيه، قال لبيد:

فقلولاً له إن كان يقسم أمره ألما يعظك الدهر أمك هابل⁽⁵⁾

وقسمه - بالتضعيف -: للتكثير، أي جزأه، ومنه قوله تعالى:- ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾⁽⁶⁾

وقاسم فلان فلانا أي: أخذ كل منهما قسمه. واقتسم القوم الشيء بينهم، أي: أخذ كل واحد منهم نصيبه منه. إلى غير ذلك من المشتقات التي ذكرتها كتب اللغة.

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قسم)، 481/12.

(2) القاموس المحيط، لمجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة (حلف)، (129/3)

(3) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ص 428 - 429.

(4) نظر القاموس المحيط : لفيروزآبادي، مادة (قسم) .

(5) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص 131.

(6) الذاريات: 4 .

ب: الحلف واليمين:

وهو القسم - بفتح القاف والسين - وجمعه أقسام، مثل: سبب وأسباب، ويستعمل منه الأفعال التالية

1 - أقسم بالله إقساماً أي: حلف بالله حلفاً ..

2- قاسمه: أقسم له، أو شاركه في القسم

3- اقتسم: - يقال: اقتسموا: تحالفوا. (1)

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) (2)

أسلوبُ قسم بجملة (والذي نفسي بيده)، وهذا الأسلوب القسمي من الأساليب القوية المؤثرة على النفس وقد استخدمها -عليه السلام- كثيراً في أحاديثه الشريفة، وقد منح هذا الأسلوب مزيداً من الإغراء والتشويق والتركيز وبراعة التعبير فهذا أسلوب نبوي جذاب، يجذب القارئ عند سماعه لهذا الأسلوب.

وشبهه ما ورد عن مسروق قالت عائشة صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعهُ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدُّهم له خشيةً » (3)

أسلوبُ قسم، في قوله ﷺ: (فوالله) فجاء القسم -هنا- بعد أن حدث أمراً عظيماً سمعه النبي ﷺ فكان القسم هو المختار.

ونظيره ما ورد عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمرٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» (4)

(1) نظر روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي، 14/ ص 80-84 .

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إفشاء السلام، 1217/3: رقم الحديث 3692.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6087.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إفشاء السلام، 350/4: رقم الحديث 5193.

وهو أسلوبُ قسم في قوله (والذي نفسي بيده) استخدمه ﷺ مثل (والذي نفس محمد بيده)، وفي نظر الباحث؛ فإنّ هذا الأسلوب القسمي من أقوى أساليب القسم تأثيراً على الذات البشرية، ومن -هنا- كان هذا الأسلوب بمثابة حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، لما له من تأثير على النفس والسمع. إن أسلوب القسم (والذي نفسي بيده) هو من الأساليب والفنون البديعية المعنوية وهو أسلوب نبوي لم يسبقه أحد -قط- وهذا من بلاغة العدنان ﷺ.

ومثله ما ورد عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ». قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ »⁽¹⁾ «⁽²⁾ .

أسلوبُ قسم، في قوله ﷺ: (والله)، وجاء للتنبيه والتحذير تكرار أسلوب القسم (والله) ثلاث مرّات وجاء للتأكيد على خطورة من يقع منه هذا الفعل، وهل هناك ما هو أخطر ممن نفي عنه الإيمان؟.

ونظيره ما ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ فُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرَنَ الْحِجَابُ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ « عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ ». فَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ يَا عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَنْهَبْنِي وَلَمْ تَهَبْنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ إِنَّكَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِيَّاهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ »⁽³⁾

أسلوبُ قسم في قله (والذي نفسي بيده)، وقد منح هذا الأسلوب مزيداً من الإغراء والتشويق.

ثالثاً - الخلاصة:

يندرج هذا الأسلوب اللغوي ضمن الأساليب الحاثّة والمحفزة لدى المتلقين والسامعين، لأن القسم في حد ذاته في قوة إقناعية ومن ناحية ثانية فإن المقسم هو الرسول عليه الصلاة والسلام، والمقسم به هو أمر عظيم.

(1) بوايقه: أو بوائقه والبوائق هي الداهية والشيئ المهلل.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 29، 53/1: رقم الحديث 6016.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6085.

المبحث الثالث:

التركييب النحوية للإيجاز والإطناب ودلالاتها البلاغية.

أولاً: مفهوم الإيجاز:

"الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل".⁽¹⁾ كما عرف بأنه "التعبير عن المعنى بلفظ مساوٍ له أو ناقص وافٍ أو زائد عنه لفائدة، الأول: المساواة، والثاني: الإيجاز، والثالث: الإطناب.

ويكاد يجمع الجمهور على أن الإيجاز، والاختصار بمعنى واحد؛ ولكنهم يفرقون بين الإطناب، والإسهاب بأن الأول تطويل لفائدة، وأن الثاني تطويل لفائدة، أو غير فائدة.⁽²⁾

ثانياً: الإيجاز بالحذف وأسراره البلاغية

التعريف لغةً واصطلاحاً:-

إن أسلوب الحذف هو أسلوب مستعمل في كل اللغات، ولا سيما انتشاره في اللغة العربية، لأنه ينبغي أن يكون الكلام العربي حلو المذاق، ولا يكون كذلك إلا بالإيجاز الذي لا يتأتى إلا بطريق القصر والحذف؛ لأنه كما يقول عمرو بن كلثوم: "ومع الإكثار يكون الإهزار"⁽³⁾ ومن هنا فإن قضية الحذف من الضرورة بمكان في الموقع العربي نحوه وبلاغته، ولذا فإن الباحث لاحظ انتشاره في أحاديث الأدب في الكتب الستة، بطرائقه وأنواعه العجيبة، التي لا يتسنى لفعل أن يلمّ به بشكل عظيم، كما لوحظ على لسان نبينا العدنان -عليه السلام.

إنَّ الحذف قد تنبه إليه النحاة أولاً ثم استدركه البلاغيون فأدخلوه في أبواب تُعنى بالبلاغة.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص170.

(2) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي بن نايف الشحود، ص10

(3) نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد منصور بن الحسين 259/4. وانظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، أحمد بن الأمين، ص69.

في اللغة: (1):

الحذف مصدر جار على القياس للفعل (حذف) ومضارعه (يحذف) بكسر العين من باب ضرب، والمراد بالحذف-هنا-الإسقاط، لا الرمي ولا القطع؛ لأن الرمي للموجود، والقطع للموصول.

المفهوم الاصطلاحي:

عرفه الرماني بأنه: (إسقاط كلمة للإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى بالكلام) (2). كما عرفه الزركشي: بأنه (إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل) (3).

والإيجاز في اللغة العربية أصل وروح وطبع، لأنها لغة أمة صافية الذهن، دقيقة الحس، سريعة الفهم، تشعر بقوة، وتعبّر بقوة، وتفهم بقوة، والبلاغة الإيجاز، والإيجاز امتلاء في اللفظ، وقوة الحبك، وشدة في التماسك (4).

ثالثاً- نوعا الإيجاز:

1- الإيجاز بالحذف:

ونظير ذلك ما ورد عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: - قَالَ (أَصْدَقُ كَلِمَةً قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ * أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَآخِلًا لِلَّهِ بَاطِلٌ * وَكَأَدَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يَسْلُمَ) (5)

وذلك في قوله ﷺ: (كلمة لبيد) والقصد (أصدق كلمة هي كلمة لبيد)، وهنا نستحضر الزاوية النحوية لهذه الجملة، والمتمثلة في أن جواب السؤال يحذف منه إذا اتضح في السؤال، مثل كم عمرك؟ نقول ثلاثون...

ونظير ذلك ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مُنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي

(1) ينظر: الصحاح، مادة (حذف) (1341/4).

(2) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، (ص76).

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (115/3).

(4) ينظر: دفاع عن البلاغة العربية، أحمد حسن الزيات، ص105.

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الشعر، 1236/2: رقم الحديث 3757.

أَنْزَلْتُ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ» قَالَ «فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» قَالَ الْبَرَاءُ: فَقُلْتُ: أَسْتَذْكِرُهُنَّ، فَقُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ»⁽¹⁾

وذلك في قوله ﷺ: (أنزلت) و(أرسلت) والمعنى الذي أرسلته إلينا نحن -معاشر المسلمين- من أمة محمد -ﷺ، ولم يكن الإيجاز بالحذف -هنا- لترك بصمة السجع، وإنما تركت وخلفت فصاحة وبلاغة، فالإيجاز والاختتام بكلمة (الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت) خير من الإطناب وإضافة الكلام.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ «أَبَا هَرِيرَ الْحَقُّ أَهْلُ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَى». قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأُذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا⁽²⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (أبا هر) فحذفت (يا) الندائية من زاويتين بلاغيتين:

الأولى: لوضوح الأمر والنداء لأبي هريرة.

والثانية: لقرب أبي هريرة من مجلس النبي ﷺ فكان حذف (يا) التي تستعمل للقريب والبعيد وبقي المنادى من باب التحبب والتودد، ولعلَّ التودد والتعاطف ظهر في كلمة (هر) -أيضا.

ونظير ذلك ما ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسا: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟) قلت غراسا لي: قال (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟) قال بلى. يا رسول الله: قال (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة)⁽³⁾

وذلك في قوله ﷺ: الله أكبر -أي الله أكبر من كل شيء- فجاء الإيجاز بالحذف وذلك من ناحية بلاغية؛ لتعطي إشارة تفكير وإعمال عقل للإنسان بأنه أكبر من كل مما تتخيل.

كما نلاحظ فيه فنون وأساليب أخرى مثل ضمير الفصل (و)، وجاء مكررا أربع مرات، وبالتالي؛ فإنَّ هذا ليس عطفًا نحويًا بعيدا عَنْ الأسرار البلاغية؛ بل جاء مؤكدا بأن الله يستحق أن يُسَبَّحَ له (إن كل شيء إلا يسبح بحمده)، وقد جاء النداء في (أبا هريرة) وتقديمه على

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما يقال عند النوم، 311/4: رقم الحديث 5046.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ الاستئذان باب 14، 53/1: رقم الحديث 6246.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3807.

الاستفهام (ما الذي تغرس) كنوع من الأدب النبوي الرفيع، وجاء أسلوب القصر (بالا) للتأكيد على أن كل من على الأرض لا بد وأن يكون معبودا لله.

إنَّ في هذا الحديث ما قد يَجْمَل أن يسمى (تناسب المقام) أو (تنسيق الموقف)، ذلك أن الرسول ﷺ ربط المجال الديني بالدنيوي، ومزج بين الموقف الحياتي بالأخروي، وهذا من السرِّ الجمالي بمكان، كما أنَّ هذا الذي جعل النبي ﷺ كما يعتقد بعض الكتاب بأنه أفضل شخصيات العالم وأعظم شخصية تاريخية، ذلك أنه نجح على الصعيدين الديني والدنيوي، وهنا تقول في حادثة غرس الزرع لأبي هريرة وهو بمحل دنيوي يطبقه أبو هريرة تطبيقاً لقوله -جلَّ جلاله- ولا تنس نصيبك من الدنيا، مما جعل النبي ﷺ يوجه بوصلته العقدية إلى الآخرة فقال لأبي هريرة- رضي الله عنه- إنَّ هذا التسبيح والتحميد والتلهيل والتكبير، بكل واحدة غرسه؛ ولكن في الجنة لا في الدنيا.

ومن الناحية اللغوية والتصريفية نجد أن جملة (الله أكبر) صيغة اسم التفضيل على وزن (أفعل) وهذه الصيغة الاشتقاقية والتصريفية تأتي بمقاصد ومعاني دلالية، وهي أن الله -جلَّ جلاله- أكبر وأعظم من كل شيء ومن أسمائه (الكبير)، كما أنه قال ﷺ (أكبر) ولم يقل (الله كبير) أو (الله الكبير)؛ لأنَّ في الوزن (أفعل) -وهي من الأفعال المزيدة- ما يؤكد على قدرة الله وعظم شأنه، فقد التقى الجانب اللغوي والتصريفي مع الغرض البلاغي والأثر الدلالي التي تخلفه هذه الكلمة، ففتوه لكل مسلم أنه -جلَّ جلاله- أكبر من كل شيء، ولعلَّ كلمة أكبر كانت الأنسب في ختام هذا الحديث ولم يبدأ بها رسالة منه ﷺ بل رسالة من الإسلام أنه -جلَّ جلاله- يتعين علينا أن نسبحه ونحمده ونشكره؛ لأنَّه الأكبر والأقدر وهو أحق أن يتبع.

وفيه جناس بين (قلت) و(قمت) وهو جناس ناقص تكرر، في قوله ﷺ: (سبحان الله) و في قوله ﷺ: (سبحان الله عدد كلماته) والتقدير (سبحان الله قدر عدد كلماته وقدر عدد مخلوقاته).

سجع، في قوله ﷺ: (خلقه - نفسه - عرشه)، إن في الحديث أسرار بلاغية راقية وهذا يظهر جليا في الإيجاز بالحذف، في قوله ﷺ: (عدد خلقه ومداد كلماته) والمرادُ قدر عدد خلقه ومخلوقاته وقدر مداد كلماته؛ فإذا حذفت كلمة (قدر) أصبح للإعراب شكل جديد، فبوجود كلمة (قدر) تعرب كلمة عدد ومداد مضافا إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره؛ بيِّد أن حذفها يُحيلنا إلى إعراب جديد وهو (منصوب على نزع الخافض).

وبالتالي؛ بعد أن كان اللفظ (عدد) بالكسر؛ أصبح في الحديث (عدد) بالفتح، وهذا لربما يتماشى مع العزة والرفعة الإلهية؛ فتصبح كلمة (عدد) في حالة نصب، وكذا كلمة (زنة).

إنَّ كلمتي (أكثر وأرجح) جاءتا على وزن (أفعل) وهما (اسم تفضيل)؛ فجاءت البلاغة النبوية في هذه الصيغة التصريفية لأعمال العقل وحبس النفس والانتظار لما سُيقال من أجر أعظم مما قالتها جويرية -رضي الله عنها، لتلتقي البلاغة بالأساليب اللغوية والتصريفية، وهنا تربية محمية على الموائد النبوية لنساء النبي من الصحابيات؛ بل هي دعوة لكل مسلمة ومؤمنة متى سمعت بهذا الحديث وغيره. فهنا يربي النبي النساء ويشجعهن على استثمار الأجور السانحة.

وكما يلحظ الباحث؛ فإنه في أحاديث متعددة يجد فيها ذكر (سبحان الله) أو التسبيح مقدم على التكبير والتلهيل والتحميد، ولعلَّ في ذلك إشارة دلالية لا بد من البحث والتفتيش عنها؛ لكنه من المعلوم -يقيناً- أن أهل الأرض والسموات السبع ومن فيهن يسبحون الله تسبيحا لا نفقهه ولا نعلمه، وكذلك؛ فإنَّ من يسبح الله يستحضر قدرته وحينها سيستشعر بإيمانه بعزته، وفيها يحمده ويهلله ويكبره تكبيرا.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عَلِيٍّ -عليه السلام-، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»⁽¹⁾

وذلك في قوله (الصلاة الصلاة)، فالتركيب النحوي -هنا- (توكيد لفظي)، وتعرب الأولى مفعول به لفعل محذوف تقدير الزم. والثانية تعرب توكيد لفظي، فجاءت الكلمة الثانية تأكيدا للعناية والتركيز. وبالتالي يلتقي التوكيد اللفظي بالتكرار البلاغي مع الإيجاز بالحذف.

أما من الناحية البلاغية فالقول: إِنَّ حذف الفعل وإبقاء المفعول يكون من زاويتين، الأولى أن وجود المفعول دلَّ على ماهية الفعل، أي أن وجود كلمة الصلاة مكررة دلت على أن الفعل محذوف تقديره الزم فلا داعي لذكر الفعل؛ وبالتالي -هنا- تكمن البلاغة. ومن زاوية أخرى؛ فإنَّ وجود المفعول وحذف الفعل جعل السامع والقارئ مركزا على المفعول، مما أعطت نوعاً من إعمالٍ للعقل، ولفت الانتباه عند تكرار الكلمة (الصلاة) وبالتالي؛ أعطت مزيداً من التركيز والاهتمام.

ونظير ذلك ما ورد عن النبي ﷺ (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً -كثيراً-) ⁽²⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حق المملوك، 339/4: رقم الحديث 5156.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1254/2: رقم الحديث 3818.

إيجاز بالحذف، في قوله ﷺ: (طوبى) أي موعده (طوبى)، وطوبى تعني: السعادة التي لا يعكر صفوها، ولكن هي شجرة في الجنة عند المسلمين، فجاء الحذف للتركيز والتأكيد على أن طوبى للمستغفرين؛ فجاء تأكيد بحذف المحذوف.

وفي هذا الحديث التقاء بين جملة من الفنون فنجد فيه براعة الاستهلال؛ لأنه ذكر كلمة طوبى التي تعري وتحفز، ولم يكن هذا مجرد خبر نبوي فحسب، بل جاء للإغراء واستباق الخيرات وصناعة الطاعات والتقرب بالقربات، كما نجد فيه إيجاز بالحذف من باب التركيز على المهم وهو الجائز الكبرى يوم القيامة (طوبى) للمستغفرين المستغفرات، وهذا ينم عن أهمية الاستغفار، وقد وجدنا أن الحنان النبوي ظاهر وجلي في هذا الحث والتحفيز، لأنه كما علمنا القرآن أن من يستغفر سيجلب له المطر والخير الرزق والأموال والبنين جنة أعدت للمتقين. فمن باب شفقة العدنان عليه الصلاة والسلام أراد هنا أن يحثنا على الاستغفار من خلال هذه الجائز السنوية الأخروية. وكلمة طوبى جاءت خبراً لمبتدأ محذوف فكان التركيز على الخبر المذكور فكان أكثر إثارة وتشويقاً.

ونظير ذلك ما ورد عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللَّهُ عَنْ وَجَلِ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ. فَنُصِفَهَا لِي وَنُصِفَهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ). قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اقْرَأُوا يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمْدُنِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَيَقُولُ أَتْنِي عَلِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ. فَيَقُولُ اللَّهُ مُجْدِنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي. وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ. يَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يَعْنِي فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. فَهَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)⁽¹⁾

وذلك في قوله: (لعبدى ما سأل) -أي ما سأل من خير ورزق. فكلمة (سأل) جامعة مانعة دالة على الطلب من رزق وخير وبركة ومال وأعمال.

الفعل هنا سأل فعل ماضٍ والفاعل والمفعول المحذوفان، لكن لما أراد أن يبحث وراء هذا الخبر وهذا الطلب لا بد من معرفة الدواعي والأسباب التي أدت إلى الإيجاز والحذف، فقد اكتفى بالفعل ولم يذكر الفاعل ولا المفعول لوضوح الدلالة، ومن زاوية أخرى فإن السؤال يشمل جميع البر والخير وأصناف الإحسان.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3784.

وشبه ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) ⁽¹⁾

وذلك في قوله ﷺ: (قل هو الله أحد) والمراد (إن سورة قل هو الله أحد ...)، و أن النبي -ﷺ كان لا يكثر من حروف التوكيد في مطالع أحاديثه، ولعل السر في ذلك أنه -ﷺ كان لديه فريق صحابي يؤمن بالله وبرسوله ويصدقهم بما، قال سواء يستوعبه العقل أم لم يستوعبه، كانشق القمر وحادثة الإسراء وغير ذلك. وهنا نستحضر الصديق -أبا بكر- الذي كان يُصدق ما يتلفظه النبي -عليه السلام- وعليه؛ فلا ضرورة بتوكيد -هنا- أو هناك؛ ولكن هذا لا يعني بانعدام تلك التوكيدات، وإنما هي قلة قليلة جدا كما لاحظ الباحث ذلك.

ونظير ذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ هَلَكْتُ وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ « أَغْتَقِ رَقَبَةً ». قَالَ لَيْسَ لِي. قَالَ « فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ». قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ « فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا ». قَالَ لَا أَجِدُ. فَأَتَى بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ فَقَالَ « أَتَيْنَ السَّائِلَ تَصَدَّقَ بِهَا ». قَالَ عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلٌ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ. قَالَ « فَأَنْتُمْ إِذَا » ⁽²⁾ .

وذلك في قوله ﷺ: (أين السائل تصدق بها)، ففيه حذف وهو أسلوب شرط فالمراد (أيما تجد السائل تصدق بها)، فكان الإيجاز أبلغ في التعبير؛ لأنه بالتركيب اللغوي النبويّ تلحظ أنه يسأل (أين السائل) فجمع بين السؤال والشرط، وهذه لفظة نبويّة بليغة أوجدها ذاك الإيجاز البلاغي. فهو ليس مجرد اختصار للكلمات أو انتقاء للمجموعات.

ونظير ذلك ما ورد عن عَنْ عَلِيٍّ - رضى الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ فَجَعَلَ يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِعُودٍ، فَقَالَ « لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ فُرِغَ مِنْ مَقْعَدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ». فَقَالُوا أَفَلَا نَنْكُلُ قَالَ « اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ ». (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى) الآية ⁽³⁾ .

وذلك في قوله ﷺ: (فُرِغَ) فمن الزاوية النحويّة واللغوية نجد أن الفعل مبني للمجهول، بيّد أن التركيب من زاويته البلاغيّة جاء دالاً على الإيجاز بحذف الفاعل لعلنا نحن المسلمين بالفاعل، وقد يكون حذف الفاعل لعدم الضرورة لمعرفة من الفاعل في الجملة الخبريّة، فالملائكة لها أدوار وظيفية لا نعلم عنهم شيئاً، وليست المعضلة ههنا؛ ولكن الجلال العظيم أن تعرف أين

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1244/2: رقم الحديث 3787.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6087.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 120، 53/1: رقم الحديث 6217.

المقعد، هل في الجنة فنعم أجر العاملين؟ أم في النار فبئس مثوى المتكبرين؟.

وهناك إيجاز بالحذف في موضع آخر من الحديث، وذلك في قوله ﷺ: (فكل ميسر) فجاء الإيجاز للجمال البلاغي. والمقصود دون الإيجاز -كما ذكر في حديث آخر: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة. ويقول محمود بدر الدين العيني: " أي: فكل واحد منكم ميسر له، فإن كان الذي قدر عليه بأنه من أهل الجنة يسر الله عليه عمل أهل الجنة، وإن كان من الذي قدر عليه بأنه من أهل النار يسر الله عليه عمل أهل النار" (1) .

وشبيه ذلك ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال « مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى ». فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا حَيٌّ مِنْ رِبِيعَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَضْرٌ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَضَلَّ نَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا. فَقَالَ « أَرْبِعٌ وَأَرْبَعٌ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ (2)، وَالْحَنْتَمَ، وَالنَّقِيرَ، وَالْمَرْفَتَ (3) ».

وذلك في قوله ﷺ: (مرحبا).

فمن زاويتها النحوية تكون مفعول مطلق للفعل حللتم. أما بلاغيا فيمكن القول: إن حذف الفعل جاء لضرورة، وهو أن ذكره لا يأتي بحديد ولا يفيد معنى، فكلمة مرحبا تفيد وتعطي المعنى بوضوح، وقد جاءت-أيضا- لتلفت الانتباه.

وهناك إيجاز بالحذف، في قوله ﷺ: أربع وأربع والمقصود(هناك أوامر أربع ويقابلها نواه أربع)، ولعل الحذف جاء-هنا-للضرورة، حيث لا فائدة مرجوة من ذكر المحذوف؛ لأنه اتضح في باقي الحديث.

ومن اللافت أن النبي ﷺ لا يزيد في أوامره أو نواهيه في الحديث عن خمسة مطالب أو أمور ولا تقل عن ثلاث.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 22/222.

(2) الدباء: هو القرع اليابس، والحنتم: هو جرار خضر، والمرفت: هو الغناء المطلي بالزفت، والنقير: هو الجذع.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 98، 53/1: رقم الحديث 6176.

ومن الملحوظ أن الثلاث تكون إذا كان المخاطب مفرداً أو صحابياً واحداً. يَبْدُ أن الحاضرين في ضُحبة الرسول ﷺ ههنا جمعٌ من قبيلة ربيعة، فكانت الأمور والنصائح أربعة وتقابلها أربعة. وهذا من حنكة النبي ﷺ.

ومن اللافت-أيضاً-أنه -ﷺ- أمر بأوامر أربع وقابلها بنوَاهِ أربع ليست مجردة من الدلالات البلاغية؛ بل نجد هذه الجمل الأمرة والناحية قد حظت بالحث والإرشاد، كما نلاحظ أن هذه الأوامر والنواهي في محلها وفي موقعها المناسب، إذ إنها تتماشى مع ما يطلبه بنو ربيعة من أمور تدخلهم الجنة ويقووا في إيمانهم.

ونظير ذلك ما ورد عن أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله ماحق الوالدين على ولدهما ؟: قال (هما جنتك ونارك) ⁽¹⁾.

وذلك في الحديث والمراد (حق الوالدين على ولدهما أنهما بمثابة الدور الأعظم لدخول الابن الجنة أو النار).

ولا ريب أن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، فقد أجاب على سؤال الصحابي إجابة موجزة مفادها السرعة والأهمية؛ بل أعطى النبي ﷺ الإجابة المباشرة دون مقدمات تذكر؛ لخطورة الموقف، فقد امتلأ القرآن الكريم بالحديث عن ضرورة البر بالوالدين؛ لذا جاءت السنة النبوية متماشية مع ما فرضه القرآن الكريم؛ لذا قال (هما جنتك ونارك) فبالبر تكون الجنة، وبالشر تكون النار لا ثالث لهم، ولعل انتقاء حرف الواو يمنح دلالة وهي السرعة والحث معاً.

ونظير ذلك ما ورد عن مُطَرَفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: (السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى-) قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» ⁽²⁾

في قوله (السَّيِّدُ اللَّهُ) والمراد (السيد هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-)، فجاء لمنح سرعة انجاذبية لمعرفة السيد، فكان بالحذف أبلغ.

وقد ذكر كلمتي (السيد) ولفظ الكريم (الله) وكلاهما معرفة بأل من باب التعظيم، ولعل تجاور هاتين الكلمتين منح انسجاماً وتآلفاً في اللفظ والمعنى. أما إعراب كلمة (السيد) فهي مبتدأ

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ العلم، 1208/2: رقم الحديث 3662.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية التماذج، 254/4: رقم الحديث 4806.

مرفوع، والضمير الغائب (هو) خبر المبتدأ مرفوع، ولفظ الكريم (الله)، نعت مرفوع، وبالتالي أصبح ثمة تآلفا نحويا وإعرابيا وبلاغيا في الحين ذاته.

ونظير ذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عِنْدِي وَأَمْتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمْ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»⁽¹⁾

وذلك في قوله ﷺ: و(الرب الله)، والتقدير (والرب هو الله - عز وجل. فالرب مبتدأ، والله خبر للمبتدأ المحذوف.

فمن باب التأكيد والتخصيص تم حذف الضمير المنفصل المقدر (هو) ليزيد في المعنى بلاغة ودلالة وتأكيذا فتجاوز اللفظان المعرفان بأل اللذان يفيدان التعظيم، مما منح إيغالا في المعنى وكأنه يريد أن يقول لا يوجد رب غير الله وكأنه بالحذف أراد أن يقول أيضا لا يوجد فاصل ولا مسافة ولا مساحة للتفكير أو التشكيك بأن هناك أرباب غير رب الأرض والسماء.

ونظير ذلك ما ورد بن جرهد الأسلمي عَنْ جده جرهد قال: مر النبي ﷺ بجرهد في المسجد وقد انكشف فخذته فقال إن الفخذ عورة⁽²⁾

إيجاز بالحذف، حيث لم يطل في التعبير والإيضاح لسببين:

أولاهما أن الرسالة وصلت من النبي ﷺ للمسلمين جميعا.

وثانيهما أن الأمور المحرجة والتي فيها حياء يقتصر فيها على الإيجاز والاختصار ما أمكن؛ لعدم الوقوع في الحرج؛ لأنَّ التفصيل في الأمور الشخصية وفي عورات النساء والرجال يوقع في الحرج. فبلاغة الإيجاز -هنا- كانت واضحة وواجبة، ولعلَّ المعنى في الحديث قبل الإيجاز هو (عطَّ فخذك فإنها من العورة).

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ، وَخَمِيسٍ فَيُغْفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: النَّبِيُّ ﷺ هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقول المملوك ربي وربتي، 294/4: رقم الحديث 4975.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ الفخذ عورة، 110/5: رقم الحديث 2795.

أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَابْنُ عُمَرَ هَجَرَ ابْنًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «إِذَا كَانَتْ الْهَجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا بِشَيْءٍ» وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ غَطَّى وَجْهَهُ عَنْ رَجُلٍ⁽¹⁾.

نلاحظ أن الحديث استهل بفعل مبني للمجهول والمتمثل في كلمة (تفتح) والتقدير (يفتح) الله أبواب الجنة ... أو تفتح الملائكة بأمره -جلَّ جلاله- أبواب الجنة؛ ولكن اختيار هذا الفعل المبني للمجهول (تفتح) لدلالة بلاغية تمثل في الإيجاز بالحذف وبالتالي فلم يكن هذا الفعل مجهول الفاعل دون نكتة بلاغية أو لمسة جمالية؛ بل تمثل في الإيجاز البلاغي، بيِّد أننا لو ركزنا ملياً سنجد أن ثمة إشارة إلى وجود فن بديعي معنوي وهو براعة الاستهلال، حيث جاء البناء للمجهول مُشعراً بالتركيز على ما سيكون بعد الفعل المبني للمجهول وذلك، في قوله ﷺ: في نائب الفاعل (أبواب الجنة) وقد التحم (تآلف الألفاظ) مع الفعل المبني للمجهول المتكرر مرات ثلاث وذلك، في قوله ﷺ: (تفتح) و(فيغفر) و(فيقال).

ونظير ذلك ما ورد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ». قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ «الْقَتْلُ، الْقَتْلُ»⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (القتل، القتل) والمراد (هو القتل هو القتل) أو (الهرج هو القتل، الهرج هو القتل)، وعليه فإن الكلمة جاءت مكررة كتوكيد نحوي لفظي وتعرباً لأولى خبر لمبتدأ محذوف، والثانية توكيد لفظي مرفوع بالضممة الظاهرة، ونوع التوكيد هنا ه توكيد لفظي (اسم)، ولعل الحذف جاء لأن المعنى واضح وقد اكتمل، ومن زاوية ثانية نرى أن التركيز على كلمة القتل مع تكرارها في حين أن المبتدأ محذوف قد لفت الانتباه، جعل الأذن تقشعر من تكرار هذه الكلمة المقلقة.

ومثل ذلك ما ورد عَنْ مَنْصُورٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ الْمَقْدَامِ أَبِي كَرِيمَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ليلة الضيف واجبة. فَإِنْ أَصْبَحَ بَغْنَاءَهُ فَهُوَ دِينَ عَلَيْهِ. فَإِنْ شَاءَ اقْتَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ)⁽³⁾

وذلك في قوله ﷺ: (ليلة الضيف واجبة) فهي تساوي جملة التوكيد (إن ليلة الضيف واجبة) أو (اعلم أن ليلة الضيف واجبة)، بيِّد أن كلمة (واجبة) كافية للتأكيد على هذا السياق

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ فيمن دعا على من ظلمه، 279/4: رقم الحديث 4916.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 39، 53/1: رقم الحديث 6037.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ العلم، 1212/2: رقم الحديث 3677.

وهذا التركيب الخبري؛ لذا سقطت إن التوكيدية، وبالتالي لم يكن هذا الإيجاز بالحذف خبط عشواء بل للضرورة البلاغية والدلالة المجازية.

ومثال ذلك ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُتِنِ بِهِ، فَمَنْ أَتْنَى بِهِ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي يُوبَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ شَرْحِبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ شَرْحِبِيلُ يَغْنِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي كَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ فَلَمْ يُسَمِّوْهُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فوجد فليجز) - أي فوجد العطاء فليجز، لكن وجود كلمة عطاء في السابق ألغى تكرارها بالحذف؛ لعدم أهميتها، وبالتالي ذكر الفعل الماضي (وجد)، وحذف فاعله ومفعوله لوضوح الدلالة في السياق، فكان بالحذف أقوى وأبلغ.

ونظير ذلك ما ورد عن النبي ﷺ: فقال: « فَإِنَّمَا بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ »⁽²⁾ .

وذلك وهذا يراه الباحث في كلمتين وهما (بعثت)، وهي مجهولة الفاعل أو فعل مبني للمجهول، فحذف الفاعل وناب منابه المفعول؛ وبالتالي تم إيجازها.

ومن ناحية أخرى نرى في كلمة (أقسم) -أيضا- إيجاز واختصار غير مغل، فالمراد فيها لأقسم بينكم أو لأنني أقسم بينكم؛ وبالتالي يلتقي الفعل المبني للمجهول -كصيغة نحوية- مع الإيجاز والتعليل.

وشبيه ذلك ما ورد عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ « وَيْحَكَ يَا أُنْجَشَةُ، رُؤْيُكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بَعْضُكُمْ لَعَبِثُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ »⁽³⁾ وذلك في قوله ﷺ: (رويدك).

ومن الملحوظ أن كلمة (رويدك) هي اسم فعل أمر، وتعرب من عدة أوجه نحوية؛ فتعرب منصوب على أنه صفة المحذوف والتقدير: سق سوقا رويدا أو على الحال سر رويدا، أو رويدك منصوب على الإغراء، أو مفعول بفعل مضمر أي الزم رفيك. وعليه؛ يلحظ الباحث أن هذا التركيب النحوي أنتج فنا بلاغيا ماثلا في الإيجاز بالحذف، وذلك لوجود حذف، وهو

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ شكر المعروف، 255/4: رقم الحديث 4813.

(2) سنن مسلم، مسلم، الأدب/ النبي عَنْ التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب، 170/6: رقم الحديث 5712.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

الفعل سواء عن طريق المفعول أو المصدر أو الحال أو النعت، وقد جاء الحذف لضرورة بلاغية، ففيها السرعة والتركيز ولفت الانتباه.

ونظير ذلك ما ورد عن سالم قال عبد الله قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال « إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذرته نوح قومه، ولكتي سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور »⁽¹⁾.

وذلك في (أنذركموه)، ومما لفت الانتباه لدى الباحث هو كلمة (أنذركموه)، فهذه الكلمة فيها الفعل والفاعل والمفعول الأول والثاني، ولعلها تأثر بالقرآن الكريم في كلمة (فأسقيناكموه)، وتعد هذه الكلمة (أنذركموه) من الكلمات الطويلة من حيث عدد الحروف؛ لكن الجميل فيها هو وجود الإيجاز البلاغي؛ لأن كل حرف منها أعطى موقعاً إعرابياً نحوياً، فالفاعل مستتر عائد على النبي ﷺ والكاف المفعول الأول والميم للجمع والهاء المفعول الثاني، فالكلمة -هنا- واحدة؛ لكنها جملة فعلية لمفعولين. وكأن في الكلمة نحت وإيجاز خلفاً شيئاً من البلاغة المعنوية.

ونظير ذلك ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال « الغادر يُرفع له لواء يوم القيامة، يقال هذه غدره فلان بن فلان »⁽²⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (يرفع له) و(يقال)، فحذف الفاعل لعدم أهمية ذكره وهي نائب فاعل؛ لأن الفاعل قد يحذف لضرورة بلاغية تتركز في الأدب أو عدم الجدوى من ذكره، وقد يكون بسبب وضوح المعنى، أما -هنا- فكان الحديث واضحاً، ومعلوم لدى البشرية من الفاعل وهو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي يضع الميزان يوم القيامة ولن ينطق أحداً من أهل الكون إلا همساً.

ونظير ذلك ما ورد عن بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: « لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضب الله، ولا بالنار »⁽³⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (ولا بغضب الله)، وكذلك في (لا بالنار)، والتقدير (ولا تلاعنوا بغضب الله ولا تلاعنوا بالنار)؛ لكن وجود الكلمة (ولا تلاعنوا في مطلع الحديث منَح المعنى وضوحاً، فأبطل لزوم التكرار، فكان الحذف أخير.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 97، 53/1: رقم الحديث 6175.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 99، 53/1: رقم الحديث 6177.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعن، 277/4: رقم الحديث 4906.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلٌ لَهُ وَيَلٌ لَهُ»⁽¹⁾

إيجاز بالحذف، وذلك في قوله ﷺ: (ويل) والتقدير (مصيره ويل)، أو له ويل، وويل وادي في جهنم. ويرى الباحث أن في هذه الكلمة- أي ويل- تكرارا لبغية بلاغية تتمثل في مدى الضرر والخطر المحدق بالذي يكذب من أجل الضحك.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً⁽²⁾ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ» سَأَلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: «هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ، يَغْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ، وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا، وَظُلْمًا بَغِيرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»⁽³⁾

وذلك في قوله ﷺ: (من قطع سدره) والمراد (هنا من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا وظلما بغير حق حتى يكون له فيها صوب الله رأسه في النار)، ولعل في جملة الجزاء أو جملة جواب الشرط إشارة دلالية على هذا العقاب الرباني فإن هذه السدره موجودة في الفلاة (الصحراء) إذا ما اقتلع هذه السدره إلى أعلى سيكون العقاب كعقاب مضاد وهي تصويب الرأس إلى أسفل فالقطع يكون إلى أعلى والرد على هذا الجرم يكون إلى أسفل بغمس وتصويب رأس المذنب إلى أسفل جهنم.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا سَأَلْنَا عَنْ مُنْذُ حَارِبِنَاهُنَّ وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً، فَلَيْسَ مِنَّا»⁽⁴⁾

وذلك في قوله ﷺ: (وخيفة)، وكلمة خيفة -كما ملحوظ- تعرب مفعولا لأجله، ولو لم تأت مفعولا لأجله لكانت الكلمة مطنبة وكان المعنى هو (من أهل الخوف)، فجاء الإيجاز ليحافظ على المعنى الجمالي والبلاغي للجملة الحديثية.

ونظير ذلك ما ورد عن ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»⁽⁵⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التشديد في الكذب، 297/4: رقم الحديث 4990.

(2) سدره: هي شجرة تتخذ للظل.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قطع السدر، 361/4: رقم الحديث 5239.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قتل الحيات، 363/4: رقم الحديث 5248.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التثاؤب، 306/4: رقم الحديث 5026.

وذلك في قوله ﷺ: (فإن الشيطان يدخل) والتقدير (يدخل فم الإنسان) أو (يدخل فاه) فحذفت كلمة (فاه)؛ لأن السياق الحديثي واضح وإلا سيكون -هنا- إسهما وإطنابا غير مجدٍ،

ونظير ذلك ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لم أر شيئا أشبه باللمم من قول أبي هريرة. حدثني محمود أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ «إن الله كتب على ابن آدم حظا من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»⁽¹⁾

وذلك في كلمة (تمنى) والمراد تتمنى فحذف التاء للتخفيف فكان الإيجاز بحذف حرف وليس كلمة فيه جمال بلاغي؛ لأن التخفيف من حرفين مثلين متتاليين في اللغة العربية من سمات البلاغة العربية الفصيحة.

ونظير ذلك ما ورد عن أبي موسى: عن النبي ﷺ قال كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (كل عين زانية)، والمراد كل عين تعد زانية إن نظرت إلى الحرام. وكما يرى المباركفوري -رحمه الله- حيث قال: أي كل عين نظرت إلى أجنبية عن شهوة فهي زانية...⁽³⁾

ولعل الحذف -هنا- جاء لضرورة بلاغية ودلالية ذلك أن كلمة كل عين زانية أرسلت المعنى المراد وأفادت المقصود، ومن زاوية ثانية فقد شبه العين بإنسان ما يزني فذكر المشبه وحذف المشبه به وأبقى صفة نم صفات المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن اللافت للانتباه أن الإيجاز بالحذف اشترك لفظيا مع الاستعارة، ذلك أن الإيجاز صنع الاستعارة ولو لم يكن ثمة إيجاز لما ورد لدينا استعارة مكنية. وهذا يدل على أن الحذف في الجمل النحوية يترك أثرا بلاغيا، فقد ترك استعارة، وترك مساحة من التفكير لخطورة الموقف من خلال خطورة هذا الوصف وهذا الحديث، وقد ترك أثرا ماثلا في السرعة التي سببها هذا الحذف، وذلك حين قال: (كل عين زانية).

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ الإستئذان باب 12، 53/1: رقم الحديث 6243.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ كراهية خروج المرأة متعطرة، 106/5: رقم الحديث 2786.

(3) تحفة الاحوذى، المباركفوري، 58/8.

ومن زاوية أخرى فقد نجد أن للحذف ضرورة أدبية، وترفع عن ذكر بعض الكلمات غير اللطيفة وقد يكون لأجل الاختصار الذي يفضل على الإطناب غير المناسب، سيما في مثل هذه المواضع.

1- التنبيه:

ومثال ذلك ما ورد عن عَنْ أَبِي مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (المستشار مؤتمن) ⁽¹⁾

وذلك في قوله: (المستشار مؤتمن)، والتقدير: (المستشار مؤتمن على القضايا والأمور، وعليه الأمانة والصدق)؛ فلو ركزنا جيدا في الحديث الشريف؛ سنجد أنه كامل البناء، رغم الحذف الموجود فيه، ورغم الإيجاز الشديد فيه، إلا أن خبر المبتدأ أجاب ووضح سبيل المبتدأ، جعل الجميع يقول: إنه ليس شديد الإيجاز فيه، إلا أن خبر المبتدأ أجاب ووضح سبيل المستشار، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الأسلوب الخبري لم يقف عند حدود الخبر الحقيقي؛ بل جاء مُفَعِّمًا بروائح متعددة، وألوان متشكلة. ففيها الحث على الائتمان، وفيها أدب نبوي رفيع، يشير إلى شيء مفاده أنه ينبغي على المستشار أن يكون مؤمنا لا خائنا.

2- اللين:

ونظير ذلك ما ورد عن عائشة أنه أتى النبي ﷺ - ناس من اليهود. فقالوا السام عليك يا أبا القاسم. فقال (وعليكم) ⁽²⁾ .

وذلك والقصد هو وعليكم السام، فحذف المبتدأ المؤخر (السام)، فكان الإيجاز واضحا لا مبهما.

ومن زاوية دلالية وناحية أدبية فإن الرد النبوي كان بمثابة وتحت قاعدة (وجادلهم بالتّي هي أحسن السيئة)، فلم يكرر تلك الكلمة المنبوذة (السام) بل اكتفى بالإيجاز.

ومثل ذلك ما ورد عن عَنْ أَبِي موسى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ (إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أن تصيب أحدا من المسلمين بشيء. أو فليقبض على نصالها) ⁽³⁾

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المستشار مؤتمن، 1233/2: رقم الحديث 3746.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ العلم، 1219/2: رقم الحديث 3698.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ من كان معه سهام فليأخذ بنصالها، 1241/2: رقم الحديث 3778

وذلك في قوله (أن تصيب أحدا)، والمراد-هنا-(خوفا من أن تصيب أحداً) أو (كراهية أن تصيب)، ولعل من التفسيرات اللغوية والإيحائية للمصدر المؤول (أن تصيب) هو أن معنى (أن)-هنا-(لا) أي لا تصيب أحداً، وقد تأثر النبي ﷺ بما جاء به القرآن بالإعجاز البلاغي، وذلك مثل قوله ﷺ - أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين..

3- التعجب

ونظير ذلك ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفَتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحَجَرِ - يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ - حَتَّى يُصَلِّيْنَ، رَبُّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»⁽¹⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (سبحان الله)، فهي مفعول مطلق للفعل (سبح) فليس تركيباً نحوياً دون فائدة بلاغية، فالإيجاز بالحذف، وذلك جاء لافتاً ومنوهاً على قدرة الله -جلّ جلاله، ولعل كلمة (سبحان الله) من المفاتيح التي يتعين على المسلم أن يحتفظ بها ولا يضيعها فيعيش معيشة ضنكا، كما أنها من غراس الجنة كالتكبير والتحميد.

الخلاصة:

- غلبة الإيجاز بالحذف في هذا الفن، وذلك بُغْيَةَ التركيز والإقناع ولفت الانتباه.
- استخدام الإيجاز لتجنب الملل الذي قد يلحق بالمتلقي أو السامع فخير الكلام ما قل ذكره ودل قصده.

2- الإيجاز بالقصر:

ونظير ذلك ما ورد عن، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»⁽²⁾

وذلك في قوله ﷺ: (إن الدين النصيحة) والمراد (إن الدين هو النصيحة) أو (إن الدين يوازي ويساوي النصيحة). فحذف المبتدأ واكتفى بالخبر، وكأن المبتدأ لا ضرورة لوجوده، وكأن الخبر لأهميته تم ذكره بشكل سريع ليتم التركيز عليه.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 121، 53/1: رقم الحديث 6218.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النصيحة، 286/4: رقم الحديث 4944.

من زاوية أخرى فنرى أن الجملة خبرية -أيضًا- بوجود حرف التوكيد الخبري (إن)،
وكان جاء خبران مؤكدان دلالة على أهمية أن يكون الناشر لدين الله ناصحًا لا فاضحًا وأن
يجعل الرسالة للمسلمين بطريق النصيحة لا الفضيحة، ومن زاوية ثالثة فنرى خبرا ثالثا جاء
بتكرار الجملة نفسها (كتوكيد لفظي) وهو توكيد الجملة الإسمية بالتكرار، كما جاء الإيجاز
بالحذف هنا.

ثانياً: الإطناب وأسراره البلاغية

التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد، وأطنب في الكلام -أيضاً- إذا أبعد، وأطنب الإبل: إذا تبع بعضها بعضاً في السير⁽¹⁾، وهي معان كلها تدل على الطول والتتابع.

المفهوم الاصطلاحي:

وفي اصطلاح البلاغيين: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة⁽²⁾. لهذا الفن أساسه النفس من رغبة المتكلم في الإفاضة، وفي هذا دلالة على فكر غني وشعور زاخر وحس متوقد في تصور المعنى ... وهو وفي نفس الوقت ملائم لأحوال خاصة تستلزمه، وقد ذكر البلاغيون أنواعاً كثيرة منه وأشاروا إلى خصائصها البلاغية⁽³⁾.

صور الإطناب مع بيان القيم الجمالية فيها:

1- الإيضاح بعد الإبهام :

وفائدته تقرير المعنى في ذهن المخاطب، حيث يتم ذكر المعنى مرتين، مرة على سبيل الإبهام وأخرى على سبيل الإيضاح.

ومثله عَنْ أَبِي بحرية عَنْ أَبِي الدرداء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مُلِكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَمَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟) قَالُوا وَمَا ذَاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَالَ (ذَكَرَ اللَّهُ)⁽⁴⁾

الاطناب في الحديث كله باستثناء الإجابة (ذكر الله). فنلاحظ أن الإطناب فيه إيضاح بعد إبهام، فالإبهام يتمثل في سؤال النبي عليه الصلاة والسلام: أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مُلِكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَمَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، ثم كان الإيضاح في قوله: " ذكر الله، ومن بلاغة

(1) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب 1/224..

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير. تحقيق: بدوي طبانة، 2/128.

(3) المطول على التلخيص، التفازاني، ص291 وما بعدها.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الذكر، 2/1245: رقم الحديث 3790.

العَدَنان - ﷺ في هذا الحديث أنه استقصر مطنبا، فقد سأل عَنْ أَخْبَارِ الصَّحَابَةِ عَنْ خَيْرِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ وَخَيْرِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَالِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ ثُمَّ أَوْجَزَ (ذكر الله) كَلَّفَتْ انتباه؛ لِأَنَّ الذِّكْرَ لِلَّهِ كَافِيَةٌ أَنْ تَدْخُلَكَ الْجَنَّةَ؛ بَلْ كَافِيَةٌ أَنْ تَلْحَقَكَ بِرُكْبِ الْمُسْلِمِينَ وَتَدْخُلَ فِي دِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومثله ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجُ حَرَامٍ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ " (1)

إن في هذا الحديث إطناب وجاء إيضاحا بعد إبهام، إذ إن ذكره ﷺ (إلا ثلاثة مجالس:) تحدث تشوقا لدى السامع لمعرفة ماهية هذه الثلاثة المحرمة ليبتعد عنها وجاء العدد نكرة (ثلاثة) لإفادة الإبهام فيحدث بعد ذكرها إيضاح بعد إبهام يدخل السرور على قلب السامع بعد معرفتها.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيْحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامَ سَمَانَ ؟) قُلْنَا نَعَمْ : قَالَ (ثَلَاثَ آيَاتٍ يَقْرَأُهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ سَمَانَ عِظَامَ) (2)

إطناب في الحديث كله، لتوضيح الفرق بين المؤمن والفاجر، فكانت البلاغة-هنا- متكئة على الإطناب الذي يوضح مدى التفرقة بين المؤمن والكافر، فجاء من خلال إطناب مُحلَّى بالتشبيه التمثيلي الممتد والمقابلة اللفظية والمعنوية.

ومثال ذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الرَّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» قَالَ سَلَمَةُ: «فَرَوْحُ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُّوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» (3)

الإطناب، في قوله ﷺ: (فروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب)، فجاء الإطناب موضحا ومفصلا لما أوجز في مطلع الحديث.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ نقل الحديث، 268/4: رقم الحديث 4869.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3782.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا هاجت الريح، 326/4: رقم الحديث 5097.

"وفي هذا الحديث يقول الرسول ﷺ: "الريخ"، أي: الهواء، "من روح الله"، أي: من رحمته وفرجه، يُرسلها ليريح بها المؤمنين". (1) الألفظ هي الرياح، أما الريح فهي التي أهلك الله بها الأمم السابقة التي حق عليها العذاب (2).

ونظير ذلك ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال « وَيَلْكُم - أَوْ وَيَحْكُمُ قَالَ شُعْبَةُ شَكَّ هُوَ - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ». وَقَالَ النَّصْرُ عَنْ شُعْبَةَ وَيَحْكُمُ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ وَيَلْكُمُ أَوْ وَيَحْكُمُ (3).

إطئاب، في قوله ﷺ: (يضرب بعضكم رقاب بعض)، فجاء الإطئاب لعلّة بلاغية ماثلة في توضيح ماهية الكفر في قوله ﷺ: (كُفَّارًا)، فكيف يرجع المسلم كافرا، فكانت الإجابة الشافية الوافية بالإطئاب (يضرب بعضكم رقاب بعض)، وعليه؛ فلم يأتِ الإطئاب كتعبئة بلا جدوى؛ ولكن للتوضيح والإفهام.

2- ذكر العام بعد الخاص :

وفائدته الشمول والاهتمام بالخاص لذكره ثانية ضمن العام.

ونظير ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو قال دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، فَمَنْ وَنَمَ، وَصُمَ وَأَفْطَرَ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمُرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَدْتُ فَشَدَدَ عَلَى فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَدْتُ فَشَدَدَ عَلَى فَقُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ » (4).

إطئاب في الحديث كله، وفيه جاء الإطئاب عام بعد الخاص حيث ذكر الخاص بقوله: فَمَنْ وَنَمَ، وَصُمَ وَأَفْطَرَ ثم ذكر العام وذلك بتعدد الإجابة حين قال عليه الصلاة والسلام: " فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمُرٌ، ومن زاوية أخرى فيه إيضاح بعد إبهام، حيث كان الإبهام في قوله:

(1) رياض الصالحين، يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص549.

(2) المصدر السابق، ص549.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6166.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

« أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ فُهنا في غموض لدى السامع، لكن جاء الإيضاح بعد الإبهام حين عدد قائلا: " فَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. وقوله: (أن تصوم) أن مصدرية، أي: حسبك الصوم من كل شهر، وأن ههنا مقدرة تقديره: إن صمتها فإذا لك صوم الدهر، وروى بلا تتوين، بلفظ: إذا، للمفاجأة، قال بعضهم: وفي توجيهها هنا تكلف. قلت: لا تكلف أصلا، ووجهه أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة، تقديره: إن صمت ثلاثة من كل شهر فاجأت عشر أمثالها⁽¹⁾

"وفي الحديث جواز تحدث المرء بما عزم عليه من فعل الخير، وتفقد الإمام لأمر رعيته كلياتها وجزئياتها، وتعليمهم ما يصلحهم، وفيه تعليل الحكم لمن فيه أهلية ذلك، وأن الأولى في العبادة تقديم الواجبات على المندوبات، وأن من تكلف الزيادة على ما طبع عليه، يقع له الخلل في الغالب، وفيه الحض على ملازمة العبادة"⁽²⁾.

وكان الإطناب من الضرورة بمكان، حتى يستطيع المسلم فهم الحديث وكيف يمكن أن يصوم المسلم الدهر.

3- التتميم والتكميل:

عرفه أبو هلال العسكري قائلا: "التتميم والتكميل هو أن توفي المعنى حظه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه تأكيد إلا تذكره"⁽³⁾

وشبيه ذلك ما ورد عَنْ معاذ بن جبل قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها)⁽⁴⁾

في قوله ﷺ: (يرجع ذلك إلى قلب موقن...) فالتتميم في قوله: " يرجع ذلك إلى قلب موقن، لأن الجملة هنا جاءت كجملة اعتراضية في وسط الحديث، والتكميل في قوله: "إلا غفر الله لها فجاءه الإطناب-هنا-لضرورة بلاغية وآثار دلالية، مفادها أنه ينبغي أن يتقدم الإخلاص، فجاء كإيغال في المعنى؛ وبالتالي ستنبع الشهادتين من القلب لا باللسان؟، فهذا هو الإخلاص، وهذه هي النية التي وقرت في القلب وصدقها العمل.

(1) عمدة القاري شرح البخاري، المؤلف: بدر الدين بن أحمد العيني، تحقيق: عبد الله عمر، 89225/11.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 225/4.

(3) الصنائع، أبو هلال العسكري، ص389.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1247/2: رقم الحديث 3796.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رضى الله عنه - أَنَّهُ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَأَقْبِلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ »⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (بما ينبغي للضيف)، فالتتيم في قوله: " بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ ، لأن الجملة هنا جاءت كجملة اعتراضية في وسط الحديث ، والتكميل في قوله: " وقوله فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ فجاء الإطناب ليوضح الأمر النبوي الذي يحث على الإكرام وقبول الضيافة.

الخلاصة:

- ما أطنب من حديث إلا لأنه يحتاج إلى توضيح مسألة أو لخطورة موقف أو بيان قضية فقهية أو تكرار مسألة ملفتة.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 85، 53/1: رقم الحديث 6137.

المبحث الرابع:

التراكيب النُحويّة من الوجهة البلاغية للفصل والوصل والقصر ودلالاتها البلاغية.

أولاً: الفصل وأسراره البلاغية:

المفهوم الاصطلاحي:

يعد باب الفصل والوصل من أبواب البلاغة الدقيقة لما يقتضيه من معارف أخرى في اللغة وقد أشاد البلاغيون والأدباء بأهمية هذا الباب، وعدوه عماد البلاغة، ومما أثر عن الجاحظ وهو يتحدث عن البلاغة، قال على لسان بعضهم "البلاغة معرفة الفصل من الوصل" أو معرفة الفصل والوصل. (1)

ويعده عبد القاهر الجرجاني من أسرار البلاغة، ومن الأمور التي لا يتم الصواب فيها، وإصابة الغرض إلا للخُص من العرب، أو كما يقول: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منتثرة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا للأعراب الخُص. (2)

وإن من أسباب الفصل بين جملتين، أن تكون الجملة الثانية متممة لمعنى الجملة الأولى أو مؤكدة لمعناها، وهو ما سماه البلاغيون بكمال الاتصال (3)، ويمثلون له بقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنِينَ﴾ و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (4).

الفصل في أحاديث كتاب الأدب مع بيان القيم الجماليّة فيها:

ونظير ذلك ما ورد عن أبي الدرداء، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّغَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاعًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» (5)

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، 87/1.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، ص 222

(3) النظرية البلاغية عند الإمام الزمخشري، د. عطية نايف الغول، ص 132.

(4) [البقرة: 2]

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعن، 277/4: رقم الحديث 4905.

الفصل في حرف العطف (ثم)، وقوله "أخذ يمينًا وشمالًا"؛ أي: طَفَّقَ يتردّد يمينًا وشمالًا. "مَسَاغًا"؛ أي: مَدْخَلًا وطريقًا. "إلى الذي لُعن"، بضم اللام وكسر العين؛ أي: إلى الملعون إن كانت اللعنة عليه بالحق⁽¹⁾ وبالتالي نلاحظ أن حرف (ثم) حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، ومن ناحية بلاغية فنراه قد جاء لداعٍ يتمثل في توضيح المسألة وتصوير الحدث بشكل متتابع وواضح ومتسلسل.

عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى » .⁽²⁾

وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ حيث جاء الفصل بالواو، وذكرت الواو ثلاثا، ففصلت بين الكلمات الثلاث، وجاء هذا الأسلوب بهدف القص بشكل أجمل وأبلغ وتوضيح التشبيه وإعطاء مدة زمنية كافية لإعمال العقل وربط المفاهيم وعقد العلاقة بين المشبه والمشبّه به، وليس تعبيرات لفظية نحوية فاقدة للجوهر البلاغي.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَنْطَلَقَ النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ « لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا » . وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ غُرِيٍّ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي غُنْفِهِ سَيْفٌ فَقَالَ « لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا » . أَوْ « إِنَّهُ لَبَحْرٌ » .⁽³⁾

في قوله - عليه الصلاة والسلام: "لن تراعوا لن تراعوا"، فجاء الفصل بذكر الحرف لن، مع تكرار الجملة دون ذكر حرف ربط أو وصل بين الجملتين.

ولم تأت الجملة مجرد تكرار نحوي فحسب يدعى التكرار اللفظي، بل جاء هذا الفصل لأن الجملة مكررة ولا تبلغ الجملة جمالها وزينتها اللفظية إلا بالفصل لذا منع العطف في هذه الجملة التكرارية .

(1) المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود الكوفي الشيرازي تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، 186/5.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 27، 12/8: رقم الحديث 6011.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 39، 16/7: رقم الحديث 6033.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا
الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تَحْمِلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ» . (1)

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " رأيت رجلين أتيا، قالا الذي رأيته يشق شذقه،
فكذاب يكذب بالكذبة، تحمل عنه... "، فنجد أن كلمات هذا الحديث منفصلة وليست متصلة
مثل: أتيا، الذي، يشق، تحمل عنه، دون وجود حروف ربط أو عطف أو وصل.

وجاء الفصل كعلة بلاغية متماشية مع التركيبية النحوية، فالفصل منح فرصة للتفكير في
هذا المسلسل القصصي ومن ناحية ثانية هو إعمال للعقل ومشاركة في التفكير من خلال هذا
الفصل الذي هو بمثابة فترة زمنية محددة للتفكير وترك مجال للمتلقين بإبداء الآراء وتنبؤ وتوقع
ما استقبل من خبر وحديث.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا،
وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ» (2)

الفصل في حرف العطف (و) الذي جاء قبله نهى وجاء بعد أمر؛ والمعلوم أن الواو -
نحويا- تأتي لمطلق الجمع، ولكنها بلاغيا انتقلت إلى معنى آخر متمثل في وجوب الامتناع
والنهى عن هذه الآفات الخلقية والقلبية.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ كَأَنَّ فِي
دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، وَأَتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ فَأَوَّلْتُ أَنَّ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ
فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ» (3)

الفصل، في قوله ﷺ: (وأن ديننا) وقبلها، في قوله ﷺ: (وأتينا) و(العاقبة في الآخرة)، (4)
وقوله (برطب من رطب ابن طاب) "هو نوع من الرطب معروف يقال له رطب ابن طاب وتمر
ابن طاب وعذق ابن طاب وعرجون ابن طاب وهو مضاف إلى ابن طاب رجل من أهل المدينة
(وأن ديننا قد طاب) أي كمل واستقرت أحكامه وتمهدت قواعده" (5) فجاء الفصل لداع يتمثل في

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 69، 31/8: رقم الحديث 6096.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ فيمن يهجر أخاه المسلم، 278/4: رقم الحديث 4910.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 306/4: رقم الحديث 5025.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 306/4: رقم الحديث 5025.

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجا، أبو زكريا النووي، 31/15.

توضيح المسألة، ومنح فرصة للتأمل. وقد جاءت الواو الفاصلة -هنا- كإشباع وإضافة مطنبة تؤكد على ما تم ذكره في مطلع الحديث، وهو متمثل في جمال الدين وطيبته وأفضليته عن سائر الأديان.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ . فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ».⁽¹⁾

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " رحم الله موسى، لقد أودى، فهنا نلاحظ أن هاتين الجملتين منفصلتين ولا يوجد بينهما أداة ربط أو حرف وصل، وقد أفاد الفصل هنا التسلسل والترتيب وتوضيح المعنى من خلال إعطاء فرصة للتفكير والانتباه من خلال هذا الفصل.

عَنْ سَمِيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْراً . فَقَالَ « فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ » .⁽²⁾

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " اشتد عليه العطش فوجد بئراً... فشرّب... ثم خرج... فإذا كلب يلهث "، وجاء هذا الفصل النحوي والانفصال التركيبي والتقطيع الجملي بهدف إيصال المعلومة بشيء من التوضيح والبيان وتفصيل الموقف بشكل بلاغي جميل لأنها تعدّ من الأقصوصات البديعة من خلال هذا الفصل البلاغي.

الخلاصة:

- جاء الفصل لمنح وقت كافٍ للتركيز والإقناع.
- جاء الفصل لتوضيح ما غمض.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 53، 17/8: رقم الحديث 6059.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 27، 11/8: رقم الحديث 6009.

ثانياً: الوصل وأسراره البلاغية.

المفهوم الاصطلاحي: قال ابن جنى - رحمه الله: (إنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة، والدقة، والإرهاف، ما يملك علي جانب الفكر) (1)، ويقصد ابن جنى (اللغة العربية)، ولا ريب أنه محق فيما يقول إلى أبعد غاية.

ويقول السيوطي: "الأصل فصل الكلمة من الكلمة لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما يكون وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزاً بفصله عن غيره وخرج عن ذلك ما كانا كشيء واحد، فلا تفصل الكلمة من الكلمة وذلك أربعة أشياء الأول المركب تركيب مزج كعلبك بخلاف غيره من المركبات كغلام زيد وخمسة عشر وصباح مساء وبين بين وحيص بيص الثاني أن تكون إحدى الكلمتين لا يبتدأ بها، لأن الفصل في الخط يدل على الفصل في اللفظ فإذا كان لا يمكن فصله في اللفظ، فكذلك ينبغي أن يكون في الخط وذلك نحو الضمائر البارزة والمتصلة ونون التوكيد وعلامات التأنيث والتثنية والجمع وغير ذلك مما لا يمكن أن يبتدأ به الثالث أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها، وذلك نحو باء الجرّ ولامه كافه وفاء العطف والجزاء ولام التأكيد؛ فإن هذه الحروف لا يوقف عليها (2) .

بلاغة الوصل :

وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف، لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيّد إلا مجرّد الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقم واسع في الخير. (3)

الأسرار البلاغية لبلاغة الوصل مع بيان القيم الجمالية فيها:

ونظيره ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ » . قُلْتُ بَلَى . قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسَبِكَ

(1) الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق: محمد علي النجار، 47/1.

(2) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، 511/3.

(3) الخلاصة في علوم البلاغة، علي بن نايف الشحود، ص 27.

أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». فَقُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »⁽¹⁾

وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: "تقوم الليل وتصوم النهار"، وجاء هذا الأسلوب بقصد العلاقة المتينة بين القيام والصيام، فإنهما من الأركان الأساسية، أما عن سر تقديم الليل على النهار، فإن القيام عبارة عن صلاة والصلاة تجمع الأركان الإسلامية الخمسة فهي صلاة وعبادة، وهي صيام عن الطعام أثناء الصلاة، وهي زكاة فهي تعبدية وتطهير للنفس كما الزكاة، وفيها الشهادتان وإلا فالصلاة مبتورة؛ بل مبطوبة، وهي كالحج عند استقبال القبلة الموقرة، وإن شئت فقل: هي جهاد للنفس من فراش النوم ومن لباس الدفء وجمال الأسرة. ومن وجهة ثانية فالقيام يحفز النفس على الجهاد بأنواعه ومشتقاته، وينشط الفكر والذهن، وهو الذي يقود إلى صلاة الفجر وصيام النهار وغير ذلك من الأفعال الصالحات وأجمل الطاعات، لذا تقدم القيام على الصيام. كما أن الوصل الذي عقد الصلة بين الجملتين النحويتين السابقتين منح وصلا واتصالًا بلاغيًا -أيضًا- فالقيام به يعبر المسلم الجسر الذي يوصل إلى الصيام ويأقي العبادات وعليه فالوصل هنا نحوي وبلاغي كذلك.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ « بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة ». فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَأَنْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَأَنْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدَتَنِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ »⁽²⁾

في قوله - عليه الصلاة والسلام: "بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة"، وجاء هذا الوصل للدلالة على وجود علاقة متينة بين الأخ والنجل، فإذا كان هذا الأخ فحاشا فالسنة الغالبة أن يخرج النجل كذاك الأب في الفحش والبغض والمنكر .

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ »

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 38/8: رقم الحديث 6134.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 38، 16/8: رقم الحديث 6032.

جَائِزَتُهُ « . قَالَ وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . (1)

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن "، وجاء هذا الوصل بهدف إبراز مطلق الجمع وبيان العلاقة الوطيدة والقوية بين ما قبل العطف وما بعده، فلا فاصل لفظي ولا فاصل معنوي بين الجملتين النحويتين بل تخللهما شيئاً من الجمال البلاغي والسر الدلالي.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتْنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ « وَنَيْكَ قَطَعْتَ عُقُقَ أَخِيكَ - ثَلَاثًا - مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيُقِلْ أَحْسِبُ فَلَانًا - وَاللَّهِ حَسِيبُهُ - وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا . إِنْ كَانَ يَعْلَمُ » . (2)

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " والله حسيبه"، وجاء هذا الأسلوب بهدف التأكيد بأن الله يكفيه، فهي ليست مجرد جملة نحوية عاطفية نسقية أو مجرد خبر يُذكر، وإنما هي للتذكير بأن الله على كل شيء قدير وأنه حسبنا الله ونعم الوكيل وأن الله كاف عبده.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَكَتُ النَّبِيَّ ﷺ كَذَا وَكَذَا يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِي أَمْرِ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ . يَغْنَى مَسْحُورًا . قَالَ وَمَنْ طَبَّهْ قَالَ لَيْبِدُ بْنُ أَغْصَمَ . قَالَ وَفِيمَ قَالَ فِي جُفِّ طُلْعَةٍ ذَكَرٍ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ، تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بئرٍ ذَرُوانَ » . فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ « هَذِهِ الْبئرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ (3) » . (4)

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " هذه البئر التي أُرِيْتُهَا كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ "، وجاء هذا الوصل كدلالة منطقية، ذلك أن ثمة حلقة وصل بين الجملتين اللتين وقعت الواو العاطفة الواصلة بينهما، وجاءت الجملة الثانية كإشباع

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 31، 13/8: رقم الحديث 6018.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 47/8: رقم الحديث 6162.

(3) نقاعة الحناء: النقاعة بضم النون وهي الماء الذي ينفع فيه الحناء والحناء ممدود.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 56، 23/8: رقم الحديث 6063.

وإطناب لما جاء في الجملة الأولى، وعليه فإن الجمل المعطوفة تأتي كغرض بلاغي جميل مائل في الإطناب البلاغي الذي يزيد في اللفظ فيزيد في المعنى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » . (1)

في قوله - عليه الصلاة والسلام: " ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تتاجسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا "، وجاء هذا الوصل بهدف لفت الانتباه؛ لأن السجع تزايد، ولأن النهي تضاعف، ولأن لفظ الجماعة -عبر (واو الجماعة)- أكد وأكثر تأثيراً على النفس البشرية، فلم تأت المعطوفات عابرة نحوية، ولم تأت النواهي تكرارات دون بلاغة أو دلالة.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 57، 23/8: رقم الحديث 6064.

ثالثاً: القصر وأسراره البلاغية

أ. التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

يطلق لفظ القصر عند أهل اللغة على معان كثيرة أقربها إلى ما نحن فيه "الحبس"، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾⁽¹⁾ أي محبوسات فيها.

ويراد به في اصطلاح البلاغيين: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص⁽²⁾.

أسلوب القصر عند البلاغيين -

من الأساليب التي عنى بها البلاغيون ما يطلق عليه أسلوب القصر، وذلك لما يضيفه على الأسلوب من قوة التأثير، وجمال التعبير.

وكان أول من تناول بعض قضايا القصر الناقد الفذّ عبد القاهر الجرجاني، ذلك لأنه في معرض تناوله لقضايا النظم أشار إلى أن بعضها يفيد القصر أو التخصيص.⁽³⁾

والقصر في اصطلاح البلاغيين: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. ومعنى ذلك أن القصر في المعنى الاصطلاحي لا يبعد عن المعنى اللغوي. وهو حبس شيء على شيء، أو وقفه عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره.⁽⁴⁾

ب- أدوات القصر:

1- النفي والاستثناء

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ)⁽⁵⁾

[الرحمن: 73] (1)

(2) ينظر: من أسرار التركيب البلاغي، حجاب، السيد عبد الفتاح، ص 77.

(3) ينظر بُغْيَةَ الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، 4/2.

(4) ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 332.

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 1250/21: رقم الحديث 3805.

في قوله ﷺ: (ما أنعم إلا)، فقصر الصفة (نعمة الله) على الموصوف (العبد)، فالمقصود في الحديث هو: نعم الله والمقصود عليه هو: العبد ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: ما - إلا.

ونلاحظ هنا أن الحديث جاء بطريق القصر بالنفي والاستثناء، هذا الاستثناء يسمى المفرغ لأنه جاء منفيا غير ثابت وجاء غير تام بحذف للمستثنى منه.

ومن اللافت هنا أن كلمة نعمة نكرة جاء على إطلاقها للعموم فتدخل النعمة هنا في باب المال والبنين والنفس، وبالتالي هي دعوة للذكر والتحميد، لأن فيه بيان أهمية الحمد والشكر والثناء على الله بما هو أهله عند نزول النعم.

2- إنما:

ونظيره ما ورد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْغُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّنَائُبَ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَلَا يَقُلْ هَاهُ هَاهُ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ يَضْحَكُ مِنْهُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فإنما ذلكم من الشيطان) بمعنى (الله - تعالى - يكره التناؤب؛ لأنه من الشيطان، فجاء القصر هنا بإنما. فالمقصود في الحديث هو: ذلكم والمقصود عليه هو: الشيطان ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: إنما.

ومن الجميل في هذا الحديث أن النبي ﷺ استخدم صورة كنائية ودلالة وعلاقة سيميائية في كلمة (هاه هاه)، وفيها كناية عن التناؤب إذ يخرج التناؤب صوتا هكذا ولأن النبي ﷺ يريد منا أن نأخذ عنه ولو آية ولو حديث ذكر هذا التركيب الصوتي بصورة كلامية حتى يفهمها الناس من ناحية وحتى يطبق الحديث ويتعلم الناس منه، ومن ناحية أخرى نجد في الحديث أن النبي ﷺ استخدم الإيجاب بين كلمتي (يحب) و(يكره) في حق الله - تعالى - ولو توجهنا إلى القرآن سنجد أن القرآن يذكر كلمة (لا يحب) بدلا من (يكره) مثل (إن الله لا يحب الكافرين) و(إن الله لا يحب كل خوان كفور)، من باب الذوق الأدبي القرآني الرفيع؛ ولكن -هنا- في هذا الحديث لم يكن كره الله إلى شخص بعينه أول إلى جهة بنفسها أو صنف بذاته ولم يكن هذا الكره ك لصيقة ببني البشر، وإنما كان الكره للتناؤب؛ فلا غضاضة أن تكون اللفظة (يكره).

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في التناؤب، 307/4: رقم الحديث 5028.

3- تقديم ما حقه التأخير:

ونظير ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فيك خلتين) فقدم كلمة (فيك) على كلمة (خلتين)، والمقصود عليه هو المقدم وذلك في كلمة فيك، والمقصود في كلمة خلتين. وتقدم جملة خبر إن. أما عن سر تقديم كلمة (الحلم) على (الأناة) ليس مجرد صناعة السجع في الحديث النبوي؛ بل لأن المعنى والمنطق يقول: يكون التمهّل ثمّ الحلم ثمّ يصل إلى رتبة الأناة، فهي أشمل وأعمّ من الحلم، فالحلم هو صبر وضبط للنفس، بيّد أن (الأناة) فيه صبر وحلم وقار ورزانة وأكثر حلما وصبرا. وعليه لن تكون كلمتا (الحلم) و(الأناة) كلمتين مترادفتين؛ بل جاءتا في معنيين مختلفين.

ومثال ذلك ما ورد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» وإذا أمسى قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (بك أصبحنا) و(بك أمسينا) و(بك نحيا) و(بك نموت)، أي بك وحدك وليس لأحد سواك والمقصود عليه هو المقدم وذلك في كلمة بك، والمقصود في كلمة أصبحنا - أمسينا - نموت. وعليه يكون التقديم هنا للتخصيص. فكان التقديم لافتا للانتباه وتأكيد على أن المسلم ينبغي عليه أن يتمسك في حياته بالله - تعالى - في كل وقت وحين.

ج- أقسام القصر⁽³⁾:

1- القصر باعتبار الحقيقة والإضافة

أ. القصر الحقيقي:

وهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه بحسب الحقيقة والواقع، لا يتعداه إلى غيره أصلا.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قبلة الرجل، 357/4: رقم الحديث 5225.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 317/4: رقم الحديث 5068.

(3) انظر: البلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف ص285.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ ﷺ « فَإِنَّمَا بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ ».⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فإنما)، فالمقصود في الحديث هو: البعث والمقصود عليه هو: الضمير أنا والمقصود النبي ﷺ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وهو قصر حقيقي وأداة القصر فيه هي: إنما.

وقد "حذف مفعول القسم في هذه الزيادة إفادة للعموم؛ أي: أقسم بينكم العلم والغنيمة ونحوهما، وقيل: البشارة للصالح، والندارة للطالح، كما يدل عليه حذف المفعول؛ لتذهب أنفسهم كُلُّ المذهب، ويشرب كل واحد من ذلك المشرب، وهذا المعنى غير موجود حقيقةً في حقكم، بل مجرد اسم لفظاً أو صورةً في شأنكم وشأن أولادكم".⁽²⁾

وقيل المعنى: "أني لست أبا القاسم بمجرد أن ولدي كان مسمى بقاسم، بل لوحظ معنى القاسمية في اعتبار القسمة الأزلية في الأمور الدينية والدنيوية، فلست كأحدكم لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأسماء. انتهى من "المراقبة"⁽³⁾.

وقد جاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة التأكيد، فلم تكن كلمة (إنما) كجملة خبرية أو قصر فحسب.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أُمِّهِ سَعْدَى الْمُرِيَّةِ قَالَتْ مَرَّ عَمْرُ بَطْلَحَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ مَالِكُ كُنَيْبًا ؟ أَسَاءَتْكَ إِمْرَةٌ ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ لَا ؛ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنِّي لِأَعْلَمَ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا كَانَتْ نَوْرًا لَصَحِيفَتِهِ. وَإِنْ جَسَدُهُ وَرُوحُهُ لِيَجْدَانِ لَهَا رُوحًا عِنْدَ الْمَوْتِ) فَلَمْ أَسْأَلْهُ حَتَّى تَوَفَّى. قَالَ أَنَا أَعْلَمُهَا. هِيَ الَّتِي أَرَادَ عَمُّهُ عَلَيْهَا. وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَنْجَى لَهُ مِنْهَا لِأَمْرِهِ⁽⁴⁾

جاء القصر بطريق النفي والاستثناء وعليه يكون المقصود ما قبل إلا وما بعدها هو المقصود عليه، قصر قوله للكلمة على النور، وعليه يكون هو قصر الموصوف على الصفة.

(1) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ النهي عَنْ التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب، 170/6: رقم الحديث 5712.

(2) شرح سنن ابن ماجة المسمى (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى)، محمد الأمين العلوي، 118/22.

(3) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ الْمُسَمَّى (إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ) عِيَاضُ بْنُ مُوسَى الْيَحْصَبِيِّ السَّبْتِيُّ، تحقيق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، 5/7.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1247/2: رقم الحديث 3795.

فلو أراد أحدهم أن يعزل البلاغة النبوية عن هذا الحديث لقال: (أعلم كلمة إن قيلت كانت نورا لصحيافته).

وشبيه ذلك ما ورد عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (وهل تلد ... إلا النوق) فالمقصور في الحديث هو: الولادة والمقصور عليه هو: النوق ﷺ، ونوع القصر فيه هو: قصر حقيقي وأداة القصر فيه هي: هل - إلا.

وفيه قصر جاء بطريق النفي والاستثناء، إذ أن "هل" خرجت عن معناها الحقيقي وهو الاستفهام لتفد معنى بلاغياً وهو النفي، وعليه يكون المعنى: (وما تلد الإبل إلا النوق) وعليه يكون المقصور وهو الولادة، والمقصور عليه هو الإبل.

والذي نراه في هذه العبارة أن هناك تقدماً وتأخيراً، إذ إن نص الحديث (وهل تلد الإبل إلا النوق) بمعنى: هل تلد النوق الإبل، فيكون ما بعد إلا هو المقصور عليه (الإبل) وما قبلها يكون المقصور (النوق).

وإذا فتحنا باباً رابعاً فنقول: فيه فائد تربوية وساعة ترفيهية ولحظات من المزاح والهزار، لأن معنى الحديث: وهل تُولَدُ الإبلُ إِلَّا مِنَ النُّوقِ وهي أنثى الجمل، والمعنى: أن كلَّ الإبلِ هي من وَلَدِ الناقَةِ؛ فعَبَّرَ ﷺ عَنْ لَفْظِ الْوَلَدِ وَالْمُرَادُ بِهِ أَنْوَاعُ الْإِبِلِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أَنْثَى كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا، وَهَذَا مِنْ مُلَاطَفَتِهِ ﷺ لِلرَّجُلِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوْبِيحِ؛ حَيْثُ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ الْعُمُومَ، وَهَذَا الرَّجُلُ فَهَمُ شَيْئًا خَاصًّا. وفي الحديث: مَشْرُوعِيَّةُ الْمَازِحَةِ بِالتَّوْبِيحِ بِالصِّدْقِ.⁽²⁾

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ، الْمَصْدُوقَ ﷺ صَاحِبَ هَذِهِ الْحُجْرَةِ يَقُولُ: «لَا تُنَزَّعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»⁽³⁾

في قوله ﷺ: (لا تنزع ... إلا من شقي)، فالمقصور في الحديث هو: نزع الرحمة والمقصور عليه هو: شقي ﷺ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وهو قصر حقيقي وأداة القصر فيه هي: لا - إلا.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في المزاح، 300/4: رقم الحديث 4998.

(2) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق علي معوض و عادل عبد الموجود. 548/6.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الرحمة، 286/4: رقم الحديث 4942.

ومعلوم أن هذا استثناء مفرغ؛ لأنه غير موجب -أي مسبوق بنفي- وغير تام -أي لم يُذكر المستثنى منه، وتُعرب كلمة (من شقي) جار ومجرور حسب موقعها في الجملة، وكان السياق هو (تنزع الرحمة من شقي)، ويبقى السؤال: ما الفرق بين هذين السياقين؟ ولم لم يكن التعبير النبوي كما السياق الذي سقناه؟!.

وكما يرى صاحب لسان العرب فقال: " نزع الشيء ينزعه نزعا فهو منزوع ونزيع وانتزعه فانترع اقتلعه فاقتلع " ثم أضاف: " وقوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا قال الفراء تنزع الأنفس من صدور الكفار كما يغرق النازع في القوس إذا جذب الوتر وقيل في التفسير يعين به الملائكة تنزع روح الكافر وتنشطه فيشتد عليه أمر خروج روحه⁽¹⁾ .

ينبغي القول -هنا: لا شك أن القصر قد اقتصر على أن انتزاع الرحمة ملتصق تماما ودوما بالشقاء، ولو فتشنا في المعاجم اللغوي؛ لوجدنا أن الانتزاع هو أقوى وأبلغ عبارات الإزالة والخلع

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي. فركضني برجله: وقال (ياجنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار)⁽²⁾

أسلوب قصر ب إنما، في قوله ﷺ: إنما هذه ضجعة أهل النار (فالمقصود في الحديث هو: ضجعة والمقصود عليه هو: أهل النار ﷺ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وهو قصر حقيقي وأداة القصر فيه هي: إنما.

كان النداء في هذا الموقف هو نداء لينتبه (أبو ذر) مما سيقوله النبي ﷺ ففي هذا الموقف هو نداء دلالة بلاغية المقصود منها إحضار، وذكر ما هو جديد ومهم؛ لكنه خطير ودليل ذكر ما تلاه نبينا ﷺ من أسلوب قصر للتخصيص والتركيز على أن هذه الجلسة

ب. القصر الإضافي:

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»⁽³⁾

(1) لسان العرب، ابن منظور 349/8.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ التَّهْيِ عَنْ الاضطجاع على الوجه، 1227/2: رقم الحديث 3724.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ باب في التجاوز في الأمر، 250/4: رقم الحديث 4785.

إذ أنه قصر الرسول ﷺ على الاختيار وهو قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً لأنه لا يقع فيه القصر الحقيقي.

وفي قوله ﷺ: (ما خير رسول الله ... إلا اختار)، فالمقصود في الحديث هو: التخيير والمقصود عليه هو: النبي ﷺ، ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وهو قصر إضافي وأداة القصر فيه هي: ما - إلا.

فجاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة تأكيدية بالاستثناء اللأفت للانتباه كما أن فيه تخصيصاً وتركيزاً في السياق.

وشبهه ذلك ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ. فَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِشَأْنِهِمْ: فَقَالَ (إِنَّمَا هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ. فَإِذَا نَمْتُمْ فَأُطْفِئُوهَا عَنْكُمْ)⁽¹⁾.

أسلوب قصر ب (إنما)، في قوله ﷺ: (إنما هذه النار.) فالمقصود في الحديث هو: هذه النار والمقصود عليه هو: عدو، ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وهو قصر إضافي وأداة القصر فيه هي: إنما.

ومن الملحوظ نحوي أن كلمة (إنما) هي حرف تأكيد ونصب، و(هذه) اسم إشارة اسم إن والنار بدل، لكن لو تتبعنا دلالياً وبلاغياً سنجد أن هذه الكلمات الثلاث جاءت كأخبار ثلاثة متجاوزة للتأكيد والتوكيد والأهمية. لأن كلمة إنما توكيد خبري، و(هذه) كإشباع وتأكيد و(النار) بدل مطابق أكل من كل فنقول ما هذه؟ هذه النار، وما النار؟ النار هذه. فكان السياق أكثر تأكيداً.

والقصر هو قصر النار على العدوان وهو قصر موصوف على صفة، وعليه لا يكون إلا قصراً إضافياً لأنه تعدى المقصود إليه (الصفة) إلى غيرها من الصفات الأخرى.

ونظير ذلك ما ورد عن عمرو بن العاص، أَنَّهُ قَالَ: " كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كَفَرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"⁽²⁾

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إطفاء النار عند الميت، 1239/2: رقم الحديث 3770.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ باب في كفارة المجلس، 264/4: رقم الحديث 4857.

أُسلوب قصر واستدراك واستثناء، في قوله ﷺ: (لا يتكلم ... إلا كفر ...)، وفيه قصر إضافي لأنه قصر التكلم على كفر، فالمقصود في الحديث هو: الكلام والمقصود عليه هو: الكفر ونوع القصر فيه هو: قصر إضافي وأداة القصر فيه هي: لا -إلا.

كما أنه يوجد قصر آخر في قوله ﷺ: " وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ نِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ..." وهو قصر بالنفي والاستثناء إذ أنه قصر قوره في المجلسين على إثباته عليه، وهو قصر الموصوف على الصفة.

وهناك قصر ثالث في الحديث نذكر من باب التوضيح وإن كان موضعه تحت القصر الحقيقي وهو قوله ﷺ: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " قصر الألوهية على الله، وهو قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً.

ومثيل ذلك ما ورد عَنْ البراء بن عازب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا) ⁽¹⁾.

وفيه أسلوب قصر إضافي بطريق النفي والاستثناء، في قوله ﷺ: (مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا)، فالمقصود في الحديث هو: مسلمين والمقصود عليه هو: المغفرة ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وهو قصر إضافي وأداة القصر فيه هي: ما - إلا.

ومن الجدير ذكره هو أن الجملة الاستثنائية -عادة- من ناحية نحوية تتألف من المستثنى منه وأداة الاستثناء والمستثنى.

وقد جاء الأسلوب -هنا- بطريق (الاستثناء المفرغ)، والمعلوم أن الاستثناء المفرغ هو استثناء غير تام وغير موجب في الوقت ذاته، بمعنى أن الجملة مستهله بأداة من أدوات النفي أو النهي أو الاستفهام، وأن المستثنى منه غير مذكور في الجملة، وقد سمي مفرغاً؛ لأن ما بعد (إلا) تعرب حسب موقعها من الجملة، وكأن إعرابها تفرغ عما قبلها واستقل بذاتها.

ثم إنَّ المستثنى في الحديث هو كلمة (غُفر) وهو فعل مبني للمجهول بمعنى (غفر الله)، وعليه يستشف الباحث مما ذكر هو أن القصر -هنا- جاء بغية الانتباه ولفت الأنظار وكذلك التشويق لما سيأتي بعد أداة الاستثناء (إلا) لأن الاستثناء كما هو معلوم، هو إخراج ما

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المصافحة، 1220/21: رقم الحديث 3703.

بعد (إلا) وأخواتها من حكم ما قبلها، مثل قرأت الكتاب إلا فصلين. تأكيد وتثبيت وسرعة وضوح بمعنى عدم ضرورة وجود المستثنى منه

2- القصر باعتبار الطرفين:

أ. قصر الموصوف على الصفة:

ونظير ذلك ما ورد عند الله يقول رأى عمر على رجل حلة من استبرق فأتى بها النبي ﷺ فقال يا رسول الله اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك. فقال « إنما يلبس الحرير من لا خلق له ». فمضى في ذلك ما مضى، ثم إن النبي ﷺ بعث إليه بحلة فأتى بها النبي ﷺ فقال بعثت إلى بهذه، وقد قلت في مثلها ما قلت قال « إنما بعثت إليك لتصيب بها مالا »⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (إنما يلبس الحرير من لا خلق له...)، حيث قصر ﷺ لبس الحرير على الشخص الذي لا أخلاق له، وهو قصر الصفة على الموصوف قصرًا إضافيًا بأداة القصر إنما.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسان إذا لبس الحرير في الدنيا فإنه لا يدخل الجنة، -والعياذ بالله؛ لأن الرسول ﷺ قال لا خلق له في الآخرة أي لا نصيب له وقال أيضا: من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وهذا يعني أنه لا يدخل الجنة ولكن قال بعض العلماء: "إنه يدخلها ولكن لا يتمتع بلباس الحرير مع أن أهل الجنة لباسهم فيها حرير وإنما يلبس شيئًا آخر وهذا ما لم يتب فإن تاب من ذنوبه"⁽²⁾

ونظير ذلك ما ورد عن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن رجلاً اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مذكرى يحك به رأسه فلما رآه رسول الله ﷺ قال « لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك ». وقال رسول الله ﷺ « إنما جعل الإذن من أجل البصر »⁽³⁾.

في قوله ﷺ: (إنما جعل الإذن..)، فالمقصود في الحديث هو: الإذن والمقصود عليه هو: البصر ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وأداة القصر فيه هي: إنما.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 66، 180/6: رقم الحديث 6081.

(2) شرح رياض الصالحين، النووي، (909/1).

(3) سنن مسلم، مسلم، الأدب/ تحريم النظر في بيت غيره، 180/6: رقم الحديث 5764.

فقصر الأذن على البصر وهو قصر موصوف على صفة ولو تم التركيز على الجملة الحديثية -هنا- سنجد أن حذف إنما وإبقاؤها متساويان من الناحية النحوية، فقوله ﷺ (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ) تساوي -معنى- قول من يقول: (جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)، ولكن قد أضفت كلمة (إنما) التخصيص والتركيز وحصرت المعنى في دائرة الاختصاص والاعتناء، وبالتالي جاء أسلوب القصر موغلا في اللفظ والمعنى.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَغْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ »⁽¹⁾.

في قوله ﷺ: (فإنما بعثتم ميسرين). فالمقصود في الحديث هو: بعث الناس والمقصود عليه هو: ميسرين ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وأداة القصر فيه هي: إنما.

فجاء القصر النحوي من أجل التنبيه والتوضيح والحث على الأخذ بهذا الرأي السديد، وقال صاحب عمدة القاري: " فإن قلت: المبعوث هو رسول الله ﷺ، فكيف هذا؟ قلت: لما كان المخاطبون مقتدين به ومهتدين بهداه ﷺ كانوا مبعوثين -أيضاً، فجمع اللفظ باعتبار ذلك، والحاصل أنه على طريقة المجاز، لأنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغييبته أطلق عليهم ذلك، أو لأنهم لما كانوا مأمورين من قبله بالتبليغ فكأنهم مبعوثون من جهته.⁽²⁾

وعليه لم يجئ القصر مجرداً من البلاغة الدامغة والدلالة الواضحة بل كانت الدلالة والبلاغة واضحتين في أن هذا أمر ينبغي على المسلم أن يتحلى به، ومن زاوية أخرى فالبلاغة ماثلة في أن كلمة بعثتم تعود هنا لفظاً للنبي ومعنى للصحابة ومن تمسك بما جاء به محمد ﷺ.

وشبه ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ مِائَةِ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَانَ لَهُ عَدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكَتَبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمَحِي عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَ لَهُ حَرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ سَائِرَ يَوْمِهِ إِلَى اللَّيْلِ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ أَكْثَرَ)⁽³⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 80، 180/6: رقم الحديث 6128.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 128/3.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1248/2: رقم الحديث 3798.

أُسلوب قصر في (لم يأت ... إلا من قال)، فالمقصور في الحديث هو: عدم إتيان أحد والمقصور عليه هو: من قال أكثر، ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وأداة القصر فيه هي: لم -إلا.

فجاء أسلوب القصر موعلاً في المعنى ومنح قوة في التعبير. ومن اللافت أن هذا أسلوب استثناء تام غير موجب حيث جاء النفي في مطلع الجملة وذلك بذكر أداة الجزم (لم) والتي تقلب الزمن المضارع إلى الماضي، وتجزم ما بعدها، لكن سياق الحديث هنا يلفت العناية والاهتمام إلى المتلقي والسامع بأن هذا نوع من الإغراء والتشويق والتحفيز، وهو دعوة؛ لأن يزيد المسلم من التسبيح والتهليل والتحميد، فالفرص على الطرقات والخيرات سهلة التناول وعظيمة الثواب والأجر، وبالتالي لم يكن القصر والاستثناء بغية عبارة عابرة أو جملة موظفة فحسب، بل لها مدلول بلاغي وقيمة تربوية وأخلاقية، فالمدلول البلاغي هو النصح والإرشاد التشويق والإغراء في الوقت ذاته، أما القيمة التربوية والأخلاقية فتتمثل في أن الأفضلية عند الله -تعالى- ورسوله كامنة في الذكر والتسبيح وأنه لا فضل لبشري على آخر إلا بالتقوى.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مر به وهو يغرس غرساً: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟) قلت غراساً لي: قَالَ (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟) قَالَ بلى. يا رسول الله: قَالَ (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) (1)

ومثال ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ» (2)

في قوله ﷺ: (إنما هم فحم)، فالمقصور في الحديث هو: هم والمقصور عليه هو: فحم ونوع القصر فيه هو: قصر موصوف على صفة وأداة القصر فيه هي: لا -إله "النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ"، أي: سَوَاءٌ، "وَأَدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ"، أي: بَيَانٌ لِقَدْرِ الْمَادَّةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَالَّتِي لَا تُؤَسِّسُ لِلْفَخْرِ وَالْكِبَرِ، بل للتواضع. وفي الحديث: النَّهْيُ عَنِ التَّفَاخُرِ وَالْكِبَرِ. كما فيه: الْحَثُّ عَلَى التَّقْوَى وَالتَّقَرُّبِ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وفيه: التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُجُورِ وَكُلِّ مَا يُوْدِي إِلَيْهِ.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3807.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التفاخر في الأحساب، 331/4: رقم الحديث 5116.

ومن الملحوظ هنا أن هذا الحديث له وجهات نحوية وأخرى بلاغية، فأما الوجهات النحوية فتتمثل في أن هذا الأسلوب هو أسلوب قصر بـ(إنما)، ومن ناحية ثانية فإننا نرى فيه خبراً مغلفاً بشيء من التوكيد، وذلك بوجود حرف إن في (إنما)، أما من الناحية البلاغية ففي القصر توكيد واقتصار وخصوصية لصيقة

ومن ناحية أخرى نجد أن القصر بـ(إنما) أقوى من القصر بالنفي الاستثناء وقد تجاوز التوكيد بوجود (إنما) مع الضمير المنفصل (هم) وإعرابها خبر المبتدأ فتجاوز الخبر التوكيد في إنما مع هم.

ب. قصر الصفة على الموصوف:

ومثال ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْغُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّنَّؤُبَ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَلَا يَقُلْ هَاهُ هَاهُ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ يَضْحَكُ مِنْهُ»⁽¹⁾

أسلوب قصر (فإنما ذلكم من الشيطان)، فالمقصود في الحديث هو: ذلكم بمعنى التناؤب، والمقصود عليه هو: الشيطان ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: إنما.

وهو قصر التناؤب على الشيطان فيكون قصر الصفة على الموصوف، وقال ابن بطال: إضافة التناؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضى والإرادة، أي أَنَّ الشَّيْطَانَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانَ مُتَنَاءِبًا لِأَنَّهَا حَالَةٌ تَتَغَيَّرُ فِيهَا صَوْرَتُهُ فَيَضْحَكُ مِنْهُ، لَا أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الشَّيْطَانَ فَعَلَ التَّنَّؤُبَ. وقال النووي: أضيف التناؤب إلى الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد عنه ذلك وهو التوسع في المأكّل. ⁽²⁾ وقال الثَّوْرِيّ: "وحيث ورد النهي عنه فالمراد التحذير من سببه، وهو التوسع في المطعم والمشرب والشبع". ⁽³⁾ فجاء أسلوب القصر موعلاً في المعنى ومنح قوة في التعبير.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في التناؤب، 306/4: رقم الحديث 5028.

(2) مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، أبو الفضل جلال الدين السيوطي، عناية: محمد شايب شريف، 1280/3.

(3) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي، تحقيق وتعليق:

أ.د. تقي الدين الندوي 121/3.

ونظير ذلك ما ورد عُثْمَانُ قَالَ: سَعْدُ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُ، فَقَامَ عَلَى
الْبَابِ - قَالَ عُثْمَانُ: مُسْتَقْبِلَ الْبَابِ - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَكَذَا - عَنْكَ - أَوْ هَكَذَا، فَإِنَّمَا
الِاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فإنما الاستئذان من النظر)، فقصر الاستئذان على النظر وهو قصر
صفة على موصوف، فالمقصود في الحديث هو: الاستئذان والمقصود عليه هو: نظر الإنسان
ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: إنما.

فجاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة تأكيدية بالاستثناء اللَّافِتِ للانتباه كما أن فيه
تخصيص وتركيز في السياق.

ومثال ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي
حَلْفِهِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى. فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَى أَقَامِرَكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ »⁽²⁾

أسلوب قصر واستثناء، في قوله ﷺ: (لا إله إلا الله). فالمقصود في الحديث هو: إله
والمقصود عليه هو: الله ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي:
لا -إلا.

فقصر الصفة على الموصوف، وهذا الاستثناء النحوي أو القصر الاستثنائي قد دلَّ على
الوجوب واللزوم، "لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها فأمر أن يتداركه بكلمة
التوحيد".⁽³⁾، كعلاج نبوي سريع وإسعاف أولي إيماني مباشر.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ
فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفِّيتَ،
وَوُفِّيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِّي وَوُفِّي؟"⁽⁴⁾

أسلوب قصر واستثناء، في قوله ﷺ: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فالمقصود في الحديث
هو: الحول والقوة والمقصود عليه هو: الله ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف
وأداة القصر فيه هي: لا -إلا.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الاستئذان، 344/4: رقم الحديث 5174.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 74، 180/6: رقم الحديث 6107.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 159/22.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا خرج من بيته، 325/4: رقم الحديث 5095.

فقصر الحول على الله تعالى، وبالتالي قصر الصفة على الموصوف، وقصر القوة على الله تعالى، وهو قصر الصف على الموصوف، وإن الفعل المبني للمجهول كتركيب نحوي، قد خلف وراء بلاغة قيمة وذلك في الإيجاز، ولو أطنبت الكلمة (هديت) لكانت مبنية للمعلوم وتكون بمعنى (هداك الله) وفي كلمة (وقيت) تعني (وقال الله) وفي كلمة (كفيت) تعني (كفاك الله -جلّ جلاله-)، فجاء البناء مجهولاً لعلّة دلالية ونكتة بلاغية ماثلة في الإيجاز البلاغي.

ومقابل ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه) ⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (إلا أن يجده)، فالمقصور في الحديث هو: الجزاء والمقصور عليه هو: الولد ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لا -إلا. وفيه حث على شدة التوقير والبر من الأبناء لأبائهم، ثم تقدير الآباء من بر أبنائهم. فجاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة تأكيدية وفيه تخصيص وتركيز في السياق.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ النَّبَاوَةِ، فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْبُذُ إِلَى هَذِهِ التِّلَاعِ، وَإِنَّهُ أَرَادَ النَّبَاوَةَ مَرَّةً فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحَرَّمَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ، أَرْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ» ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (لم يكن ... إلا زانه) فالمقصور في الحديث هو: الرفق، والمقصور عليه هو: الزينة ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لم - زانه. وأيضاً، في قوله ﷺ: (ولا نزع ... إلا شانه)، قصر الرفق على الزينة، فالمقصور في الحديث هو: الرفق والمقصور عليه هو: الزينة ونوع القصر فيه باعتبار طرفيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لم - إلا.

ولو تتبعنا معنى الحديث فإنه بالإمكان أن يعبر المرء بمعنى موازٍ كقول من يقول: ارفقي يا عائشة؛ فالرفق يزين أي شيء، وفقده يشين أي شيء. بيد أن التركيب الذي تلفظ به نبينا ﷺ جمع بين التركيب النحوي والتشكيل البلاغي والأثر النفسي والمدلول القيمي، وهذا هو

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالدين، 1207/2: رقم الحديث 3659.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ باب الرفق، 255/4: رقم الحديث 4808.

عين القمم البلاغية، التي افتقدها الفصح العربي، ولم يستطع أن تجابه قريش من قال: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، فالتشكيل البلاغي في الحديث سابق الذكر يتمثل في أن أسلوب القصر جاء لسبب يتمثل في قوة تأكيدية بالاستثناء اللَّافِتِ للانتباه كما أن فيه تخصيص وتركيز في السياق، وله وقع وأثر نفسي لأن استخدام كلمة (إلا) تمنع من وجود حلول ومقترحات وهذا قرار نبوي ونظرة فاحصة، وهي دعوة عامة لكل الناس بأن يرفقوا ثم إن الرفق جاء بلفظ التعريف للتخصيص، ولكن جاء كلمة (شيء) للعموم والشمول وبالتالي لا يمكن في أي حال من الأحوال أن ينعدم الرفق ويرافقه الزين بل الشين كل الشين.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (لا يجزي ... إلا أن يجده)، فالمقصود في الحديث هو: لا يجزي والمقصود عليه هو: ولد ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لا - إلا.

فجاء أسلوب القصر مخلفاً وراءه تخصيص وتركيز في السياق. وهذا الحديث لا يدل على أن من ملك أباه لا يعتق عليه بل نقول إن معناه إلا أن يشتريه فيعتقه أي فيعتقه بشرائه لأن الإنسان إذا ملك أباه عتق عليه بمجرد الملك ولا يحتاج إلى أن يقول عتقه وكذلك إذا ملك أمه تعتق بمجرد الملك ولا يحتاج إلى أن يقول عتقتها.⁽²⁾

فالعامل الوحيد الذي يمكن أن يكافئ به الوالد بدليل الحصر في الحديث في قوله ﷺ: (لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيعتقه) هو سبب وجودك، وأنت الآن في هذه الصورة تسببت في وجوده الحقيقي؛ لأنه وجوده مع الرق كلا وجود، منافعه مملوكة لغيره، لا يستطيع أن يتصرف بنفسه، فوجوده كالعدم، وأنت إذا اشتريته وجدته مملوكاً فاشتريته وأعتقته تسببت في وجوده حكماً، وإن كان الوجود الحقيقي الذي لا أثر له مما يلحقه كان موجوداً،

أسلوب قصر في قوله: (لا إله إلا الله)، فالمقصود في الحديث هو: إله والمقصود عليه هو: الله ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لا - إله.

ومن المعلوم يقينا أن هذه العبارة هي التي تطمئن النفس وهي التي تكون تمهيدا لدخول

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/بر الوالدين، 335/4: رقم الحديث 5137.

(2) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، 368/1.

الجنة، وأن رحمة الله تعالى تُستحضر حين يُخلص العبد ويؤمن بما آمن به رسوله الكريم، ومن الجميل ذكره أن الإعجاز الصوتي حاضر في هذه الجملة، لأن كما يرى الدكتور الشربيني أن لفظ الكريم (الله) هو الاسم الوحيد من بين أسماء أهل الأرض الذي لا تكسير ولا تقطيع في الصوت عندما سجل عبر المخبر الصوتي، فقد وجدوا أن لفظ (الله) عبارة عن مقطع صوتي واحد!.

ومن ناحية أخرى فنجد أن عبارة (لا إله إلا الله) تعنى لا معبد سواه ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يظهر إله غير الله فهو الأحد الصمد وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له نظيراً ولا كفواً أحد.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا»، وَيَقُولُ «إِنَّهُ لَيْسَ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ» (1)

في قوله ﷺ: (ليس يبقى إلا الرؤيا)، فالمقصود في الحديث هو: بقاء الرؤيا، والمقصود عليه هو: الرؤيا ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: ليس - إلا.

وقال الزرقاني: "العهدية، أي نبوته، و(إلا الرؤيا الصالحة) أي الحسنة أو الصادقة". وظاهر الاستثناء مع ما تقدم من أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة أن الرؤيا نبوة وليس كذلك لما تقدم أن المراد تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة، أو لأن جزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصف له (2) و (ليس) حرف نفي بمنزلة [لا] النافية، لا عمل لها.

يميل النحويون إل أن ليس تدخل على الجملة الفعلية، وتهمل في هذه الحالة، ولا وجه لمن ادّعى بأن اسمها ضمير الشأن؛ كما أن دخول النفي بليس في الجملة بطريق القصر حول النفي إلى إثبات. لأ المعنى هو (تبقى الرؤية) ولكن جاء القصر لإعمال العقل والتركيز والاختصاص. (3) فجاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة تأكيدية بالاستثناء اللّافِت للانتباه كما أن فيه تخصيص وتركيز في السياق.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 304/4: رقم الحديث 5017.

(2) شرح الزرقاني، الزرقاني، 353/4.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 392/12.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عمرو بن شعيب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لا يقص على الناس إلا أمير ومأمور أو مرء)⁽¹⁾

أُسلوب قصر ب (إلا) مع النفي، في قوله ﷺ: (لا يقص..إلا) فالمقصود في الحديث هو: لا يقص والمقصود عليه هو: أمير أو... ونوع القصر فيه هو: قصر صفة على موصوف وأداة القصر فيه هي: لا- إلا.

وهذا الأسلوب أي أسلوب القصر خرج من إطاره النحوي وخرج من مقصوده الاستثنائي إلى دلالات إيحائية تكمن في القصص منها السليم الصادق، ومنها السقيم الكاذب، وعلى المسلم أن يتجنب تلك القصص الكاذبة.

و" ليس هذا نهياً وإنما هو نفي؛ لأنه لو كان نهياً لصار المختال مأذوناً له في القص، فلو كان نهياً فإن معناه : أنه مأذون لهؤلاء ومنهم المختال لكن المقصود به النفي، يعني: أنه لا يحصل القصص إلا من هذا أو هذا، لكن لا يعني ذلك أنه يكون مأذوناً للمختال.⁽²⁾

وبالتالي فإن كلمة شقي أقوى وأبلغ وأشد التصاقاً بالكافر وهو قمة التعاسة والشدة والعسر الذي وصفه القرآن فقال: "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، وبالتالي جاء أسلوب القصر لسبب يتمثل في قوة المعنى.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ القصص، 1235/2: رقم الحديث 3753.

(2) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن العباد البدر، ص11.

المبحث الخامس:

التركييب النحوية للتقديم والتأخير ودلالاتها البلاغية.

أولاً: التقديم والتأخير وأسرارهما البلاغية

التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

عند بحثنا عن مادة (قَدَّمَ وأَخَّرَ) في المعاجم العربية، رأينا أنَّ لها معاني عديدة، من هذه المعاني ما ذكر في معجم العين قوله (الْقُدْمَةُ والقُدُمُ السابقةُ في الأمر كقوله _تعالى-: ﴿أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾⁽¹⁾ أي: سبق لهم عند الله خير، وللكاشرين قدم شر، والقَدَمُ: مصدر القديم من كل شيء، وتقول: قَدَّمَ يَقْدُمُ، وَقَدَّمَ فلان قومه، أي: يكون أمامهم)⁽²⁾.

وقال الزمخشري: (قَدَّمْتُهُ وأَقْدَمْتُهُ، فَقَدَّمَ وأَقْدَمَ بمعنى تقدّم ومنه مَقْدَمَةُ الجيش للجماعة المتقدِّمة والأقدام في الحرب)⁽³⁾، قال عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة أقدم⁽⁴⁾

وفي أسماء الله _تعالى- ((المُقَدِّم هو الذي يُقَدِّم الأشياء، ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قَدَّمَهُ، والقديم على الإطلاق، الله عزَّ وجلَّ، والقَدَمُ نقيضُ الحدوثِ، والقُدْمَةُ في الغنم التي تكون أمام الغنم في الرعي)⁽⁵⁾، والتأخير عكس التقديم.

المفهوم الاصطلاحي:

لم نجد في المصادر القديمة مَنْ ذكر التقديم والتأخير اصطلاحاً، بل كانت هناك إشارات إلى التقديم، وذلك ضمن تعريفهم لهذا الأسلوب، فقد ذكر بعض العلماء كلاماً عن هذا الأسلوب، كقول العسكري: (وتجد اللفظة لم تقع في موقعها ولم تصل إلى مركزها ولم تتصل بسلوكها وكانت قلقة في موضعها متأخرة عن مكانها فلا تكرها على اغتصاب الأماكن والنزول

(1) [يونس: 2]

(2) العين للفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 122/5، 123، مادة قَدَّمَ .

(3) أساس البلاغة للزمخشري، ص235 و 235 .

(4) شرح ديوان عنترة ابن شداد، قدم له وعلق على حواشيه، سيف الدين الكاتب أحمد عصام الكاتب 194 .

(5) لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور ،مادة قَدَّمَ .

في غير أوطانها⁽¹⁾، أما الجرجاني فقد قال: (ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطفَ عندك أن قُدِّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ آخر)⁽²⁾، فالجرجاني يرى أن التقديم، هو تحويل اللفظ من مكانه إلى مكانٍ آخر⁽³⁾.

وقد ساق عبد القاهر أمثلة متعددة لجمال التعبير النحوي بالتقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، والمزاوجة بين كلامين في الشرط والجزاء. وهو ينكر أشد الإنكار الكلام إذا نضد بعضه على بعضه دون تنكير في وصل الجمل وفصلها حتى تتكامل صياغتها النحوية. وهذه الفكرة التي أنكرها عبد القاهر نجدها عند أرسطو⁽⁴⁾

ثانيا: الأسرار البلاغية للتقديم التأخير مع بيان القيم الجمالية فيها:

1- التخصيص:

ونظير ذلك ما ورد عن جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي، فَتَدْعُو بِهِنَّ» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ»⁽⁵⁾

في قوله ﷺ: (رحمتك أرجو) والأصل (أرجو رحمتك)، فالتقديم في كلمة رحمتك والتأخير في كلمة أرجو، وأيضا التقديم في كلمة إلى نفسي والتأخير في كلمة طرفة عين، فجاء تقديم المفعول على الفعل والفاعل للتخصيص والتركيـز والتأكيد على طلب الرحمة من الله فحسب.

(1) الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص 140 - 141

(2) دلائل الإعجاز للجرجاني، صححه وشرحه وعلة عليه: أحمد مصطفى المراغي، ص 82 .

(3) ينظر مفتاح العلوم للسكاكي، ص 157، 179 .

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 13.

(5) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 324/4: رقم الحديث 5090

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ، وَغَيْرِهِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَذِهِ الرَّجْلِ⁽¹⁾، فَإِنَّ لِلَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- دَوَابَّ يَبْتَئُهُنَّ فِي الْأَرْضِ» قَالَ ابْنُ مَرْوَانَ: «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (فَإِنَّ لِلَّهِ دَوَابَّ)، والتخصيص فيها متمثل في المعنى: أي لله دون سواه. ولعلَّ تقديم لفظ الكريم على اسم إن دلالة على توقيره -جَلَّ جَلَالُهُ- حتى تكون كلمة (الله) أكثر لطفاً وأجمل موضعاً مما لو قيل (إن دوابَّ الله).

ونظير ذلك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمَنَافِقِ سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»⁽³⁾

في قوله ﷺ: (لا تقولوا للمنافق سيد) والتقدير (لا تقولوا سيد للمنافق)، فجاء للتخصيص لأنه ركز على المنافق ونهى عن مدحه بأن يقال له: يا سيد، لأنه سيتعالى على الخلق وسيظهر ما لا يبطن، فخصص المنافق من باب النهي عن ذلك لخطورة الأمر المتعلق بالمنافق.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ. فَنُصِفَهَا لِي وَنُصِفَهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ). قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اقْرَءُوا يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمْدُنِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَيَقُولُ أَتْنِي عَلِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ. فَيَقُولُ اللَّهُ مُجْدِنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي. وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ. يَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يَعْنِي فَهَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. فَهَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)⁽⁴⁾

في قوله ﷺ: (ولعبدى ما سأل)، والمراد وما سأل لعبدى أو فهو لعبدى، أي هذا خاص به وله ما سأل من باب التخصيص.

(1) هذاهُ الرَّجْلُ: أي عندما يظهر السكون والهدوء في الطريق.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الديك والبهايم، 327/4: رقم الحديث 5104.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقول المملوك ربي وربتي، 295/4: رقم الحديث 4977.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3784.

فجاء اللطف الرباني والرحمة الإلهية بتقديم العبودية على الطلب والسؤال، فما أجمل عبد الله أن يرعاه الله وأن يذكره تحت حمايته وخاضع تحت ملكه وقدرته.

ونظير ذلك ما ورد النَّبِيُّ ﷺ قال: « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ». قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ « فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ». قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ « فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمُلهُوفَ ». قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ « فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ». أَوْ قَالَ « بِالْمَعْرُوفِ ». قَالَ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ « فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ »⁽¹⁾

تقديم وتأخير في الحديث والمعنى (صدقة على كل مسلم) فتقدم شبه الجملة الخبر على المبتدأ وجاء التقديم للتخصيص والتركيـز.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي المِلِيح الهذلي أَنَّ نِسْوةً مِنْ أَهْلِ حِمصِ اسْتَأْذَنَ عَلَى عَائِشَةَ. فَقَالَتْ لَعَلَّكَ مِنَ اللَّوَاتِي يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ)⁽²⁾

في قوله ﷺ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا) والمراد أيما وضعت امرأة ثيابها، فالتخصيص هنا جاء للمرأة، فكان التقديم مهما بالنسبة للمرأة، تلك التي لم تراعى بيت زوجها ولم تراعى القاعدة النبوية (كلكم راع).

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي مجلز قال: خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه فقال: اجلسا سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار⁽³⁾

في قوله ﷺ: (له الرجال) والمراد (أن يتمثل الرجال له)، فجاء التقديم للتخصيص والتركيـز على ذلك الضعف من الرجال الذين يحبون قيام الناس لهم. وقد اتضح أن هذا الجواب في أسلوب الشرط جاء منطقياً ويوحى بدلالات مفادها التحذير والتذمر من هذا الفعل المتعالي على الخلق فما أحب قيام الناس لهم قابل ذلك نزوله وقعوده في النار.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي صالح عَنْ أَبِي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 33، 53/1: رقم الحديث 6022.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ دخول الحمام، 1234/2: رقم الحديث 3750.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ كراهية قيام الرجل للرجل، 90/5: رقم الحديث 2755.

له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحي عنه مائة سيئة وكن له حرزا من الشيطان سائر يومه إلى الليل. ولم يأت أحد بأفضل مما أتى به إلا من قال أكثر⁽¹⁾.

في قوله ﷺ: (كان له عدل) والمراد عدل له، فجاء التخصيص ولفت الانتباه في قوله ﷺ: على كل شيء قدير والمراد (قدير على كل شيء)، وقد جاءت صيغة المبالغة في كلمة قدير دلالة على المبالغة في قدرته عز وجل وهذا ما نعلمه عن أسمائها كلها.

2- العناية والاهتمام:

ونظير ذلك ما ورد عن زارع بن عامر بن عبد القيس العبدي عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أُمُّ اللَّهِ جَبَلْنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ⁽²⁾

تقديم وتأخير، في قوله ﷺ: (فيك خلتين) وتقدم جملة خبر إن للعناية والاهتمام. إذ إن تقديم كلمة (فيك) على المتأخر (كلمة خلتين) للاهتمام بالشخص المذكور وهو: (المنذر الأشج) أما عن سر تقديم كلمة (الحلم) على (الأناة) ليس مجرد صناعة السجع في الحديث النبوي؛ بل لأن المعنى والمنطق يقول: يكون التمهّل ثمّ الحلم ثمّ يصل إلى رتبة الأناة، فهي أشمل وأعم من الحلم، فالحلم هو صبر وضبط للنفس، بيّد أن (الأناة) فيه صبر وحلم وقار ورزانة وأكثر حلما وصبرا. وعليه لن تكون كلمتا (الحلم) و(الأناة) كلمتين مترادفتين؛ بل جاءتا في معنيين مختلفين.

ونظير ذلك ما ورد عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ (إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليكم)⁽³⁾

تقديم وتأخير، حيث قدّم شبه الجملة (عليكم) على أحد وهي الفاعل، للعناية والاهتمام لأن التركيز على المؤمنين وليس أهل الكتاب.

ومن المعلوم -يقيناً- أن الدين الإسلامي جاء سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا خاطب وإذا تعامل وإذا كان النصارى يقدمون الهزار والسخرية علينا وديننا، فلم يجعل الإسلام موقفاً

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1248/2: رقم الحديث 3798.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ قبلة الرجل، 357/4: رقم الحديث 5225.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ رد السلام على أهل النمة، 1219/2: رقم الحديث 3697.

مثل هذا، فلم يعدّ العلاقة بيننا وبينهم، فإذا كانوا يقولون: وعليكم السام؛ فالرد منا وعليكم فقط وهذا لا يلغي التواصل لعلهم يرجعون عن دينهم ويلتحقون بالإسلام.

ومثال ذلك ما ورد عن زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ: أَتَيْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ هَذَا فَلَانٌ تَقَطَّرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنْ التَّجَسُّسِ؛ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ»⁽¹⁾ في قوله ﷺ: (يظهر لنا شيء) فقد قدم شبه الجملة (لنا) من باب الأهمية وهم المعنيون في الخطاب.

وقال ابن منظور: وقيل: التجسس - بالجيم - أن يطلبه لغيره، وبالحاء أن يطلبه لنفسه، وقيل - بالجيم - : البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع، وقيل: معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار⁽²⁾. قال القرطبي: اختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين: فقال الأخفش: ليس تبعد إحداهما من الأخرى؛ لأن التجسس البحث عما يكتم عنك. والتجسس (بالحاء) طلب الأخبار والبحث عنها⁽³⁾.

ونظير ذلك ما ورد عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد يشهدان به على النبي ﷺ: قَالَ (ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وتغشتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)⁽⁴⁾

في قوله ﷺ: (وتنزلت عليهم السكينة)، فالعناية والاهتمام متمثلان في ذكر الملك في كلمة (عليهم) التي دلت على التأكيد والاهتمام بالأمر، ذلك أن الملائكة حين تنزل لمن يجلس في حلق الذكر والقرآن تحفهم الملائكة دلالة على الحص والحماية الملائكية لهذا المجلس وتنزل عليهم السكينة والطمأنينة التي تدل على حب الملائكة لهؤلاء الناس، ويذكرهم الله فيمكن عندك وهذه إشارة إلى حب الله لهذه الثلة المؤمنة، ودلالة على حب الله للمجالس التي يذكر فيها اسم الله تعالى.

وقد جاءت على وزن تَفَعَّلَتْ ففيها بلاغة ومبالغة وقوة في التنزيل كقوله -جَلَّ جلاله- "ونزل القرآن تنزيلا"، ولعلَّ في كلمة (تغشتهم) انتقاء حسنا وبلاغيا مؤثرا على النفس، فالتغشي أكثر إحاطة وشمول من كل الجوانب فكأنها -أي الملائكة- أحاطت من كل صوب ومن كل

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النهي عن التجسس، 272/4: رقم الحديث 4890.

(2) لسان العرب، ابن منظور، 3 / 147.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 16 / 301.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الذكر، 1245/2: رقم الحديث 3791.

مكان واتجاه وهذه الصيغة ما يشعر بالمبالغة، ويؤكد على وجود الملائكة في مجالس العلم.

وقد قَدَّم شبه الجملة (عليهم) على الفاعل السكينة للعناية والاهتمام، ولعلَّ هناك التقاءً بين فروع العربية، إذ التقى التجنيس الاشتقاقي في كلمة (جلس ومجلس) مع اسم المكان وهو من المشتقات في كلمة مجلس، وقد جاءت مؤكدة بهذا التجانس واسم المكان للتأكيد والحث ولكن نوه العدنان أن تكون هذه المجالس فيها ذكر الله، وإلا ستمحي هذه البركات الربانيَّة وهذه الأفعال الملائكية، ولعلَّ كلمة تنزلت فيها مبالغة وتأكيد،

ومثال ذلك ما ورد عَنْ عبد الرحمن بن أبي بكرة عَنْ أبيه قَالَ مدح رجل رجلاً عند رسول الله ﷺ : فقال رسول الله ﷺ (ويحك قطعت عنق صاحبك) مراراً. ثُمَّ قَالَ (إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً أَخَاهُ فَلْيَقِلْ أَحْسَبُهُ وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا) ⁽¹⁾ .

تقديم وتأخير، فالأصل في الجملة الحديثة -سابقة الذكر- هو لا أزكي أحداً على الله، فالتقديم مفاده كان للاهتمام ، وتقديم المعية الربانيَّة والتقدير الإلهية والتوكل على رب البرية، في كل الأزمنة والأمكنة.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَامَ بَغِيرَ إِزَارٍ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يَدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (مائدة يدار عليها الخمر)، فجاء التقديم للعناية والاهتمام، والاهتمام هنا في المتقدم وهي كلمة (عليها) أي على المائدة فلا يجوز أن يوضع عليها الخمر لأن الخمر كله حرام، فليس في الخمر ما هو حلال وما هو حرام، لذا كان العناية والاهتمام بكلمة عليها أي على المائدة.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عَنْ: النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةٌ أَضُرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ⁽³⁾

في قوله ﷺ: (في الناس فتنة)، والمرادُ تقديم فتنة على شبه الجملة في الناس، فجاء التقديم من باب العناية والاهتمام وكذلك إعمال العقل.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المدح، 1232/2: رقم الحديث 3744.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في دخول الحمام، 113/5: رقم الحديث 2801.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في تحذير فتنة النساء، 103/5: رقم الحديث 2780.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ (عرضت على أمتي بأعمالها. حسننها وسيئها. فرأيت في محاسن أعمالها الأذى ينحى عَنْ الطريق. ورأيت في سيئ أعمالها النخاعة في المسجد لا تدفن) ⁽¹⁾ .

في قوله ﷺ: عرضت علي أمتي والمرادُ عرضت أمتي علي، فجاء تقديم شبه الجملة (علي) على نائب الفاعل (أمتي) للعناية والاهتمام، إذ إن التقديم في كلمة (علي) جاءت لتوضح أن أعمال أمته -صلى الله عليه وسلم- عرضت عليه لتعطي أهمية للإنسان ليلتفت إلى هذا الأمر، ليكون دوما متجها نحو الخير والبر والصلاح، فالاعناية والاهتمام ماثلتان في التقديم في كلمة علي وليس في المتأخر في كلمة أمتي.

ولعلَّ من بديع البلاغة النَّبَوِيَّة هو ذكر كلمة النخاعة وهي التي تعني ما يخرج من صدر الإنسان وخيشومه من البلغم، ولعلَّ هذا من الأدب النَّبَوِيِّ بمكان، فقد انتقى كلمة محبة تقبلها النفس البشرية وهذا هو الأسلوب النَّبَوِيُّ الرفيع.

3- تقوية الحكم وتقديره في السامع ذاته:

ونظير ذلك ما ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « الْغَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ » ⁽²⁾ .

في قوله ﷺ: (الغادر يرفع له) والمراد في التركيب النَّحْوِيُّ ههنا (يرفع للغادر) بيَّد أنه ﷺ قدَّم الفاعل على الفعل لخطورة الموقف ونلاحظ-هنا-أن الفاعل قد وجد مرتان المرة الأولى وهي كلمة (الغادر)، والمرة الثانية وهي محذوفة تقديرها (يرفع للغادر) وعليه فذكر الفاعل مرتان مرة ظاهرة وأخرى مستترة فقوى التعبير-هنا-وعليه فالغادر ليس عليه إلا أن ينتظر عقوبة عظيمة وقد وضحا الحديث.

ونظير ذلك ما ورد عَنْ أَبِي السَّوَّارِ الْعَدَوِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً. فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ أَحَدَّثَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَحَدَّثَنِي عَنْ صَحِيفَتِكَ ⁽³⁾

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إمطة الأذى عَنْ الطريق، 1414/2: رقم الحديث 3683.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ باب 99، 53/1: رقم الحديث 6177.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 77، 53/1: رقم الحديث 6117.

في قوله ﷺ: (الحياء لا يأتي) فقدّم الفاعل على فعله للتأكيد وللفت الانتباه وأهمية تطبيق الحياء والالتزام به، فالتقديم لضرورة التخلق به، وأراد أن يقوي نظرة الناس بهذا الحكم.

ونظير ذلك ما ورد عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»⁽¹⁾

تقديم وتأخير والمراد في التراكيب -هنا- هو (لا يدخل قتات الجنة) وقدم المفعول به على الفاعل للتأكيد والتركيب. وهنا قال (قتات)؛ ولكن لم يقل مخبر أو منم، فقد وجدنا -هنا- صيغة مبالغة فضلا عن أن القتات هو أكثر وأعظم خطرا من النمام فهو كما يقال لم يجعل أحدا من شره فهي أبلغ وأكثر ضررا؛ لذا كان يناظر هذا الأمر عدم دخول الجنة.

وإن حرف القاف منح دلالة في هذه الكلمة، إذ إن صوت القاف من الحروف المفخمة والجهورية فلا دور في التأثير على النفس فهي تزجر وتردع كل من يفكر في النسيمة وغيرها.

5- الترقى من العدد القليل إلى الكثير:

ونظير ذلك ما ورد عن ابن بريدة عن أبيه قال: يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة⁽²⁾

في قوله ﷺ: (فإن لك الأولى وليس لك الآخرة) والمراد الأولى لك والآخرة ليست لك، فالترقي في كلمة (الأولى)، وجاءت من العدد القليل، ثم وصل إلى العدد الأخير في قوله (الآخرة)، ومن زاوية أخرى أفاد هذا الترقى والتسلسل معنى التخصيص، فالتخصيص في النظرة الأولى له والثانية ليست له، ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام خصص النظرة الأولى التي ينظر بها الإنسان له ولا وزر عليه؛ لأنه لم يقصد النظر بقصد، أما الثانية فتدخل في باب الإثم إن كانت من باب سوء النية.

6- التشويق:

ونظير ذلك ما ورد عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي⁽³⁾.

في قوله ﷺ: (إن لي أسماء)، فجاء حرف التوكيد النصب (إن) للتوكيد والتخصيص،

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ القتات، 268/4: رقم الحديث 4871.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في نظرة المفاجئة، 101/5: رقم الحديث 2777.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في أسماء النبي -عليه السلام-، 135/5: رقم الحديث 2840.

وقدم الخبر شبه الجملة (لي) من باب التشويق.

7- التحذير:

ونظير ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ (لا تنزلوا على جواد الطريق ولا تقضوا عليها الحاجات)⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (... عليها الحاجات). والمراد ولا تقضوا الحاجات عليها، فجاء للتخصيص والتركيز، وعليه فإن تقديم الخبر شبه الجملة (عليها) على المبتدأ لفت الانتباه وأعطى إشارة مفادها منع فعل وقضاء الحاجات في الطرقات ولعلها من خوارم المروءة.

وشبيه ذلك ما ورد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أنه سمع ابن عباس يقول سمعت أبا طلحة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا تماثيل⁽²⁾

في قوله ﷺ: (فيه كلب ولا صورة ولا تماثيل)، وبالتالي يتضح المعنى كالتالي: فيه كلب أو فيه صورة أو فيه تماثيل، وهذا يعني ذكر التقديم ثلاث مرات، حيث تقدمت كلمة (فيه) وهي الخبر على المبتدأ وهي (كلب - صورة - تماثيل)، وقد تم التركيز على التقديم وليس التأخير فلفظ (فيه) يدل على مدى أهمية وخطورة البيت الذي فيه تلك الممنوعات. وجاء لأجل التحذير، عن عدم خول الملائكة بيتا فيه أمور ثلاثة الكلاب والصور والتماثيل، وبالتأكيد فإن كل أمر من هذه الأمور ورائها أسباب ودواع، فالكلب نجس بلا شك والصورة محرمة إلا ما يلزم للضرورة البشرية من سفر وعلم وعمل والتماثيل أصنام يدخلها الشيطان؛ لذا لا تدخله الملائكة.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ النّهي عنّ النزول على الطريق، 1240/2: رقم الحديث 3772.
(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب، 114/5: رقم الحديث 2804.

الفصل الثاني:
التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في
علم البيان.

الفصل الثاني:

التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم البيان.

البيان لغة:

"ما يبين به الشيء، من الدلالة وغيرها. وبان الشيء: اتضح فهو يبين، واستبان الشيء: ظهر. والبيان الفصاحة واللسن، كلام بين فصيح. البيان الإفصاح مع ذكاء، والبيان من الرجال: الفصيح والسمح اللسان، ولأنّ أبين من فلانّ أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور " (1).

أما مدلوله في البلاغة فقد تغير عبر الزمن من المعنى الواسع إلى المعنى العلمي الاصلاحي ويعد السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) أول من حدد أو قسم علوم البلاغة على المعاني والبيان وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية وقد قال في تعريف البيان " أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام؛ لتمام المراد منه " (2) .

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (بين) .

(2) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ص 77 .

المبحث الأول:

التراكيب النحوية للتشبيه ودلالاتها البلاغية.

في اللغة:

جاء في اللسان: الشبه والشبيه المثل، أشبه الشيء، واشبهت فلاناً وشابهته واشتبته علي، وتشابه الشيطان واشتبها: اشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل⁽¹⁾، وهذا ما وجدناه عند الزمخشري اذ يستعمل مصطلح التمثيل بدلا من التشبيه كثيرا في تفسيره الكشاف⁽²⁾.

في الاصطلاح:

قال الخطيب القزويني في الإيضاح: التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى. والمراد بالتشبيه ها-هنا-: ما لم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد⁽³⁾ وقال التفازاني: هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدره، وقال معلقاً على تعريف القزويني: "وينبغي أن يزداد فيه قولنا: بالكاف ونحوه لفظاً أو تقديراً؛ ليخرج عنه نحو: قائل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو"⁽⁴⁾.

وقفه مع التشبيه

لعل المتتبع لعلم البلاغة ومفاهيمها يجد أن التشبيه قد احتل نصيب الأسد من بين فنون البلاغة الأخرى، كما يمكن القول: إن وجود التشبيه وتموقعه في التعابير والجمال العربية من المزايا التي تجعل الكلام بليغا فصيحاً، آخذين بعين الاعتبار عدم الغموض عند توظيف التشبيه في الجمال العربية، ولعل بعض الدراسات قد تحدثت عن نوع من أنواع التشبيه وأطلق عليه التشبيه المستطرف والتشبيه المبتذل، وبما أن التشبيه يسبح في الخيال والإيغال في اجتياز الحقائق؛ فهذا أدى بدوره إلى تنوع أساليب التشبيه⁽⁵⁾.

وللتشبيه فوائد قيمة أفصح عنها العلماء منها: الإيجاز، والاختصار، وأفضل فوائده تتمثل في التبيين والتوضيح، حيث وظيفته الأساسية إزالة اللبس والغموض عن المعنى وتجليته للأبصار القريبة إلى الأذهان⁽⁶⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (شبه) .

(2) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، 195/1 .

(3) الإيضاح، القزويني، ص 164.

(4) المطول على التلخيص، سعد الدين التفازاني، ص 311.

(5) فن التشبيه، د. علي الجندي، 73/1.

(6) فن التشبيه، د. علي الجندي، 73/1.

المطلب الأول:

التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب، ويتضمن المحاور التالية.

تشبيه المفرد بالمفرد.

والمقصود بالمفرد بلاغيا غير المفرد نحويا، فهنا يعني غير المركب، مثل قول الشاعر:

(والشمس كالمرآة في كف الأثل ...)⁽¹⁾

ومن الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة وكذا المرأة إذا كانت في يد الأثل ومثله قول المهلب الوزير⁽²⁾

ومثله ما ورد عن أبي سعيد الخدري قال بينا النبي ﷺ يقسم ذات يوم قسماً فقال ذو الخويصرة - رجلٌ من بنى تميم - يا رسول الله اعدل. قال « وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ». فقال عمرُ ائذن لي فلاضرب عُنُقَهُ. قال « لا، إِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ⁽³⁾ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضْبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرُدُ ». قال أبو سعيد أشهد لسمعتُ من النبي ﷺ وأشهد أني كنتُ مع عليٍّ حين قاتلهم، فالتمس في القَتْلِ، فَأَتَى بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ ﷺ⁽⁴⁾ .

تشبيه مفرد بمفرد، في قوله ﷺ: (يمرقون من الدين كمروق السهم)، فجاء التشبيه لتسهيل عملية الفهم فالكاف هنا أداة تشبيه وحرف جر يفيد التشبيه؛ لذا فهو من ناحية نحوية

(1) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، 13/14 أ .

(2) الإيضاح، للخطيب القزويني، ص216.

(3) يمرقون من الدين كمروق السهم: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى، لم يتعلق بشيء منه، والرمية هي الصيد المرمي، ومعنى قذذه: ريش السهم، ومعنى نصله: حديد السهم، ومعنى رصافه: هو مدخل النصل من السهم، ومعنى: نضية هو قذح السهم أي عوده. وهنا الحديث موجه إلى الخوارج.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6163.

جر ما بعده ومن ناحية بيانية وضع ما قبله بما بعده أي ما بعد حرف التشبيه تشبيه مفرد، في قوله ﷺ: (إحدى يديه مثل ثدي المرأة) فشبه إحدى اليدين بالثدي، ووجه الشبه هنا هو سرعة الترك والخروج لذا سموا بالخوارج

وعليه جاءت أداة التشبيه (مثل) لإبراز المعنى وتوضيح الشاهد والموقف.

إن النبي ﷺ استخدم أداتين الأولى (حرف تشبيه) والثانية اسم (مثل) فالأولى جاءت لتفيد السرعة والعلاقة القوية والوطيدة بين المشبه والمشبه به بيد أن أداة التشبيه الأخرى (مثل) تفيد بتشابه ليس -كثيراً-. من اللاف في هذا الحديث هو استخدام علاقة الترقيم الفاصلة (،) التي أعطت معنى واضحاً للحديث إذ بدونها يقرأ الحديث بالخطأ فقوله ﷺ: (لا، إن له أصحاباً ... فالرسول ﷺ حين نطقها جعل سكتة لطيفة بعد الحرف (لا) حتى يكون المعنى واضحاً ولا يحدث لبس ولو لم يضع سكتة لأصبح التركيب خاطئاً ولعله ﷺ أراد حذف الحرف (و) واستبدال السكوت بالواو إشارة منه ﷺ إلى أمرين هما الإيجاز، وكذلك وضوح الحديث من خلال السكوت فحسب.

ونظيره ما ورد عن أبي المليح، عن رجلٍ، قال كُنتُ رديفَ النبي ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: عَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: " لَا تَقُلْ عَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي،؛ وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الدُّبَابِ " (1)

تشبيه مفرد بمفرد، في قوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الدُّبَابِ)، حيث شبه الشيطان بعد ذكر الله -جلَّ جلاله- كالذباب بجامع التحقير والإذلال والهبوط. وبالتالي، فقد جاء التشبيه كنوع من البلاغة، وليس مجرد جملة خبرية قاصرة ليس لها دلالة أو إحياء.

عن أبي قلابة أن ثابت بن الضحَّاك وكان من أصحاب الشجرة حدثه أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ » (2).

تشبيه المفرد بالمفرد في قوله ﷺ: (وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ) حيث شبه اللعن بالقتل في النتيجة، بمعنى أن من لعن إنساناً فكأنما طرده من رحمة

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقال خيبت نفسي، 296/4: رقم الحديث 4982.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 44، 53/1: رقم الحديث 6047.

الله، هذا لا يكون إلا لله تعالى، ومن ناحية أخرى فهو كالمقاتل الذي يأخذ حد القتل فكأنما أوقع على نفسه جزاء القتل وعليه تساوى اللاعن والمقاتل في الحكم والجزاء.

ولم يكن التشبيه بأداة الكاف مجرد حرف جر واسم مجرور؛ بل اجتاز خطوط النحو ليصل البلاغة حيث أنتج التشبيه نوعاً من مدى الخطورة التي جاءت بتوضيح من يلعن وهناك تشبيه آخر، في قوله ﷺ: (كفّله) فشبهه (القذف) بالقتل، وجه الشبه التحريم والإنكار. ومن الجميل ذكره أن السجع بين الكلمة الأولى (كفّله) الكلمة الثانية (كفّله) لم تجئ مجرد تعبئة تعبيرية، ولا خلق نغمة موسيقية ولا صناعة إبداعية، وإنما جاءتا للتوكيد، ولتوضيح خطورة الموقف بدليل أن الكلمتين جاءتا للتوضيح الذي جاء من خلال التشبيه ومن زاوية أخرى فكلمة (كفّله) جاءت مكررة من أجل التأكيد والتحذير.

ومثله ما ورد عن إبراهيم، عن ابن مسعود، أنه قال: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهَا، إِلَّا الْجَانَّ الْأَبْيَضَ، الَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ فِضَّةٍ» قال أبو داود: «فَقَالَ لِي إِنْسَانُ الْجَانُّ لَا يَنْعَرُجُ فِي مَشْيَتِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا صَحِيحًا كَانَتْ عَلَامَةً فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»⁽¹⁾

تشبيهه، في قوله ﷺ: (كأنه قضيب فضة)، فالتركيز هنا ليس على اللون، وإنما التركيز على القوام أي على (القضيب)، فكانه يقول كأنه قضيب وليس كأن القضيب لونه أبيض، وقد شبه الجان الأبيض بالقضيب بغض الطرف عن اللون، وجاء التشبيه لتوضيح ماهية المستثنى من الحيات؛ ولأن الحيات تشبه بعضها، فكان التشبيه-هنا-هو المختار.

تشبيه المركب بالمركب.

"وهو الصورة المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حت صارت شيئاً واحداً"⁽²⁾

ويقول عبد القاهر الجرجاني: اعلم أنى قد قدمت بيان المركب من التشبيه وههنا ما يذكر مع الذي عرفت أنك أنه مركب ويقرن إليه في الكتب وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب ولا يشارك الذي مضى ذكره في الوصف الذي كان له تشبيهها مركباً وذلك أن يكون الكلام معقوداً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه⁽³⁾.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قتل الحيات، 366/4: رقم الحديث 5261.

(2) من بلاغة القرآن، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص160.

(3) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، 168.

ومثله عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مثل القرآن مثل الإبل المعقلة. إن تعاهدها صاحبها بعقلها أمسكها عليه. وإن أطلق عقلها ذهبت) ⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (مثل القرآن مثل الإبل المعقلة)، فكان المشبه هو القرآن والمشبه به هو الإبل المعقلة، وكان وجه الشبه في حالتين هما متابعتهما وحسن رعايتهما، وكذلك تركهما وإهمالهما.

وقد جاء التشبيه لإبراز عدم تثبيت القرآن في الذهن يذهبه تماماً، كحال الإبل التي أطلق، عقالها فإنها ستذهب وستفقد وبالتالي أصبح تشبيه حالة بحالة.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3783.

المطلب الثاني:

التشبيه باعتبار النوع، ويتضمن المحاور التالية.

التشبيه البليغ.

وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، ومثال ذلك العلم نور.

ونظيره ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ. فَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِشَأْنِهِمْ: فَقَالَ (إِنَّمَا هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ. فَإِذَا نَمَتُمْ فَأُطْفِئُوهَا عَنْكُمْ) (1).

تشبيهه بليغ، في قوله ﷺ: هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ وَيَقْصِدُ (هَذِهِ النَّارُ كَالْعَدُوِّ)، وَقَدْ جَاءَ التَّشْبِيهُ لِيُزِيلَ كُلَّ صَعْبٍ وَغَامُضٍ وَيُوضِحَ الْأُمُورَ غَيْرَ الْمَتَدَاوِلَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَشَرِ، فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ كَنْقَلٍ لَصُورَةٍ وَتَقْرِيْبِهَا إِلَى ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي.

تشبيه المتعدد بالمتعدد:

وهذا النوع يأتي على غير صورة فهناك تشبيهه بقرن كل مشبه بمشبه به ويسمى (المفروق) وهو يأتي فيه المشبه في جانب مجتمع في طرف والمشبّه في طرف آخر.

ومثله ما جاء عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِبْرِ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ» (2)

وفي هذا الحديث تعددت أنواع التشبيه فيها كما يلي:

- تشبيه المفروق: وهو جمع كل مشبه مع ما شبه به.

والمشبه فيه هو: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا) والمشبّه به هو: (مَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ).

- تشبيه الجمع: وهو أن يتعدد الطرف الثاني (المشبه به) دون الطرف الأول (المشبه) وذلك في قوله ﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ،

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إطفاء النار عند المبيت، 1239/2: رقم الحديث 3770.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4829.

فالمشبه (المؤمن الذي يقرأ القرآن) والمشبه به (الأترجة) وتعددت صفاتها وهي (ريحتها طيب وطعمها مر).

- تشبيه الجمع في قوله "وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا"

فالمشبه (المؤمن الذي لا يقرأ القرآن) والمشبه به (التمر) وتعددت صفاتها وهي (طعمها طيب، ولا ريح له)

تشبيه الجمع: في قوله: "مَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا" فالمشبه (الفاجر الذي يقرأ) والمشبه به (الريحانة) وتعددت صفاتها (طعمها طيب، ولا ريح له)

تشبيه الجمع: في قوله: "وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا."

فالمشبه (الفاجر الذي لا يقرأ القرآن) والمشبه به (الحنظلة) وتعددت صفاتها (طعمها مر، ولا ريح لها)

التشبيه التمثيلي:

وعرف بأنه: ما وجهه منتزع من متعدد أمرين أو عدة أمور. (1)

إنَّ التشبيه التمثيلي في مكوناته النحويّة يتكون من عدة عناصر مركبة ومجمعة كما وتظهر جلية في طرفي التشبيه، غير أن الطرفين يكون فيها تركيباً تمثيلاً كما نلاحظ أنه إذا ما أردنا أن نتوجه إلى التركيب النحوي بشيء من التفصيل.

"فالالتفات والتشبيه وأطراف المجاز وألوان البديع والبيان يعطي للتركيب النحوي النبوي بلاغة تختلف أحيانا عما هو معد من قواعد نحوية ولغوية اعتاد عليها العرب والغرب، ولعل دراستنا هذه التي وسمت بالتركيب النحويّة ومن الوجهة البلاغية في الأحاديث النبويّة ستؤكد وتبرهن على هذا المجال البلاغي وهذه البلاغة النبويّة" (2).

(1) الإيضاح، الخطيب القزويني، ص 371.

(2) فن التشبيه، د. علي الجندي، 73/1.

ففي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽¹⁾.

حيث شبه عمل الكافر الذي يظن أن عمله صالح ونافع بالسراب الذي يظنه الظمان ماء فلا يستفاد منه.

التشبيه المقلوب.

التشبيه المقلوب وهو أن يكون الأمر بالعكس كقول محمد بن وهيب⁽²⁾

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

ومثله ما جاء عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ « أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَا تَحْتُ وَرَقَهَا ». فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « هِيَ النَّخْلَةُ ». فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ يَا أَبَتَاهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا لَوْ كُنْتُ قُلْتُهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا. قَالَ مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكْ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا، فَكَرِهْتُ⁽³⁾

تشبيه مقلوب ونوعه تشبيه التسوية، في قوله ﷺ: (بشجرة مثلها مثل المسلم)، فجعل الأصل فرعا والفرع أصلا وأصل الجملة المثلث مثلها مثل الشجر وليس العكس، ويقول الشيخ محمد ناصر الألباني: "مثل المسلم" يعني أنها دائما تنفع الناس، ذلك طبيعة الرجل المسلم أنه نافع للناس دائما وأبدا"⁽⁴⁾

وبالتالي شبه الشجرة (النخلة) بالمسلم وهو تشبيه مقلوب ومتعدد نوعه تشبيه التسوية الذي يتعدد فيه المشبه والمشبه به واحد، كقولنا صدغ الحبيب حالي كلاهما كالليالي.

(1) النور: 39.

(2) الإيضاح، للخطيب القزويني، ص226.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 89، 53/1: رقم الحديث 6144.

(4) محاضرة تسجيلية للشيخ محمد الألباني، "اضيفت في: 18-06-2008

المطلب الثالث:

التشبيه باعتبار الأداة، ويتضمن المحاور التالية.

التشبيه المرسل.

وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ⁽¹⁾ أو " أنه مقول بطريقة عفوية ومرسل على السجية مثل : أنت كالأسد. ⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الصَّحَّاحِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ » ⁽³⁾ .

تشبيه في قوله ﷺ: (كقتله) حيث شبه اللعن بالقتل ولم يكن التشبيه بأداة الكاف مجرد حرف جر واسم مجرور؛ بل اجتاز خطوط النحو ليصل البلاغة حيث أنتج التشبيه نوعاً من مدى الخطورة التي جاءت بتوضيح من يلعن وهناك تشبيه آخر، في قوله ﷺ: (كقتله) فشبهه (القذف) بالقتل. ومن الجميل ذكره أن السجع بين الكلمة الأولى (كقتله) الكلمة الثانية (كقتله) لم تجئ مجرد تعبئة تعبيرية، ولا خلق نغمة موسيقية ولا صناعة إبداعية، وإنما جاءت للتوكيد، ولتوضيح خطورة الموقف بدليل أن الكلمتين جاءتا للتوضيح الذي جاء من خلال التشبيه ومن زاوية أخرى فكلمة (كقتله) جاءت مكررة من أجل التأكيد والتحذير.

التشبيه المؤكد. وهو ما حذفت منه أداة التشبيه ⁽⁴⁾

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: " كَانَ فَرْعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْنَا شَيْئًا - أَوْ مَا رَأَيْنَا مِنْ فَرْعٍ -، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا " ⁽⁵⁾

تشبيه مؤكد، في قوله ﷺ: (وإن وجدناه لبحراً أي كالبحر)، فالجملة خبرية نحوياً، أما من الزاوية البلاغية؛ فقد شبه فلانا بالبحر في العطاء والكرم فهو تشبيه مؤكد لأن الأداة ليست مذكورة.

(1) من بلاغة القرآن، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص165.

(2) البلاغة والتحليل الأدبي، د. أحمد أبو حاقا، ص125.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 44، 53/1: رقم الحديث 6047.

(4) من بلاغة القرآن، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص164.

(5) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما روي في الرخصة في ذلك، 297/4: رقم الحديث 4988.

المطلب الرابع:

التشبيه باعتبار ذكر وجه الشبه وحذفه.

التشبيه المجمل.

وهو ما حذف منه وجه الشبه، مثل محمد كالأسد⁽¹⁾

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ »⁽²⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (كالمجاهد في سبيل الله) فهنا ذكر المشبه والأداة والمشبه دون وجه الشبه، وأيضا، في قوله ﷺ: (كالذي يصوم...)، ذكر المشبه والأداة والمشبه دون وجه الشبه ونرى في التشبيه الأول من الحديث تشبيه تعدد في المشبه والمشبه به واحد فهو تشبيه تسوية وذلك في قوله (لأرملة والمسكين) و(الأرملة) تعود على المجاهد، و(المسكين) يعود على (الذي يصوم) وجاء التشبيه لإظهار أهمية ومدى من يسعى خلف الأرامل والمساكين، حيث تتوازي وتتقارب صور الإرهاق والمعاناة وتنداني الأجور والمثوبة.

التشبيه المفصل.

وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل محمد كالأسد في الشجاعة.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي جَدِّي أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »⁽³⁾.

وذلك في قوله ﷺ: (كالبنيان) فشبه اتصال وحماية المؤمن بأخيه المؤمن بالبنيان المرصوص، بجامع الشد والشبك والتعاقد والتماسك والقوة والصلابة، فجاء التشبيه خارجا عن إطار الجملة الخبرية النحوية إلى أسرار بلاغية، تحت على الوحدة والأخوة وعليه؛ فالتشبيه من زاويته النحوية لا يكون سوى خبر يحتمل الصدق والكذب، بيد أن البلاغة النبوية وضحت هذا الأمر من خلال التشبيه أو التوضيح أو التعليل أو التحذير وغير ذلك.

(1) من بلاغة القرآن، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص173.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 25، 53/1: رقم الحديث 6006.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 36، 53/1: رقم الحديث 6026.

المبحث الثاني:

التركييب النحوية للمجاز ودلالاتها البلاغية

المجاز لغةً: جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجاهه وجاوزه وأجاز غيره، وجاهه: سار فيه، والمجاز والمجازة الموضع⁽¹⁾.

المجاز اصطلاحاً: عرف عبد القاهر الجرجاني المجاز فقال: "المجاز مفعول من جاز الشيء يجوزه إذا تعدها، وإذا عدل باللفظ عما يوجبها أصل اللغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع أولاً"⁽²⁾

وقال: " أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها الملاحظة بين الثاني والأول"⁽³⁾.

وقد قسم البلاغيون المجاز على قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

أولاً: المجاز العقلي -الإسنادي- وأسراره البلاغية:

عرفه السكاكي فقال: "أن يسند الفاعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي".⁽⁴⁾

وإذا ما رصدنا القدماء في استعمالاتهم لهذا المجاز نجد أنهم لم يذكروا اسم هذا وإنما أشاروا إلى معناه فسيبويه أورد قول عنتر المتضمن المجاز العقلي:⁽⁵⁾

وقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
وكقولهم: "نهارك صائم" و"ليلك قائم". فسيبويه يحمل هذا الكلام على السعة والحذف.

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور مادة (جوز) .

(2) اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 342 .

(3) المصدر السابق، ص 304 .

(4) مفتاح العلوم، السكاكي، 208.

(5) الكلام من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد 81، ج 4. وانظر الكتاب، سيبويه، 169/1، وانظر ص 80-110، 108، 89.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ويندرج تحت باب المجاز العقلي ما ورد عَنْ ابن بريدة عَنْ أبيه قال: قَالَ رسول الله ﷺ "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب. فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك"⁽¹⁾

مجاز عقلي، في قوله ﷺ: (أظمأت نهارك)، فإذا ما توقفنا عند باب النحو لا نرى إلا جملة فعلية متألّفة من فعل وفاعل ومفعول، غير أنه فنّ رفيع وجميل من الناحية البلاغية؛ فإنّه يُعَمِّلُ العقل، ويلفت الانتباه؛ لأن المجاز العقلي ينسب فعلاً إلى غير فاعله.

وعلاقة هذا المجاز هو العلاقة الزمانية. "حيث يسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل"⁽²⁾ مثل قول الشاعر معروف الرصافي:

أقول وليل الغرب ليس بنائم: أما لنيام القوم في الشرق من بعث؟⁽³⁾

ثالثاً - الخلاصة:

- قل ذكر المجاز العقلي في أحاديث الأدب لوجود عسر في فهم المتلقي سيما في الأمور التي تحتاج إلى توضيح وإفهام، فكانت السنة النبوية تركز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يستدعي توضيح المسائل التي تحتاج إلى واقعية سلسلة وليس مجازية غامضة.

ثانيا: المجاز المرسل وأسراره البلاغية.

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

المفهوم الاصطلاحي:

عرفه البلاغيون بقولهم: "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"⁽⁴⁾.

وتتجلى قيمة المجاز المرسل في الافتتان التعبيري، والمبالغة في المعنى، والإيجاز في العبارة، فالمعنى المجازي يقرر في النفوس لما يقيمه من البينة والبرهان، إضافة إلى أن في هذا

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3781.

(2) علوم البلاغة في القرن العشرين، عمر مصطفى، ص 178.

(3) قال الرصافي هذا البيت ضمن قصيدة "ثغثة مصدور" وهو في الآستانة، وأنشدها بشبان العرب في المنتدى الأدبي.

(4) نظرات في البيان، محمد عبدالرحمن الكردي، ص 224.

التجوّز استشارة لمكانن الشوق وجذباً للانتباه، وإدراكاً لما في النصّ الأدبي من وجوه الحسن والجمال⁽¹⁾.

وقد تبين للباحث أن العلاقات البلاغية للمجاز المرسل في أحاديث الأدب تمحورت حول علاقتين فقط وهما العلاقة الجزئية والعلاقة الكلية كما يلي:

المجاز المرسل وعلاقته الجزئية:

وهو أن يذكر الجزء ويراد الكل.⁽²⁾

ويندرج تحت هذا المجاز ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» قَالَ «فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» قَالَ الْبَرَاءُ: فَقُلْتُ: أَسْتَذْكِرُهُنَّ، فَقُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»⁽³⁾

مجاز مرسل علاقته الجزئية، في قوله ﷺ: (أسلمت وجهي)، فذكر الجزء (وجهي) وأراد الكل (نفسي).

ومثله ما ورد عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ، وَغَيْرِهِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَذَاةِ الرَّجُلِ، فَإِنَّ لِلَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- دَوَابَّ يَبْتُئُهُنَّ فِي الْأَرْضِ» قَالَ ابْنُ مَرْوَانَ: «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ»⁽⁴⁾

مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل، في قوله ﷺ: (هدأة الرجل) فذكر الجزء وهي (الرجل) وأراد الكل (حركة الإنسان كلها).

ومثله ما ورد عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ هَلَكْتُ وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ «أَعْتَقَ رَقَبَةً». قَالَ لَيْسَ لِي. قَالَ «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ لَا أَجِدُ.

(1) ينظر علم البيان، د. بدوي طبانة ص164.

(2) الإيضاح للقرويني، ص233.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 311/4: رقم الحديث 5046.

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في الديك والبهائم، 327/4: رقم الحديث 5104.

فَأَتَى بِعَرَقٍ فِيهِ تَمَرٌ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ فَقَالَ « أَيْنَ السَّائِلُ تَصَدَّقُ بِهَا ». قَالَ عَلَى أَفْقَرٍ مِنِّي وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلٌ بَيْنَ أَفْقَرٍ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ « فَأَنْتُمْ إِذَا »⁽¹⁾.

في قوله ﷺ: (أعتق رقبة)، فذكر الجزء (رقبة) وقصد الكل (الشخص غير الحر أو الرقيق)، فالعلاقة هي الجزئية. ولعل تعبير الحديث بلفظة الرقبة لعل، متمثلة في أن الإنسان قديما كان يذل من خلال رقبته حيث كان يربط من خلال عنقه لذا ذكرت لفظة الرقبة وهي التي تمثل علامة الجسد كله.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ * أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ * وَكَادَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يَسْلَمَ)⁽²⁾

مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء وهو كلمة وقصد الكل أي البيت الشعري، فقد جاءت كلمة (كلمة) بعد أفعل التفضيل فجاءت (كلمة) تجمل معنى عظيما ودلالة قوية حيث أصبح للفظ (كلمة) قيمة في نظر النبي ﷺ وماذا سيكون من كلام عظيم أعظم من تعظم العظيم - سبحانه وتعالى - حين نعترف أن كل شيء بدون العظيم هو عقيم، ولا فائدة من وراءه؛ لأنه -جلّ جلاله- هو الذي يرزق ويبسط ويرفع ويمنع.

ففي قوله: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن... إلخ): كلمتان خبر لمبتدأ محذوف تقديره هما، وكلما طال الكلام في وصف الخبر، حسن تقديمه.⁽³⁾ " وفي قوله: (حبيبتان إلى الرحمن)؛ قال الحافظ ابن حجر: وخص لفظ الرحمن بالذكر؛ لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله - تعالى - على عباده؛ حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل.⁽⁴⁾

ونظيره ما ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً، فَحَكَّهَا بِيَدِهِ، فَتَغَيَّظَ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حِيَالَ وَجْهِهِ، فَلَا يَتَخَمَّنُ حِيَالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ »⁽⁵⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6087.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الشعر، 1236/2: رقم الحديث 3757.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، 540/13.

(4) المصدر نفسه.

(5) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 75، 53/1: رقم الحديث 6111.

مجاز مرسل علاقته الجزئية، في قوله ﷺ: (وجهه)، فذكر الجزء، وهذا ليس مجرد تعبير نحويّ يعرب مضاف إليه مجرور بعيد عن البلاغة؛ بل هو فنُّ بلاغيّ رفيعٌ وجميلٌ من الناحية البلاغية؛ وقال **محمد بدر الدين العيني** في عمدته: " قوله: (حيال وجهه) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الياء آخر الحروف أي: مقابل وجهه... وتعنى أيضا يراه، وأصله الواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها، وقال **الكرماني**: الله منزّه عن الجهة والمكان ومعناه التشبيه على سبيل التنزيه أي: كان الله تعالى في مقابل وجهه، وقال **الخطابي**: معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه⁽¹⁾

وعليه تلتحم -هنا- الكناية وهي عن وجود الله تعالى في كل مكان ولا يغيب، مع التورية وهي وجهه تعالى فوجهه ليس كوجوهنا وليس كمثله شيء، مع المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل، مع التشبيه حيث التقدير في هذا التشبيه-كما يرى صاحب عمدة القاري: " فصار في التقدير كأن مقصوده بينه وبين القبلة"⁽²⁾ أي تشبيه وجهه - تعالى- بوجوده وتواجده، وهذا مع فارق التشبيه بين الخالق والمخلوق.

المجاز المرسل وعلاقته الكلية:

ويذكر فيه الكل ويراد الجزء.⁽³⁾ ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ. فَنُصِفَهَا لِي وَنُصِفَهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ). قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اقْرَءُوا يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمْدُنِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَيَقُولُ أَتْنِي عَلِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ. فَيَقُولُ اللَّهُ مُجْدِنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي. وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ. يَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يَعْنِي فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. فَهَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)⁽⁴⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 75، 53/1: رقم الحديث 6111.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 161/22.

(3) الإيضاح للقرويني، ص 233.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3784.

مجاز مرسل علاقته الكلية في (قسمت الصلاة) وأراد الفاتحة، فإذا ما توقفنا عند مدخل النحو، لا نرى إلا جملة فعلية متألّفة من فعل مبني للمجهول، ونائب فاعل، غير أنه فنّ بلاغيّ رفيعٌ وجميلٌ من الناحية البلاغية؛ فإنّه يلفت الانتباه.

وقد بين الحديث أن الله - عز وجل - قد "قسم هذه السورة العظيمة بينه وبين عبده نصفين، فهو سبحانه له نصف الحمد والثناء والتمجيد، والعبد له نصف الدعاء والطلب والمسألة، فإن نصفها الأول من قوله سبحانه : "الحمد لله رب العالمين" إلى قوله: "إياك نعبد" تحميد لله تعالى، وتمجيد له، وثناء عليه، وتقويض للأمر إليه، ونصفها الثاني من قوله تعالى : "وإياك نستعين" إلى آخر السورة، سؤال وطلب وتضرع وافتقار إلى الله، ولهذا قال سبحانه بعد قوله "إياك نعبد وإياك نستعين" وهذه بيني وبين عبدي" (1) .

ومثله ما ورد عَنْ عبد الملك بن عمير عَنْ أَبِي سلمة عَنْ أَبِي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ * أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ * وَكَادَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يَسْلَمَ) (2)

مجاز مرسل علاقته الكلية، حيثُ ذكر الكل وهو لفظ (كلمة) حيث يدل على الكلام الكثير، وقصد الجزء وهو (البيت الشعري)، وقد جاءت كلمة (كلمة) بعد أفعال التفضيل فجاءت (كلمة) تجمل معنى عظيما ودلالة قوية حيثُ أصبح للفظ (كلمة) قيمة في نظر النبي ﷺ وماذا سيكون من كلام عظيم أعظم من تعظم العظيم - سبحانه وتعالى - حين نعترف أنّ كل شيء بدون العظيم هو عقيم، ولا فائدة من وراءه؛ لأنّه -جلّ جلاله- هو الذي يرزق ويبسط ويرفع ويمنع.

(1) موقع إسلام ويب، 2003/9/2، <https://www.islamweb.net/ar>

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الشعر، 1236/2: رقم الحديث 3757.

المبحث الثالث:

التركيب النحوي للاستعارة ودلالاتها البلاغية.

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
في اللغة:

مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه. والعارية والعار: ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء أعاره منه وعاوره إياه⁽¹⁾

المفهوم الاصطلاحي:

لعل الجاحظ أول من عرّف الاستعارة فقال: " الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه⁽²⁾ ". وأطلق عليها اسم المثل والبدیع عند تعليقه على بيت الاشهب بن رميلة:

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرَ كَفٍّ لَاتِنُوءِ

ومن البلاغيين الذين نقدوا هذه التسمية وفضلوا استعمال لفظ الاستعارة المظفر العلوي (ت656هـ) عندما قال: " وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: (فلان كثير الأمثال). ولقبها بالاستعارة ألزماً؛ لأنه أعم، ولأن الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة " ⁽³⁾ .

وما جاءت أحاديث النبي -عليه السلام- إلا موضحة ومبينة ومفسرة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم، وإذا كانت الاستعارة قد استعملت في حجج لا بأس به في أحاديث الأدب؛ إلا أن توظيفها يتمشى والمنطقية والسلاسة التي يعيها كل إنسان؛ لذا كلما تجد استعارة عنادية كما وصفها -بعض العلماء- وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد.

إن ما رآه الباحث في بحثه هذا أن اكتشف وجود الاستعارة بشكل قليل في الأحاديث؛ ولعل هذا ينسجم مع الأدب النبوي، فما يقصد من ذكر أحاديث الأدب سوى التوضيح والتأكيد والتركيز على ماهية الحلال وماهية الحرام؛ لذا قلت الاستعارة بأنواعها في أحاديث الأدب، ومن ناحية أخرى؛ فإن ما ورد من استعارات ومجازات لا تخرج عن إطار توظيف البلاغة النبوية

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (عور) .

(2) الحيوان، الجاحظ، 280/2 - 283 .

(3) الجواهر والدرر في مناسبة الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، أطروحة دكتوراة، إشراف: أ.د. محسن احمد، ص88.

التي تؤكد على قوة الأسلوب وجزالة الألفاظ ومتانة التركيب.

ثانياً: أنواع الاستعارة وأسرارها البلاغية.

1- الاستعارة المكنية:

الاستعارة المكنية هي: ما حذف منها المشبه به وبقيت صفة من صفاته

مثل: "كشر البحر عن أنيابه: وهنا شبه البحر بوحش مفترس له أنياب، وقد صرح بالمشبه وهو البحر وحذف المشبه به وهو الوحش المفترس ولكن أبقى على شيء من صفاته وهي الأنياب.

ويندرج تحت هذا الفن ما ورد عن بشير بن مهاجر عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ (يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب. فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك) (1).

ففي قوله " يجيء القرآن " استعارة مكنية حيث شبه القرآن بالإنسان فذكر المشبه وهو (القرآن) وحذف المشبه به وهو (الإنسان)، وفي قوله " كالرجل الشاحب " تشبيه مرسل حيث شبه القرآن بالرجل الشاحب، وفي قوله "أسهرت ليلك وأظمأت نهارك" مجاز عقلي زعلاقته الزمانية، حيث أسند الفعل إلى غير فاعله.

ومثله ما ورد عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ، قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بُدِّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَنْبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضُّ النَّبْرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (2)

في قوله ﷺ: (فأعطوا الطريق حقه)، فذكر المشبه (الطريق) وحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى صفة من صفات المشبه به، وهي كلمة (حقه) لأن الذي يعطي الحقوق لأصحابها هو الإنسان، وعليه؛ ذكر المشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

وقيل: (فأعطوا الطريق حقه) أي: ما يطلب فيه من الآداب، وفي التعبير به إشارة إلى تأكيد تلك الأمور والاهتمام بها والإضافة للملابسة (3)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3781.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الجلوس في الطرقات، 256/4: رقم الحديث 4815.

(3) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن علان ، 478/2.

المرء لا يحبه إلا الله وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (1)

قوله حلاوة الإيمان شبه الإيمان بالعسل بجامع ميل القلب إليهما وأسند إليه ما هو من خواص العسل فهو استعارة. (2)

وبالتالي يكون فيها استعارة مكنية فذكر المشبه وحذف المشبه به. وقد أفادت هذه الجملة الحث الواضح لأن يؤمن المسلم ويستحضر الإيمان بالله وعظمته وقدرته في كل الأحيان لأنه من كان إيمانه عالياً كان سبيله هادئاً وقلبه سالماً وعمره ضاحكاً وبالتالي فعيشتة في هناءة وسعادة وحياته جميلة حلوة لذا قال حلاوة الإيمان.

ثانياً: الاستعارة التصريحية:

أما الاستعارة التصريحية فهي: ما حذف منها المشبه وصرح بالمشبه به". (3).

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سَلِيمٍ فَقَالَ « وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُؤْيَاكَ سَوْفَاً بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِبَعْضِكُمْ لَعَبَثُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوْفَاً بِالْقَوَارِيرِ » (4)

استعارة تصريحية، في قوله ﷺ: (بالقوارير)، حيث شبه النساء بالقوارير؛ فحذف المشبه والمتمثل في كلمة (النساء) وصرح بالمشبه به والمتمثل في كلمة (القوارير) وبالتالي حذف المشبه وذكر المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية. وقد منحت الاستعارة -هنا- التفكير الإيجابي ويمنح تقريب الصورة الذهنية إلى صورة تجسدية وتوضيحية.

الخلاصة:

- إنَّ في الاستعارة مبالغة أكثر من التشبيه البليغ وغير البليغ لأن في الاستعارة دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ولذا طُوي أحد الركنين أو الطرفين بعكس التشبيه الذي يذكر فيه المشبه والمشبه به.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب الحب في الله ، 121/22: رقم الحديث 69.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 126/13.

(3) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع العدوانى، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، ص100.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

المبحث الرابع:

التركيب النحوي للكناية ودلالاتها البلاغية.

أولاً- المفهوم الاصطلاحي:

الكناية هي من الفنون التي يتعين علينا في بعض الأحيان استعمالها، فتارة تكون للتوضيح، وتارة أخرى خشية خدش الحياء، ومرة ثالثة بُغْيَة إبراز الجمال الأسلوبية والبلاغي، وقد يكون من باب إظهار المحاسن أو المساوئ، وبالتالي فيها تقريب للصور وتجسيدها حتى تصل إلى الملتقى بسلام وسلاسة. وبناء عليه؛ ما يمكن استنتاجه في المربع الكنائي أن الكناية سيكون لها الدور البارز والقوي في الحديث النبوي الشريف كيف لا وهي من المقومات والدلائل الواضحات.

والكناية عند البلاغيين هي: "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"⁽¹⁾.

ولأن النفس البشرية ترفض كل ما يقطب الجبين وتلفظ كل ما يؤثر على النفس سلباً، حينها تحتم على الشاعر والناثر أن يأتي بكناية لطيفة تجعل الوجه بشاراً لا حامضاً ولا عبوساً أو قمطيراً. ومن زاوية أخرى؛ فإن الكناية تأت من طريق الفرار من الفحش والبذاءة؛ لذا وجد الباحث هذا اللون البياني بشكل متسع ومتمدد في أحاديث الأدب خاصة، ذلك أن الأدب النبوي يربي النشء ويعلم الجيل الإسلامي كل ما هو حسن وطيب.

ثانياً: أنواع الكناية مع بيان القيم الجمالية فيها:

1- كناية عن صفة:

ويندرج تحت هذا الفن ما ورد عن ما ورد عن سالم بن أبي الجعد عن أبي المليح الهذلي أن نسوة من أهل حمص استأذن على عائشة. فقالت لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات. سمعت رسول الله ﷺ يقول (أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله)⁽²⁾

كناية في جملة (وضعت ثيابها في غير بيت زوجها)، فهي كناية عن صفة الخيانة الزوجية أي خيانة الزوجة لزوجها حال غياب زوجها، فلم تحفظ زوجها.

(1) ينظر: الإيضاح، القزويني، ص183..

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ دخول الحمام، 1234/2: رقم الحديث 3750.

عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَأَنْ يَمْتَلِيْ جَوْفَ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيْهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيْ شَعْرًا⁽¹⁾

في الحديث كناية عن صفة الإباحة باستخدام الشعر كما حث الرسول عليه السلام حين خاطب حسان بن ثابت قائلاً: "اهجهم كأنك تتضحهم بالنبل"، وبالتالي هذه إشارة إلى توضيح أن الشعر مسموح ولا يكون الشعر ممنوعاً إلا إذا كان مذموماً، بمعنى أنه لا يكون الشعر ممنوعاً ولكن إذا كان مذموماً يكون حينها ممنوعاً. ولعلنا نستحضر قول الله تعالى: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١١﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢)"

ونظيره ما ورد عن الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرَحَّمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ «لَقَدْ حَجَرْتَ وَإِسْعًا» (3).

كناية عن عدم الرحمة وعدم الشفقة؛ ولكن لا بد من الحديث عن أن الصحابي-هنا-في مدرسة تعليمية تربوية نبويّة يتعلم فيه رحمة المسلمين بالمسلمين والكناية، في قوله ﷺ: (حجرت) للقسوة.

ويمثله ما ذكر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: " إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ أَنْ تَكْذِبَ، وَأَصْدُقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا تَخْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ، فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ " قَالَ: «وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْعُلَّ، وَالْقَيْدَ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ»⁽⁴⁾

قوله: (إذا اقترب الزمان) فيه ثلاثة أقاويل⁽⁵⁾ :

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء أن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً، 5/141: رقم الحديث 2851.

(2) الشعراء: 224-227

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 27، 53/1: رقم الحديث 6010.

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 304/4: رقم الحديث 5019.

(5) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى، عبد الرحمن المباركفورى، ص4515028.

أحدها أنه أراد آخر الزمان واقترب الساعة لأن الشيء إذا قل وتناقص تقاربت أطرافه ومنه قيل للمقتصد متقارب ويقولون تقاربت إبل فلان إذا قلت.

وثانيها أنه أراد به استواء الليل والنهار لزعم العابرين أن أصدق الأزمان لوقوع العبادة وقت انفتاق الأنوار، وزمان إدراك الأثمار، وحينئذ يستوي الليل والنهار .

وثالثها . أنه من قوله ﷺ يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كالساعة، قالوا: يريد به زمن خروج المهدي وبسط العدل وذلك زمان يستقصر لاستلذاذه فيتقارب أطرافه.

ولعل التفسير الأول هو الأقرب إلى الواقع وبناء عليه: تكون هناك كناية عن اقتراب الليل والنهار أي متساويين، في قوله ﷺ: (اقترب الزمان)، وقد منحت الكناية في هذا الحديث الإيحاء الواضح والدلالة التي تعمل العقل والفكر وتقرب الصورة.

ونظيره ما ورد عن بشير بن مهاجر عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ (يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب). فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك⁽¹⁾

كناية عن ظهور الأثر الذي خلفه تلاوة القرآن تشبيه مفرد، في قوله ﷺ: (كالرجل الشاحب)، وقد منحت الكناية في هذا الحديث الإيحاء الواضح، والدلالة التي تعمل العقل والفكر، وتقرب الصورة، كما تضيف سرًا بلاغيًا مفاده الإتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل.

ويمثله ما ذكر عن عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « ما أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا »⁽²⁾ .

في قوله: "ما أظن .. يعرفان من ديننا شيئًا"، كناية عن صفة الجهل بدين الله تعالى.

ومثله ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)⁽³⁾

كناية عن الخير والبركة وأهمية سورة الإخلاص، والمعلوم أن سورة الإخلاص لها من الاسم نصيب -كغيرها- فالسورة تتحدث عن الإخلاص، لكن نرى هذه السورة لا توجد فيها كلمة

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3781.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 59، 53/1: رقم الحديث 6067.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1244/2: رقم الحديث 3788.

إخلاص رغم أنَّ جلَّ سور القرآن يُستقطع اسمها من السورة.

ومثله ما ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً، فَحَكَّهَا بِيَدِهِ، فَتَغَيَّظَ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حِيَالَ وَجْهِهِ، فَلَا يَتَنَحَّضَنَّ حِيَالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ »⁽¹⁾

ونظيره ما ورد عَنْ عَمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)⁽²⁾

كناية عَنْ عَظَمِ الْأَجْرِ، فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةٍ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ لَفْظَ الْكَرِيمِ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَسْبَحَ وَتَعْنِي التَّنْزِيهَ.

كناية عَنْ صِفَةِ (وُجُودِ اللَّهِ وَإِبْصَارِهِ)، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (حِيَالُ وَجْهِهِ)، وَيَقُولُ مُحَمَّدٌ بَدْرُ الدِّينِ الْعَيْنِيُّ: " أَيْ: مُقَابِلُ وَجْهِهِ، وَفِي كِتَابِ الصَّلَاةِ: فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ"⁽³⁾.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ». قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « الْإِشْرَافُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ». وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ». فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ⁽⁴⁾.

فِي قَوْلِهِ ﷺ: (أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ)، كِنَايَةٌ عَنْ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْثَرِ، وَمِنَ الْجَمَالِ الْأَسْلُوبِيِّ وَالْإِبْدَاعِ النَّبَوِيِّ تَوْضِيفُهُ لَصِيغَةِ لَافِتَةٍ، وَمِنَ اللَّافِتِ أَنَّ كَلِمَةَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ كَرَّرَتْ ثَلَاثًا لِتَوْكِيدِ خَطَرِهَا الْمَوْقِفِ.

ونظيره ما ورد عَنْ وَقَّاصِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةٍ وَرِيَاءٍ

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 75، 53/1: رقم الحديث 6111.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3806.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 161/22.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 6، 53/1: رقم الحديث 5976.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (من أكل برجل) كناية عن الغيبة والنميمة، وقد منحت الكناية في هذا الحديث الإيحاء الواضح والدلالة التي تعمل العقل والفكر، وفي الحديث التحذير من الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض المسلمين.

ومثله ما ورد عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ (إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد. ينعطفن حول العرش. لهن دوي كدوي النحل. تذكر بصاحبها. أما يحب أحدكم أن يكون له (أو لا يزال له) من يذكر به ؟) ⁽²⁾

كناية عن شدة الصوت، وهي صفة قوله (لهن دوي)، وبالتالي تلتقي الكناية البيانية مع الأثر الدلالي تشبيه مفرد، في قوله ﷺ: (كدوي النحل) وقد جاءت لفظه (جلال) في الحديث النبوي كمبالغة تعبيرية وتعظيمية لله -جل جلاله- ومن-هنا-تلتقي البلاغية النبوية مع الأساليب اللغوية فهي على وزن فعال وهي صيغة مبالغة.

-كناية عن موصوف:

ومثله ما ورد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو قال ينافح عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ حدثنا إسماعيل بن موسى وعلي بن حجر قالوا: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ مثله⁽³⁾

في قوله ﷺ: (روح القدس) كناية عن موصوف وهو جبريل ﷺ، أي الروح الطاهرة، وفي هذه الكناية إعلاء من شأن جبريل عليه السلام. ومثله ما ورد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول يا أبا هريرة نشدتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا حسان أجب عن رسول الله، اللهم أئده بروح القدس

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند الغضب، 249/4: رقم الحديث 4881.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1252/2: رقم الحديث 3809.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في إنشاد الشعر، 138/5: رقم الحديث 2846.

«. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَعَمْ (1) .

كناية عَنْ موصوف وهو جبريل -عليه السلام-، في قوله ﷺ: (روح القدس)، وتعني الروح الطاهرة. فالجملة خبرية دعائية من ناحية نحوية؛ لكن لها دلالات بلاغية وكنائية، فهي كناية عن موصوف، كما أعطت إشارة إلى الوحي جبريل -عليه السلام صاحب النقاء والطهارة والنزاهة والقدرة اللامتناهية التي وهبها الله إليه، للوقوف بجانب الإسلام والمسلمين في حضرة العدنان ﷺ، وهو صاحب ستة مئة من الاجنحة، وقال ابن الأثير: "لأنه خُلق من طهارة، والروح في الحقيقة ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وقد أُطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل عليه السلام" (2) .

ومثله ما ورد عَنْ نافع عَنْ ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِي فَإِنَّ مَعَكُمْ مِنْ لَا يَفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يَفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ (3) .

في قوله ﷺ: (الغائط) كناية عَنْ صفة قضاء الحاجة في بيت الخلاء وفيه من الأدب النبوي كما جاء في الأدب القرآني.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ « وَيْحَكَ يَا أُنْجَشَةُ، رُؤْيَاكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِبَعْضِكُمْ لَعَبَثْتُمْوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ » (4)

فيه قوله (رفقا بالقوارير) كناية، حيث أفادت من الحث والحض على الرفق بالنساء في السير، وهذا من أدب وحسن المعاملة الإسلامية مع النساء؛ بل مع جميع المخلوقات ومن- هنا- يظهر رحمة النبي ﷺ وإشفاقه على النساء إذ خاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط، أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عَنْ السرعة، وقد يكون - كما يرى صاحب شرح الباري في صحيح البخاري - أن الخوف عليهن من سماع النشيد.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرِ - يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ - حَتَّى يُصَلِّيْنَ، رَبُّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، غَارِيَةٍ فِي

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 91، 53/1: رقم الحديث 6152.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 15/19.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في الاستتار عند الجماع، 112/5: رقم الحديث 2800.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

الآخِرَةُ»⁽¹⁾ .

في قوله ﷺ: (صواحب الحجر)، كناية عن موصوف (وهم النساء الزوجات) وقال صاحب عمدة القاري: "(صواحب الحجر) كلام إضافي مفعوله، وأراد بها زوجاته ﷺ، والحجر، وأراد بها منازل زوجاته. (2)

2- كناية عن نسبة:

وهي إثبات شيء لشيء أو لنفي عنه.

ومثله ما ورد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن يوسف بن ماهك عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ (إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها. ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه⁽³⁾)

في قوله ﷺ: (انتفى من أبيه)، كناية عن نسب النفس إلى غير أبيه، وكناية عن نسب الزنا لأمه، لتحصيل حاصل، كونه ابنا لغير الأب والأم، فأعظم فرية عند النبي ﷺ هو في هذا المثلث الخطير.

فالزاوية الأولى أن تُهَجى من شخص فتُهجى قبيلته بالجملة. والزاوية الثانية تنفي النسب إلى الأب. والزاوية الثالثة تنسب الزنا للأم، وهذه من العظائم الخطيرة للإنسان التي تستحق أن يذكرها النبي ﷺ.

ثالثاً - الخلاصة:

يؤيد الباحث ما ذهب إليه أحد الباحثين في الأسرار التي تتركها الكناية فيقول⁽⁴⁾ : الكناية فن من فنون البلاغة غني بالتعبيرات البيانية والمزايا البلاغية ،انها تضيف على المعنى جمالا وتزيده قوة، وتتحق بها مقاصد واهداف بلاغية فريدة إن تمسك بها الاديب المتقن المتمرس .ومن أهم فوائدها:

- افادة المبالغة في المعنى، لأن التعبير بالمعنى الكنائى بروادفه وثوابته له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عنه باللفظ الموضوع له

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 121، 53/1: رقم الحديث 6218.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 174/2.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ما كره من الشعر، 1237/2: رقم الحديث 3761.

(4) الأسلوب الكنائى في القرآن الكريم، د. سندس عبد الكريم هادي، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٧، ص ٢٠٢

ثانيا: التركيب النحوي للتعريض ودلالاتها البلاغية.

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

المَعَارِضُ: جمعُ مِعْرَاضٍ من التَّعْرِيضِ، وهو خِلَافُ التَّصْرِيحِ من القَوْلِ، يقال: عَرَفْتُ ذلك في مِعْرَاضِ كلامه. (1).

والمقصود بأسلوب الإيحاء إيصال القناعة بفكرة ما إلى ذهن السامع، عن غير التلقين المباشر، فقد يكون عن طريق قصة مثلاً أو تعريضاً وإما بلسان المقال. (2) ..

وهو من الأساليب النفسية غير المباشرة، وقد يكون أحياناً أشد تأثيراً من الدعوة الصريحة المباشرة، فمن حكمة الداعية أن يصرف المدعو عن الرذيلة إلى الفضيلة، بتلويح في المقال، وتعريض في الخطاب ما أمكن (3).

في الاصطلاح: معاريض الكلام: ما يفهم به السامع مراد المتكلم من غير تصريح، كقولك: ما أقبح البخل، تعرض بأنه بخيل، كما أنَّ الرَّجُل يقول: هل رأيت فلانا ؟ فيكره أن يكذب فيقول: إن فلانا لَيُرَى (4).

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سَلِيمٍ فَقَالَ « وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِبَعْضِكُمْ لَعَبِثُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوْقَكَ (5) بِالْقَوَارِيرِ » (6)

تعريض، في قوله ﷺ: (القوارير)، إذ قصد ﷺ من هذه الكلمة خوف النبي ﷺ من الفتنة من سماع النشيد. ومعنى سوقك أي: سيرك.

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، 4662/1

(2) بتصرف، أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، ص 196.

(3) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص 117.

(4) التعريفات، لأبي الحسن محمد بن علي تحقيق: د. محمد رضوان الداية 157/1 .

(5) تعني: سيرك أي إرفاقتك والقوارير جمع قارورة من الزجاج.

(6) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

ثالثاً - الخلاصة:

- ظهر التعريض -هنا- في موضع واحد فحسب، ولعل ذلك يرجع إلى عدم وضوح الأسلوب عند بعض الناس والمجتمع الإسلامي؛ بل ولأن الرسالة المحمدية عامة للعرب ولغيرهم وللناطقين بالعربية وغير الناطقين بها؛ فإنّ تجنب هذا الأسلوب الكنائي كان هو العمدة والمختار.

الفصل الثالث:

التركيب النحويّة من الوجهة البلاغية
في علم البديع

المبحث الأول:

التركييب النّحويّة للمحسنات المعنويّة ودلالاتها البلاغية.

المطلب الأول:

الطباق.

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

يعني الطباق في أصل الاستعمال اللّغويّ الجمع بين الشيئين والموافقة بينهما، يقال طباق الفرس في جريه إذا وضع رجله موضع يده⁽¹⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

وفي اصطلاح البلاغيين استعمل الطباق للجمع بين الشيء وضده في الجملة، والمقابلة هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو أكثر بما يقابل ذلك على الترتيب⁽²⁾.

وقد كشف عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - عن مؤدى هذا النوع البلاغيّ بقوله: "أما التطبيق فأمره أبين وكونه معنويًا أجلي وأظهر، فهو مقابلة بين الشيء وضده، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال، وليس لأحكام المقابلة ثم مجال"⁽³⁾.

ثانياً: أنواع الطباق مع بيان القيم الجماليّة فيها:

1- من حيث الإيجاب والسلب:

طباق الإيجاب:

"وهو الجمع بين متضادين، مثبتين معاً أو منفيين معاً"⁽⁴⁾.

ونظيره ما ورد عن أبي هريرة، أنّ أباً بكرٍ الصّدّيقَ رضي الله عنه، قال: يا رسول الله مرّني بكلماتٍ أقولهنَّ إذا أصبَحْتُ، وإذا أمسيْتُ، قال: " قل: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ

(1) الأساس، الزمخشري، مادة (طبق) .

(2) ينظر حاشية البناني على المختصر، حاشية البناني 316/2-320.

(3) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص28.

(4) الإيضاح/ الخطيب القزويني، 65/1.

نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» (1)

وذلك بين كلمتي (الغيب) و(الشهادة)، وبين (أصبحت) و(أمسيت) وبين (السموات) و(الأرض) وقد جاء الطباق بُغْيَة التوضيح والبيان وتقريب الصورة.

طباق السلب:

وهو ما وقع بين فعلين مصدرهما واحد الأول مثبت والثاني منفي أو الأول أمر والثاني منهي. (2)

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ «قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ بَهْتَهُ» (3)

ونوعه سلب حيث وقع بين مثبت ومنفي وذلك بين (كان فيه) (لم يكن فيه)، وقال أحد الشارحين: "تَضَمَّنَتْ هذه النصوص كلها أن المسلم لا يحلّ إيصال الأذى إليه بوجه من الوجوه، من قول، أو فعل، بغير حق. (4) 'ومعنى (بهته) هو "الباطل، والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان لكن تباح الغيبة لغرض شرعي. (5) وبالتالي جاء الطباق من أجل التوضيح، والتفرقة بين الطرف الأول والطرف الثاني.

ومثله ما ورد عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنْ اللَّهَ رَفِيقٌ: يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغُفِّ" (6)

ونوعه سلب حيث وقع بين فعلين مصدرهما واحد الأول مثبت (يعطي) والثاني منفي (لا يعطي) ومصدرهما هو العطاء، ومعنى (رفيق) أي يعامل الناس بالرفق واللطف ويكلفهم بقدر

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 316/4: رقم الحديث 5067.

(2) من بلاغة القرآن (المعاني - البيان - البديع) ، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ص 249.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الغيبة، 269/4: رقم الحديث 4874.

(4) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، 383/40.

(5) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 2001/4.

(6) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الرفق، 254/4: رقم الحديث 4807.

الطاقة. (على العنف) هو ضد الرفق. أي من يدعو الناس إلى الهدى برفق وتلطف خير من الذي يدعو بعنف وشدة إذا كان المحل يقبل الأمرين. وإلا فيتعين ما يقبله المحل. ⁽¹⁾ وقد جاء الطباقي من أجل التوضيح، والتفرقة بين الطرف الأول والطرف الثاني.

2- من حيث الأسماء الأفعال والحروف:

بين اسمين:

ومثله ما ورد عن قيس بن أبي حازم، قال: قال لي جرير: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تريحني من ذي الخلصة» وكان بيتاً في خثعم يسمى كعبة اليمانية، قال: فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، قال: وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مُهْدِيًا» ⁽²⁾

وذلك بين كلمتي (هاديا) و(مهدياً)، وقد جاء الطباقي بُغْيَةً توضيح القضايا الدينية وتقريب الصور الغريبة التي تتُّم عن قدرة الله -تعالى، ولتفسير بعض الأمور الفقهية والأخلاقية الجديدة، فهنا لم يكن الطباقي مجرد تضاد لفظي، فحسب وليس كلمتين متجانستين اشتقاقياً - فقط- وليست كلمتين ذات صيغتين مشتقتين لُغَوِيًّا وهما اسم الفاعل واسم المفعول؛ بل لتكون الهداية إليه -أي داخلياً، ومنه إلى الآخرين -أي خارجياً، لذا قال صاحب عمد القاري: " قوله: (هادياً) إشارة إلى قوة التكميل ومهدياً إلى قوة الكمال أي: اجعله كاملاً مكملًا: قال ابن بطال: هو من باب التقديم والتأخير؛ لأنه لا يكون هادياً لغيره إلا بعد أن يهتدي هو فيكون مهدياً، وببركة دعاء النبي ﷺ بقوله: اللهم ثبته، ما سقط بعد ذلك من فرس ⁽³⁾ . وبالتالي يلتقي الطباقي مع التقديم والتأخير مع جناس الاشتقاق، مع المشتقات التصريفية.

ومثله ما ورد عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ » ⁽⁴⁾ .

بين (النهار) و(الليل) وهنا الطباقي بين مثبتين، ولو تجرد الباحث من التفكير البلاغي في هذا الحديث لأصبح الحديث خبراً لا قيمة بلاغية فيه؛ ولكن عند البحث فيه بطريقة بلاغية

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 1216/2.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6090.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 169/14.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 25، 53/1: رقم الحديث 6006.

يخرج الباحث من الخبر الحقيقي إلى اللون البياني المتمثل في الوجود في قوله ﷺ : (كالمجاهد) و(كالذي يصوم ...)، فقد شبه الذي يعطف ويسعى لصيانة وحماية الأرملة والمسكين كالذي يجاهد ولعل علاقة المشابهة بين الطرفين هو العمل فيما يرضي الله تعالى - وتحقيق الأجر والثواب منه. ففي هذا دعوة إلى الحفاظ على الأرملة وعلى المسكين. أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل فيرهق ويتعب لكن أجرا ينتظره بعد الصيام وبعد القيام.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»⁽¹⁾

فيه طباق، بين (السموات) و(الأرض)، بين مثبتين، وهناك طباق بين مثبتين أيضا وذلك بين كلمتي(الأول والآخر) وهناك طباق بين مثبتين أيضا وذلك بين كلمتي(الظاهر والباطن).

وقد جاء الطباق بُغْيَةً توضيح القضايا الدينية وتقريب الصور الغريبة التي تنم عن قدرة الله تعالى، ولتفسير بعض الأمور الفقهية والأخلاقية الجديدة.

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابُ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ؛ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوْ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»⁽²⁾

بين (الأيمن) و(الأيسر)، طباق بين مثبتين، وهنا لم يأت الطباق -فقط- مجرد كلمتين متضادتين لغويا وإنما جاء لسر دلالي يكمن في التخيير البلاغي ومنع الفسحة والحرية لمن يريد الاستئذان ومن -هنا- تظهر الوسطية الإسلامية.

بين فعليين:

ومثله ما ورد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ النَّمْرِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ،

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 312/4: رقم الحديث 5051.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، 348/4: رقم الحديث 5186.

وَطَعْمُهَا مَرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِنَّ لَمْ يُصْبِكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ، إِنَّ لَمْ يُصْبِكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ»⁽¹⁾

ونوعه سلب بين (يقرأ) و(لا يقرأ)، وفي قوله (لم يصبك) و(أصابك) طباق سلب بين منفي ومثبت، وبين كلتي (طيب) و(مر) طباق خفي، والطيب يريح النفس، ويشعرها بحلاوة، العيش وعليه تطابق مر.

إن في هذا الحديث المطنب بلاغة راقية ولعلَّ البلاغة النبوية تظهر -هنا- في المقارنات والمناظرات النقدية والفيصلية بين المؤمن الذي يقرأ، والذي لا يقرأ بين المؤمن والفاجر، بين الجليس الصالح وجليس السوء، وقد استخدم أداة التشبيه (مثل)، وهي اسم لتعمل على عملية التصوير والتخييل التمثيلي؛ لتقريب الذهن إلى السامعين لمعرفة مدى نقاط الالتقاء والافتراق بين هذه الأصناف والأشكال المتباينة من قول وعمل. ومن الجميل قوله: إن فيه فن التقويف، فقد جاءت الجمل والعبارات متلائمة ومستوية المقادير حيث قال مثل الذي يقرأ القرآن ثم قال مثل الذي لا يقرأ القرآن ثم قال مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن ثم الفاجر الذي لا يقرأ القرآن.

ومثله ما ورد عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»⁽²⁾

وذلك بين (بعثتم) و(لم تبعثوا) وهذا سلب فالأولى مثبتة والثانية منفية، وقد جاء للتوضيح وتقوية الأسلوب. إيجاب بين (ميسرين) و(معسرين)، فقد جاء ليوضح المعنى وفيه تهذيب سلوكي من أصول الدين.

ومثله ما ورد عن أنس بن مالك قال عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما (أو سمت) ولم يشمت الآخر. فقل يا رسول الله عطس عندك رجلان. فشمت أحدهما ولم تشمت الآخر ؟: فقال (إن هذا حمد الله. وإن هذا لم يحمد الله) ⁽³⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4829.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 80، 53/1: رقم الحديث 6128.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ تسميت العاطس، 1223/2: رقم الحديث 3713.

فيه طباق سلب، وذلك بين (حمد ولم يحمد)، ولعلّ من معاني التشميت هي دعاء بالتجنب عن الشماتة، وبالتالي يتحقق عنصر البلاغة النبوية والأسلوب الفصيح في دعاء النبي ﷺ والتشميت للعاطس، فهنا يريد أن يذكر المسلم بأن كل شيء يحدث مع المسلم يستحق أن يستحضر حينها ربنا - سبحانه وتعالى - الذي هو على كل شيء قدير.

ومثله ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»⁽¹⁾

بين كلمتي (أحيانا) وأماتنا)، وهو طباق بين فعلين، وناك أيضا بين فعلين وذلك بين (أحيا وأموت) وقد جاء الطباق من أجل التوضيح، والتفرقة بين الطرفين.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: " لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاطَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي؛ وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ " (2)

إيجاب بين (تعاضم) و(تصاغر)، أي بين فعلين، وقوله: (تَعَاطَمَ) وَتَعَاطَمَ الشَّيْطَانُ، وكونه مثل البيت قد يكون بالحجم أو يكون كناية عن فرحه ونخوته، وقوله: (تصاغر) وتصاغره كذلك؛ قد يكون بالحجم أو كناية عن ذله وقهره. واعلم أن ذكر (اسم الله) يذيب الشيطان، كما يذيب الماء الملح.⁽³⁾ وبالتالي جاء الطباق لتوضيح المعنى عبر الكناية المتاحة في الجملة والتمثلة في الفرع والقهر.

ومن اللافت ان كلمتي (تصاغر وتعاضم) هما على وزن تفاعل، ويلحظ أن المعنى المستفاد من هذين الفعلين اللذين جاءا على وزن تفاعل هو الإيهام والمطاوعة. فكان الطباق أكثر تأثيرا وتشويقا وإمتاعا إقناعا.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 311/4: رقم الحديث 5049.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقال خبثت نفسي، 296/4: رقم الحديث 4982.

(3) شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مجدي الأحمد، تعليق: مؤلف حصن المسلم، د. سعيد القحطاني، ص298.

ومثله ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لم أر شيئا أشبه باللمم من قول أبي هريرة. حدثني شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ « إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه »⁽¹⁾

وذلك بين (يصدق) و(يكذب) أي بين فعلين، وجاء للتوضيح والبيان ولفت الانتباه إلى مدى خطورة الموقف، ويقول محمود بدر الدين العيني: "(والفرج يصدق ذلك) المذكور من زنا العين وزنا اللسان، والتصديق بالفعل والتكذيب بالترك. وأجيب: بأنه لما كان التصديق هو الحكم بمطابقة الخبر للواقع، والتكذيب الحكم بعدمها، فكأنه هو الموقع أو الدفع فهو تشبيهه، أو لما كان الإيقاع مستلزماً للحكم بها عادة فهو كناية"⁽²⁾.

وبالتالي فهو طباق يخرج إلى دلالات وكنايات، فهو طباق للتوضيح وهو تشبيه الفعل بالتصديق، والترك بالتكذيب، وهو كناية بفعل الأمر المنبؤ وعدمه وهو استعارة فالفرج لا يصدق ولا يكذب ولا يفعل ولا يمتنع بل هو قرار قلبي نفسي لصاحبه وتحت سقف قوله تعالى: "وهديناه النجدين".

ومثله ما ورد عن الزهري قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ ». قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ « الْقَتْلُ، الْقَتْلُ »⁽³⁾

وذلك بين كلمتي (ينقص) و(يكثر)، أي بين فعلين، وقد جاء الطباق للتوضيح على أهمية وعظم هذا الأمر، حيث قال صاحب عمدة القاري: "(ويكثر الهرج)، وَهُوَ الْقِتَالُ، والاختلاط، ورأيتهم يتهارجون أي: يتسافدون"⁽⁴⁾.

بين حرفين:

عن مالك بن مغول عن محمد ابن سوقة عن نافع عن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس: يقول (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 12 الاستئذان، 53/1: رقم الحديث 6243.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 240/22.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 39، 53/1: رقم الحديث 6037.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 58/7.

قال النبي ﷺ (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً) (1)

وذلك بين حرفي (لي وعليّ) وجاء للفت الانتباه وتوضيح الفرق.

بين اسم وفعل:

ونظيره ما ورد عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ (يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً. ومن تقرب مني ذراعاً تقربت باعاً. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئاً لقيت به بمثلها مغفرة) (2)

وذلك بين (يمشي ... هرولة)، وقد جاءت كلمة (بقراب) على وزن (فعال)، ففيها المبالغة والكثرة وهي تنسجم مع المعنى الموجود في الحديث الذي يدل على كثرة الخطايا التي تقتربها الإنسان، ومع ذلك فيقابله مغفرة من الغفار وقد جاءت -أيضاً- في كلمة (بقراب) مصدراً لفعل قارب يقارب وجاءت مسبوقة بحرف الجر الباء بالكسرة؛ وبالتالي يأتي التعبير من حيث اللفظ والمعنى واضحاً؛ لأنّ الكسرة فيها نزول والخطايا فيها هبوط وكلمة الأرض المجاورة بكلمة بقراب فيها نزول إلى الأسفل؛ وبالتالي تظهر البلاغة في هذه الكلمة بشكل واضح.

ثانياً - الطباق المعنوي:

وهو ما كانت المقابلة فيه بين الشيء وضده في المعنى لا في اللفظ (3)

ومثله ما ورد عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ» (4)

فيه طباق معنوي بين (شكره) و(كفره)، ومعنى كلمة (كفره) أي: سَتَرَ نِعْمَةَ الْعَطَاءِ، وَالْكَفْرُ فِي اللُّغَةِ: الْغِطَاءُ. (5)

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الاستغفار، 1254/2: رقم الحديث 3818.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل العمل، 1255/2: رقم الحديث 3821.

(3) الإيضاح، الخطيب القزويني، 66/1.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ شكر المعروف، 256/4: رقم الحديث 4814.

(5) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، 113/10.

المطلب الثاني: الطي والنشر

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:

الطي والنشر في اللغة:

جاء في معجم لسان العرب: "الطيّ نقيض النشر طويته طياً، ويقال طويت الصحيفة أطويها طياً، فالطيّ المصدر وطويتها طيّة واحدة أي مرة واحدة".⁽¹⁾ أما النشر في اللغة فهو كما قال ابن منظور "النشر الريح الطيبة، وفي الحديث خرج معاوية ونشره أمامه يعني ريح المسك النشر بالسكون الريح الطيبة أراد سطوع ريح المسك منه ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشوراً"⁽²⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

لعلّ التعريفات التي تحدثت عن الطيّ والنشر هي تعريفات متقاربة، وأبرزها هو "ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه، فالأول ضربان لأن النشر إما على ترتيب اللف أو على غير ترتيبه"⁽³⁾، وقد مثل القزويني على هذا الفن بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقول ابن الرومي⁽⁴⁾

آراؤكم ووجهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والأخريات رجوم

فاللف متمثل في (آراؤكم - وجهكم - سيوفكم)، وكان النشر على ترتيب اللف (معالم للهدى - مصابيح تجلو الدجى - رجوم)

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة طوي.

(2) المصدر السابق، مادة نشر.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص332_333).

(4) ينظر ديوان ابن الرومي، أحمد حسن بسج (319/3)

ثانيا: أنواع الطي والنشر مع بيان القيم الجمالية فيها:

الطي والنشر المرتب:

وهو أن يكون الأول من النشر للأول من اللف والثاني للثاني.

ومثله ما ورد عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ صَنِيعَتُهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»⁽¹⁾

فيه طي ونشر، فاللف والطي، في قوله ﷺ: (المؤمن مرآة المؤمن) والنشر فيها (كف عليه صنيعته) والطي الثاني، في قوله ﷺ: (المؤمن أخو المؤمن) والنشر فيها (يحوطه من روائه).

ومثله ما ورد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لَا يَقُولَنَّ عَبْدُكُمْ عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ سَيِّدِي وَسَيِّدَاتِي، فَإِنَّكُمْ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»⁽²⁾

فيه طي ونشر غير مرتب، في قوله ﷺ: فالطي (عبدِي وأمْتِي) و(فَتَايَ وَفَتَاتِي)، والنشر (رَبِّي وَرَبَّتِي) و(سَيِّدِي وَسَيِّدَاتِي)، فنلاحظ أن النهيين المتجاورين والأمرين المتجاورين أعطت دلالة بلاغية متمثلة في الجرس الموسيقي الذي خلفه ذلك الطي والنشر والذي يعطي قيمة جمالية رفيعة المستوى.

ومثله ما ورد عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: قال رسول الله ﷺ : ((ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء)). وكان أبان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله علي قدره.⁽³⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النصيحة والحيطة، 280/4: رقم الحديث 4918.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقول المملوك ربي وربتي، 294/4: رقم الحديث 4975.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا أصبح، 323/4: رقم الحديث 5089.

فيه طَيّ ونشر، في قوله ﷺ: (وهو السميع العليم) فالسميع نشر لكلمة (في الأرض) والعليم نشر لكلمة (في السماء) فهو يسمع ما في الأرض وله على العرش استوى وعليم في السماء فيعلم ما سر وأخفى. وقد التقى الطيّ والنشر بفن مراعاة النظر، في قوله-عليه السلام: (وهو السميع العليم) فكلمة (السميع) تناظر (في الأرض) وكلمة (العليم) تناظر (في السماء) فهو يسمع كل من دب فوق الثرى في الأرض ويعلم ما في السماء من مخلوقات وأقدار. بين كلمتي (يصبح) و(يمسي).

الطي والنشر المجمل:

وهو ذكر متعدد على الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين من جانب المتكلم.

ومثله ما ورد عن الزهري عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر عن أبيهما أن رسول الله ﷺ قال الشؤم في ثلاثة في المرأة والمسكن والدابة⁽¹⁾.

فيه طَيّ ونشر، في قوله ﷺ: (في ثلاثة في المرأة والمسكن والدابة) وهذا يعد من التوابع النَّحْوِيَّة فالتركيب النَّحْوِي -هنا- بدل تفصيل حيث جاء التفصيل لهذه الأصناف الثلاثة ومن ناحية ب ومثله ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً مَجَالِسٍ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ "⁽²⁾

إن في هذا الحديث لف ونشر مجمل، إذ إن ذكره ﷺ (إلا ثلاثة مجالس:) فالطيّ في كلمة ثلاثة والنشر، في قوله ﷺ. سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ

ونظيره ما ورد عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيَهُنَّ بَدَأْتَ. وَلَا تُسَمِّنَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رِبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَتَمَّ هُوَ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ لَا». إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ فَلَا تَزِيدُنَّ عَلَيَّ⁽³⁾.

ففيه لف ونشر مجمل في قوله ﷺ، أحب الكلام إلى الله أربع وهي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في الشؤم، 126/5: رقم الحديث 2824.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ نقل الحديث، 268/4: رقم الحديث 4869.

(3) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ النهي عَنْ التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب، 172/6: رقم الحديث 5724.

المطلب الثالث

حسن التعليل

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

التعليل في اللغة:

قال ابن منظور: "والتَّعْلِيلُ سَقْيٌ بَعْدَ سَقْيٍ وَجَنِي الثَّمَرَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَعَلَّ الضَّارِبُ الْمَضْرُوبَ إِذَا تَابَعَ عَلَيْهِ الضَّرْبَ"⁽¹⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

"وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول"⁽²⁾.

وقد عُرف تعريفًا إضافيًا وبشكل أوضح، فقيل: "وهو أن يدعي المتكلم علةً للشيء غير علته الحقيقية على جهة الاستطراف لتحقيقه وتقريره، وذلك لأن الشيء إذا كان معللاً كان أكداً في النفس وأرسخ من إثباته مجرداً من التعليل"⁽³⁾.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾

"فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب"⁽⁵⁾، فقد تقدمت العلة وهي (الكتاب) على المعلول (النجاة من العذاب)⁽⁶⁾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ويقول أحمد الهاشمي: "هو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة وتأتي بعلة أخرى أدبية طريفة لها اعتبار لطيف ومشتملة على دقة النظر بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه مثل قول الشاعر:

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة علل.

(2) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص309.

(3) من بلاغة القرآن (المعاني - البيان - البديع، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان ص275.

(4) الأنفال:68

(5) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص309.

(6) الألوان البديعية في السور المكية، حمادة علوان، إشراف أ. د. محمد علوان رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص57.

ما قصر الغيث عن مصر وتربتها طبعا ولكن تعدادكم من الخجل
ولا جرى النيل إلا وهو معترف بسبقكم فلذا يجري على مهل

فاقتصر الغيث عن قصر وتربتها طبعا ولكن تعدادكم من الخجل
ينكر الشاعر الأسباب الطبيعية لقلة المطر ويلتمس لذلك سبب آخر هو أن المطر يخجل أن
ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده⁽¹⁾

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيه:

ومثله ما ورد عن الأعشى، عن شقيق يعني ابن سلمة، عن عبد الله، قال: قال
رسول الله ﷺ: «لَا يَنْتَجِي اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (فإن ذلك يحزنه) بمعنى؛ لأن ذلك يحزنه وقد جاء النهي في كلمة
(ينتجي)، وهي على وزن (يفتعل)، والتي تفيد المشاركة والاستمرارية؛ وبالتالي فإن معاني الزيادة
في هذا الفعل أفاد معنى إضافياً أنتجه هذا الفعل المائل في كثرة التناجي، والتي تؤثر نفسياً
على الثالث القريب من هذين الشخصين.

ومثله ما ورد عن يزيد بن عبد الله، عن عياض بن حمار، أنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»⁽³⁾
في قوله ﷺ: (حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد) .

ومثله ما ورد عن الأعشى عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (إذا كنتم
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما. فإن ذلك يحزنه) ⁽⁴⁾ .

حسن تعليل، في قوله ﷺ: (فإن ذلك يحزنه) كما أن فيه تقديم وتأخير، وهنا منح هذا الفن
التعليلي توضيح الدواعي والأسباب، ومنح غرض العتاب والذم.

(1) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص306، ص307، بتصرف.
(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التناجي، 263/4: رقم الحديث 4851.
(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التواضع، 274/4: رقم الحديث 4895.
(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ حق الضيف، 1212/2: رقم الحديث 3775.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ) وبالتالي يلتقي الجانب النَّحْوِيُّ في أسلوب التوكيد مع وجهته البلاغية البديعية المتمثل النَّحْوِيُّ السببي أي (لأن الظن أكذب الحديث).

ونظيره ما ورد عَنْ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ظَبْيَةَ، أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، قَالَ: يَوْمًا - وَقَامَ رَجُلٌ فَأَكْثَرَ الْقَوْلَ - فَقَالَ عَمْرُو: لَوْ قَصَدَ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ، أَوْ أُمِرْتُ، أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ، فَإِنَّ الْجَوَّازَ هُوَ خَيْرٌ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (فَإِنَّ الْجَوَّازَ هُوَ خَيْرٌ)، والتقدير (لأن الجواز هو خير)؛ وبالتالي فجاء السبب والتعليل بطريق التوكيد، وعليه فإنَّ التعليل إذا جاء على طريق التوكيد فهذا من باب الإيغال والتوكيد على هذا الأمر وهو الخيرية الموجودة في عدم الإكثار من الكلام؛ لأنه كما قيل: ومع الإكثار يكون الإهزار، فالإيجاز في الحديث خير من الإكثار والإسهاب فيه.

ونظيره ما ورد عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتِنُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَنْهَكِي فَإِنَّ ذَلِكَ أَخْطَى لِلْمَرْأَةِ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ الْبَغْلُ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِمَعْنَاهُ وَإِسْنَادِهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «لَيْسَ هُوَ بِالْقَوِيِّ وَقَدْ رُوِيَ مُرْسَلًا»⁽³⁾

حسن تعليل، في قوله ﷺ: (فَإِنَّ ذَلِكَ أَخْطَى) والتقدير (لأن في النهي عن الختان حظي للمرأة. معى لا تنهكى: لا تبالغي. ⁽⁴⁾و(وَأَحَبُّ إِلَيَّ الْبَغْلُ) تعني: أحب إلى الزوج، وذلك لأن

ونظيره ما ورد عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»⁽⁵⁾.

في قوله ﷺ: (فإنه ليس ... أي؛ لأن التأخير عن الرجال خير لكم. نفي، في قوله ﷺ:

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/الظن، 280/4: رقم الحديث 4917.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في المتشدد في الكلام، 302/4: رقم الحديث 5008.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في الختان، 368/4: رقم الحديث 5271.

(4) غريب الحديث، لابن الجوزي 2/ 446.

(5) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ مشي النساء مع الرجال في الطريق، 369/4: رقم الحديث 5272.

(ليس لَكُنْ ...)، وهنا منح هذا الفنّ التعليلي توضيح الدواعي والأسباب، ومنح غرض العتاب والذم. ومعنى (حَاقَهُ) : وَسَطَهُ ⁽¹⁾. وهذا من شيء الغريبات والكافرات، لذا أيتها المرأة " احذري مشابهة الكافرات والماجنات بحجة متابعة الموضة ⁽²⁾. وبالتالي جاء التعليل للتأكيد على عدم جواز هذا الأمر.

ثالثاً - الخلاصة:

- كثر حسن التعليل كفنّ بديعي جميل في أحاديث الأدب، وهذا أمر بدهيّ، ذلك أن الحديث النبويّ من مزاياه توضيح القضايا الفقهية والدينية، وما أحلّ وما حرّم عبر الإقناع والاستدلال، وهذا يحتاج إلى حسن تعليل وذكر للأسباب والدواعي؛ فالسيرة النبويّة والمسيرة الدعوية في طريقها من يعاند ومن يحادد ومن يجادل ومن يخاصم ومن يلحد ومن لم يقتنع بالوجود الإلهي في الكون فيحتاج إلى تعليل وتوضيح.

(1) القاموس المحيط - الفيروزآبادي، مادة حقق، ص 1129.

(2) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد صقر، 580/1.

المطلب الرابع: براعة الاستهلال.

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
البراعة في اللغة:

جاء في لسان العرب: " (برع) يبرع بروعاً وبراعة وبرع فهو بارع تم في كل فضيلة وجمال وفاق أصحابه في العلم وغيره، وقد توصف به المرأة، والبارع الذي فاق أصحابه في السؤدد"⁽¹⁾.

الاستهلال في اللغة:

استهل يستهل، استهلل استهللاً، والاستهلال في الشعر: أول القصيدة، واستهلال الحديث أي حسن ابتدائه، والاستهلال تعني السعي لرؤية الهلال⁽²⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

قال البلاغيون: إنّ الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع في الحلاقة حتى يكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأوضح معنى. وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء. والابتداء هو أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً أنيقاً بديعاً؛ لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويقبله وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه". وقالوا: "أحسن الابتداءات هو ما ناسب الغرض الذي قصد إليه الشاعر بقصيدته والمعنى الذي تضمنته هذه القصيدة ويسمى (براعة الاستهلال)"⁽³⁾. كقول أبي تمام⁽⁴⁾:

السيف أصدق إنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف	في متونهن جلاء الشك والريب

(1) لسان العرب، ابن منظور . مادة (برع) .

(2) لسان العرب، ابن منظور . مادة هل.

(3) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، عبد الرازق، ص279.

(4) شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، ص32.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بَبِيتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبِيتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَبِيتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»⁽¹⁾

فيه براءة استهلال (حسن المطلع)، في قوله ﷺ: (أنا زعيم ...)، وذلك في: (ربض الجنة - وببيت في وسط الجنة - وببيت في أعلى الجنة)، ولعل البراعة هنا تكمن في جانب الإغراء الحث والتشويق، لأمة النبي ﷺ على أن يسيروا على نهجه وسيرته العطرة، وهذه (الأنبا) ليست مستعلية كما يتلفظها الجبابرة والمتكبرون، بل لترغيب المسلمين على أن يقتدوا بالرسول ﷺ من خلال تجنبهم المراء حتى يدخلوا الجنة.

ونظيره ما ورد عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم. فأطعموهم مما تأكلون. وألبسوهم مما تلبسون. ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)⁽²⁾

فيه براءة استهلال (حسن المطلع)، في كلمة إخوانكم فالأخوة لا تكون إلا أن يحمي السلطان والأمراء المأمورين تعددت الأفعال الآمرة والناهية؛ بل وتعدد الأساليب الإنشائية في هذا الحديث الشريف الذي جمع بين الأمر والنهي والشرط ولعل هذا يناسب ويمنح دلائل ومقاصد بيانية عظيمة إذ إنّ الملوك والسلاطين وضعهم الله فوق أيديكم لتسلخوا الدرب الذي يرضى الله - تعالى؛ لذا قال عنهم (إخوانكم)؛ بل إن هذه الكلمة كانت بمثابة فيه براءة استهلال (حسن المطلع)، وحسن الابتداء وهو لفت انتباه للبشر، وكذا الملوك والسلاطين أن يكونوا كذلك، فما جعلهم الله زعماء إلا أن يفعلوا عما أراد الله، ويحرموا ما حرم الله، ويطعموا ما أطعمهم الله، ويكسوا ما كساهم الله؛ وبالتالي لا طاعة لسلطان في معصية الرحمن، ولا سمع لزعيم في معصية الرحيم، وعلى هذا فإن هذه الأساليب الإنشائية المعنوية تُظهر احترام الملوك لمن أحترم ملك الملوك فقط.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: ⁽³⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حسن الخلق، 253/4: رقم الحديث 4800.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الإحسان إلى الممالك، 1216/2: رقم الحديث 3690.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ سعة المجلس، 53/4: رقم الحديث 4820.

في قوله ﷺ: (خير) فهو ليس بخبر نحويّ مسرد، وليس بتعبير جامد وفاقد للروح؛ بل جاء حسن الابتداء؛ وذلك لوجود الخيرية، ولأنه جاء بالصيغة التفضيلية وبأفعل التفضيل، بل جاء بأقوى من صيغة أفعل التفضيل؛ لأن كلمة خير المراد منها أخير لكن الأجود والأشهر هي كلمة (خير).

إنّ عدم استخدام (إنّ) التوكيدية في مستهل الجملة لعلّة سببية، مفادها بلاغيّ ودلاليّ، وهو أن هذه الجملة الحديثية السابقة لا تحتاج إلى تأكيد للبشر، فإن أولي الألباب والطبقة الوسطى والدنيا يستشفون ذلك ببساطة، وليسوا منكّرين، فكان الخبر ابتدائياً. وعليه فكان الغرض البلاغيّ الأكثر وضوحاً وبروزاً -هنا- هو الحث والإرشاد.

ومثله ما ورد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِنْ لَمْ يُصْنَبْ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِبْرِ، إِنْ لَمْ يُصْنَبْ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ»⁽¹⁾

براعة استهلال في كلمة (مثل المؤمن...) حيث بدأ بتشبيه مشوق، فلم يكن الخبر مجرد سرد يذكر، وقد التقى حسن الابتداء بالتشبيه بالأسلوب الخبري الي يعكس صورة وغرض بلاغيّ، وهو توضيح الفوارق بين أصناف متباينة لا تتقاطع في زاوية في أي حال من الأحوال.

ومثله ما ورد عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ خِصَالٌ يَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ وَيَجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ وَيَشْتَمُهُ إِذَا عَطَسَ وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ ثِقَةٌ رَوَى عَنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَابْنُ أَبِي فَدْيِكٍ»⁽²⁾

براعة استهلال في كلمة (للمؤمن)، فقد الحق على الواجب من حسن الابتداء وحسن التأدب النبويّ، وفيه إغراء للمستمعين من المؤمنين، وقدم الملكية والحقوق للمؤمن على ما هو عليه من واجبات، فتقدم الحق على الواجب، وهذا من الأهمية بمكان، وهذا هو الأسلوب النبويّ والأدبي الراقي، وهذا الذي جعل الإسلام مثراً في قلوب المسلمين وغير المسلمين.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4829.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في تشميت العاطس، 80/5: رقم الحديث 2737.

ومن اللآفت للانتباه أنه قدم عيادة المريض على بقية الخصال الست التي ذكرها النبي ﷺ. ولعل في هذا دلالة على أهمية عيادة المريض؛ لأنه بهذا يكون قد اكتسب ثواباً وظهر عنده صدق إيمانه، ومن زاوية أخرى، فقد نشر السعادة، والطمأنينة والأنس بجوار هذا المريض، ولعله قد ذكره بذكر الله - تعالى - مما يكسبه الثواب، ومن ثم يعود إليه، كما أن عيادة المريض من الفرص السانحة للمؤمن لعنق رقبته من النار ودخوله الجنة؛ لذا تقدم عيادة المريض لإظهار الإيمان الحقيقي للمؤمن.

ومثله ما ورد عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ». قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ »⁽¹⁾.

في قوله ﷺ: (والله لا يؤمن)؛ لأن أسلوب القسم بلفظ الكريم (الله) مع الواو وهي أقوى حروف القسم الثلاث، جاءت كنقطة انطلاق قوية ومؤثرة ومشوقة لما سيقال بعد هذا القسم؛ لذا كان استهلال الحديث بارع حسن الاختيار وحسن الابتداء.

وقال صاحب عمدة القاري: " وبين قوله: (لا يؤمن) (ولا يأمن) جناس محرف فالأول: من الإيمان، والثاني: من الأمان⁽²⁾ . وعليه فالتكرار هنا لم يكن مجرداً من الإفادة اللغوية والدلالة البلاغية والإشارة الجمالية، فهي تكرار لفظي المحتوي على أسلوب القسم، وهو جناس محرف.

ومثله ما ورد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»⁽³⁾.

في قوله (حق على الله)، كما نلاحظ أن حرف الجر (على) يفيد الاستعلاء المجازي وبالتالي فالغرض البلاغي من معنى حرف الجر (على) يفيد الوجوب الإلهي وهو من باب العدل. فهنا يطابق حديث (من تواضع لله رفعه)، وهنا في هذا الباب في كراهية الرفعة في الأمور، وبالتالي نجد العدل الرباني، فكما أن من يتواضع يرفعه الله - تعالى - فإن من يتعالى يخفقه الله - تعالى - وهنا إثبات لكمال الله في نقص عباد الله في إزالة العروش والقروش، وهنا حثٌ نبويٌّ، وتحذير إسلامي بأن لا يغتر الناس بالأموال والأعمال والإنسان والبنیان.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 29، 53/1: رقم الحديث 6016.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 109/22.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية الرفعة في الأمور، 254/4: رقم الحديث 4803.

ومثله ما ورد عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ الْخَزَاعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، ضَعِيفٌ مُتَضَاعِفٌ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُثْلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ »⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (ألا أخبركم)، ففيها حبس النفس، ولفت الانتباه، ولم يكن تركيباً نحوياً بحثاً متمثلاً في الاستفهام فحسب؛ بل جاء مشوقاً، ومن الجميل ذكره أنه قدم ﷺ ذكر (أهل الجنة) على (أهل النار)، وهذا من الأدب بمكان وهذه هي قمة التربية المتمثلة في حسن الابتداء بالمبشرات ثم بالمحذرات عليه، فهي دعوة محمّدية إلى استهلال الخطب والصالونات العلمية والفكرية، وعلى المنابر الدينية أن توظف العبارات المقربات الجالبات المستقطبات، فالدين جاء مبشراً لا منفراً، وقدم الرحمة والرحمانية في مطلع القرآن وسورة الفاتحة على غيرها من الحازمات والجازمات والمحذرات.

ونظيره ما ورد عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنه أتى النبي ﷺ ناس من اليهود. فقالوا السام عليك يا أبا القاسم. فقال (وعلیکم) ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (وعلیکم)، ولقد ظهر الأدب النبويّ جلياً حتى مع اليهود الظالمين، إذ إنّ النبي ﷺ لم يعبر أو يجب بما أسأفوا إليه فقالوا: السام بمعنى الموت القريب والعاجل، فرد ﷺ: (عليكم)، ولم يقل: عليكم السلام ولا عليكم السام؛ لأنّ الأولى لا تناسب ما سخروا به هؤلاء اليهود، وأما الثانية فليست من الأدب النبويّ بمكان مع أن هذا يناسبهم؛ لذا اكتفى بذكر شبه الجملة (عليكم)، وثمة رواية أخرى بذكر الواو العاطفة، وهي من براعة استهلال (حسن المطلع)؛ لأنها تناسب الطلب الأمل، وكإجابة على (السام عليكم)، فذكرت تشبهاً بالجواب والتقدير (هو الرد).

ونظيره ما ورد عن رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب ودخل عليهم: فقال (السلام عليكم) قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته: قَالَ (كيف أصبحتم ؟) قالوا بخير. نحمد الله. فكيف أصبحت ؟ بأبينا وأمنا يا رسول الله: قَالَ (أصبحت بخير. أحمد الله) ⁽³⁾

حسن ابتداء (براعة استهلال)، في قوله ﷺ: (السلام عليكم) فالاستهلال بارع ولا ابتداء

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 61، 53/1: رقم الحديث 6071.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ رد السلام على أهل الذمة، 1219/2: رقم الحديث 3698.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الرجل يقال له كيف أصبحت، 1222/2: رقم الحديث 3711.

حسن يضاهي أبو يوازي ذكر السلام وهو اسم من أسماء الله -تعالى- فلا يوازي أمراً أو شيئاً مثل السلام عليكم فهي تمنح الراحة والسعادة القلبية وهي مفتاح الخير وكلمة المرور التي تعبر القلوب وتتلج الصدور تعالج النفوس وأما الخبر في الحديث فهو خبري مفاده ودلالته الرضا بالقليل والرضا بما قسم الله وإشارة إلى ترطيب الألسنة بذكر الله -تعالى-.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوَلاً، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»⁽¹⁾

فيه براعة استهلال حيث قال (السيد الله ...)، فالله السيد، وسيد على الكون وساد الخلق والخالق، وله السيادة سبحانه، ومن الالاف أن هذه البراعة الاستهلالية في كلمة (السيد) فيها تعريف، والتعريف للتخصيص، والتخصيص فيها لمحّة تعظيميّة للمخصّص، فالله سيّد وعظيم، ومن الجميل ذكره أن الكلمة فيها إيجاز بالحذف، إذ إنّ المراد -هنا- السيد هو الله -تبارك وتعالى-. وبالتالي فكان التعبير ليس مجرد جملة خبرية تتألف من مبتدأ وخبر، وإنما اجتازت الحدود النحويّة إلى الأطر البديعيّة واللمسات البيانيّة والأسرار البلاغيّة.

ونظيره ما ورد عَنْ يَزِيدَ يَغْنِي ابْنَ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (الأرواح جنود)، وقد جاءت البراعة وحسن الابتداء في هذا الحديث النبوي الشريف كلفت انتباه ومنح متانة في مطلع التعبير وجزالة في اللفظ وقال الخطابي: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَنَّ الْخَيْرَ مِنَ النَّاسِ يَحْنُ إِلَى شَكْلِهِ، وَالشَّرِّ يُرَى نَظِيرُ ذَلِكَ، فَتَعَارَفُ الْأَرْوَاحُ يَقَعُ بِحَسَبِ الطَّبَاعِ الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَوْلُهُ: "جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ" أَي: أَجْنَاسٌ مُجَنَّدَةٌ.⁽³⁾

وعليه يكون هذا الافتتاح التعبيري مليء بالتشويق لمعرفة كل الكلام الموجود في الحديث.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية التماذج، 254/4: رقم الحديث 4806.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 260/4: رقم الحديث 4834.

(3) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، 3/8.

ونظيره ما ورد عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الْغَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ»⁽¹⁾.

براعة استهلال، وذلك في قوله ﷺ: (الغادر يرفع له)، فجاءت كلمة (الغادر)، ملفقة ومؤثرة على النفس. وجاء اللفظ -هنا- حاملاً مدَّ الألف الموجود في المشتق التصريفي اسم الفاعل، فيعكس مدى الغدر الطويل الذي صحب هذا الغادر، ذلك أن من يغدر غدره واحدة يحب غيرها، ولعل ذلك إشارة إلى أن الغادر هو الذي أكثر من الغدر حتى يُرفع لواء وتوضع تحت (إسته) هذه الراية؛ ليفتضح يوم القيامة، ويقال هذه غدره فلان، لذا قال -عليه السلام- في حديث آخر "ألا ولا أعظم غدرا من أمير عامة"، أو كما قال -عليه الصلاة والسلام، فكان التعبير أقوى وأكثر إثارة مما لو قيل: من يغدر أو الذي يغدر.

ونظيره ما ورد عن أيوب عن محمد قَالَ سمعت أبا هريرة يقول قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)⁽²⁾

براعة استهلال، فلم يقل تتسموا بتائين -حرفي تاء؛ بل بواحدة؛ وذلك تخفيفاً وحسن ابتداء؛ ويتسائل الباحث -هنا- عن الموقف النبوي في عدم السماح بالكنية، وما سر ذلك؟ وما الدلالة النابعة؟.

إن التسمية هي تسمية ربانية ذكرت عند الله -تعالى- وذكر اسم (أحمد) في القرآن الكريم، فمن حسن الأدب النبوي هذا التراضي، وهذا الموافقة تواضعا منه ﷺ بينما الكنية هي سمة أطلقها النبي على نفسه، فحتى لا يكون هناك مشاركة في الموقف النبوي ولا يشعر الإنسان بهذا الغرور، وأنه أطلق على نفسه كنية خاصة بالنبوي ﷺ ولعل دليل ذلك هو مناسبة الحديث نفسه، إذ إن أحدا من الصحابة نادى (أبا القاسم)، فنظر النبي حوله، فقال الصحابي: إني لم أعنك.

ونظيره ما ورد عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟) قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ. فَأَذْكَرْتَهُ: فَقَالَ (الحمد لله رب العالمين. وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)⁽³⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 99 ما يدعى الناس بأبائهم، 53/1: رقم الحديث 6177.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الجمع بين اسمه -عليه السلام- وكنيته، 1231/2: رقم الحديث 3735.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1244/2: رقم الحديث 3785.

في قوله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين)، فالبراعة الافتتاحية تتمثل في ذكر اسم الله -تعالى- ومن أسمائه الحمد، وهو اسم ذو صفة لصيقة به -جلّ في علاه- ثم قال بعد الحمد (الله)، ثم (رب)، فكانت الكلمات الثلاثة كفيلة بهذا التعظيم، وهذا الافتتاح الجميل، فالحمد -فقط- لله، وكلمة الله أعظم اسم في الوجود؛ بل إنّ علماء الأصوات اللغوية وجدوا أن لفظ الكريم (الله) هو الاسم الوحيد والأوحد من بين أسماء اللغة العربية ذات الحيوية والكثرة الكاثرة، والمكتظة بالمفردات والاشتقاقات والأسماء أنّ هذا الاسم -أي لفظ الكريم (الله)- مركب من مقطع صوتي واحد فقط لا غير، ولو نطق هذا الاسم لنطق تالياً: (قل هو الله أحد) .

ونظيره ما ورد عن النبي ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم)، فجاءت الجملة إسمية مكونة من مبتدأ وخبر، وهي جملة خبرية؛ ولكنها من ناحية بلاغية نراها بديعية معنوية، أعطت انطبعا جميلا ولقطة بلاغية، جمالية ظهرت في حسن المطلع وحسن الابتداء .

ونظيره ما ورد عن عُيَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ -تعالى- لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (ما من ذنب)، فهو أجود وأبلغ مما لو قيل: (لا يوجد ذنب أعظم). وقد استخدم كلمة (أجدر)، فهي اسم تفضيل وهي على وزن (أفعل)، فالمبالغة والأثر النفسي واضح وبيّن، ثم إنّ انتقاء كلمة (أجدر) أبلغ في الرسالة من كلمة (أعظم)، وقد استخدم كلمة (قطيعة) وهي على وزن (فعيلة)، ففيها مبالغة؛ لأنها من صيغ المبالغة، فلم يقل: (قطع الرسم)؛ بل قال: (قطيعة)، ثم إنّ جود ياء فعيلة جاءت لتشعر بالاستطالة والاستمارة والديمومة؛ فهي تستغرق من الوقت الكثير مما لو قيل: (قطع)، وبالتالي قد يتكاسل المسلم في صلة الرحم أو يتأخر لظروف حياته دون الاستمرار في الزيارة وصلة الأرحام، ثم لا يلبث فيعود تارة أخرى بعد أن سمحت له الأمور؛ ولكن في كلمة قطيعة كأنه اعتاد ثم اعتاد على قطع الأرحام فتجده قد بتر العلاقات والزيادات.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ المؤاخاة، 273/4: رقم الحديث 4893.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ النهي عن البغي، 276/4: رقم الحديث 4902.

ونظيره ما ورد عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْخَالِفَةُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (ألا أخبركم)، حيث جاءت البراعة الافتتاحية والابتداء الحسن والاستهلال اللَّافِتِ بطريقة الاستفهام المجازي، والمتمثل في الهمزة مع (لا)، فقد أعطت هذه الجملة اللفظ الانتباهي، وفي قوله: " (بلى) إنما قدم لهم الاستفهام، ليكون ما يذكره أوقع في قلوبهم ويتشوقون إلى ما بعده، ويطلبونه الإخبار، فيكونون أشد إصغاءً إليه"⁽²⁾ . وكأن الحديث ينشطر إلى شطرين في كل شطر منهما جملة افتتاحية ذات براعة وجمال.

ونظيره ما ورد قال سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (أفضل الذكر لا إله إلا الله. وأفضل الدعاء الحمد لله)⁽³⁾

في قوله ﷺ: (أفضل الذكر)، وهنا نجد تداخلا بين براعة الاستهلال (حسن المطلع) وصيغ التفضيل في الأساليب اللغوية، فالذي جعل في الحديث براعة استهلال وحسن مطلع وحسن ابتداء هو هذه الصيغة اللغوية الاشتقاقية التي أعطت دلالة بلاغية -أيضا- تقيد المبالغة، ومن ناحية أخرى تعمل على إغراء وشحن همم كل من يقصر أو يتكاسل، وقد دم الذكر على الدعاء؛ لأنَّ الذكر أعم وأشمل، ولأنَّ الذكر هو الأصل وبه يحيا الإنسان، وبدونه يموت ولا قيمه له في إنسانيته ولا في الشريعة إلا بذكر الله -جل في علاه.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي قَابُوسَ، مَوْلَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يَبْلُغُ بِهِ ونظيره ما ورد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)⁽⁴⁾ .

في قوله (كلمتان خفيفتان)، فكانتا نعم الابتداء بهذا التحفيز والإغراء وتطبيق الجانب التربوي. ويقول محمد عبد الباقي: (كلمتان خفيفتان) المراد الكلمة اللغوية أو العرفية لا النحوية.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إصلاح ذات البين، 280/4: رقم الحديث 4919.

(2) التَّحْبِيرُ لِإِصْحَاحِ مَعَانِي النَّاسِ، محمد الحسني الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير، تحقيق وتعليق: مُحَمَّدٌ صُبْحِي بن حَسَنٍ خَلَّاق أبو مصعب، 675/6.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 1249/2: رقم الحديث 3800.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3806.

وخفتها سهولتهما على اللسان. لقلة حروفها وحسن نظمهما. و(ثقيلتان) ثقلهما في الميزان لعظم لفظهما قدرا عند الله، و(سبحان الله) معناها تنزيهه عن كل مالا يليق بجنابه العلي وهو مصدر لفعل مقدر أي أسبح الله تسبيحا". (1) . ثم يتبع قائلا: " (وبحمده) الواو للحال. بتقدير وأنا متلبس بحمده. وقيل للعطف. أي أنزهه وأتلبس بحمده" (2)

من هنا نستشف أن الحديث من أو إلى أخره اتسم بالجمال البلاغي لأنه جمع بين الإيجاز بالحذف مع حسن الاختيار للألفاظ مع حسن الابتداء في الحديث مع توظيف بعض المصطلحات التي تتم على قدرة وعظمة الله كما في كلمة (سبحان) وي مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح هي للتعجب سماعيا ليس على الوزن القياسي المعروف.

ونظيره ما ورد عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَوْ قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِأَبِي مَسْعُودٍ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فِي «زَعَمُوا؟» قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بُنُسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا: حَذِيقُهُ " (3)

في قوله ﷺ: (بنس مطية) ولقد جاءت هذه الكلمة عبر أسلوب التحذير مخلفة دلالة بلاغية متمثلة في فيه براعة استهلال (حسن المطلع)، وكذلك فيها من الأثر النفسي وفيها وقع على الأذن البشرية، فتجد الشدة في الباء الشفوية، وتجد الانفجارية في الهمزة كما تصفها أحكام التلاوة والتجويد، وفيها السين المهموسة، فكانت الدلالة قوية وفخمة وجزلة ومؤثرة

ونظيره ما ورد عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَأَوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِي» (4)

في قوله ﷺ: (الحمد لله) إذ إن كلمة الحمد لا تطلق إلا لله _تعالى، وأعظم شيء أن تحمد الله على كل شيء كيف ولا وهي الكلمة الأولى في الفاتحة؛ بل القرآن الكريم.

ومثله ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ «مَنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى» قَالَ ابْنُ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَأَجْلَسَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ

(1) شرح محمد فؤاد عبد الباقي من كتاب سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله القزويني، 1251/2.

(2) المصدر نفسه.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ قول الرجل زعموا، 294/4: رقم الحديث 4972.

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 312/4: رقم الحديث 5053.

الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهذه أول آية في القرآن الكريم وهي حسنة الابتداء والأداء، ولافتة النظر وبُدئت بالرحم.

ومثله ما ورد عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا عَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غَلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ أَخَذْتَ بُرْدَ غَلَامِكَ إِلَى بُرْدِكَ فَكَأَنْتَ حُلَّةً وَكَسَوْتَهُ ثَوْبًا غَيْرَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ، مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَكْسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعْنِهِ»⁽²⁾

براعة استهلال، وذلك في قوله ﷺ: (إخوانكم)، فجاء الخبر سريعاً وحذف المبتدأ لمنع عنصر التشويق، وإظهار الأخوة والتأكيد على ترسيخها.

ثالثاً - الخلاصة:

- امتلأت أحاديث الأدب والآداب ببراعة الاستهلال وحسن الابتداء، وهذا دلالة على أن نبي الرحمة -عليه السلام- والذي جاء بالقرآن وقد مدحه الرحمن -سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، فكان حسن الابتداء، ثم إن هذه البراعة الاستهلالية، كنوع من التأكيد على أدبه الرفيع وخلقه الحميد ﷺ .

- ومن ناحية بلاغية؛ فإنه خلف وراءه جمالا بلاغيا وتركيبا بلاغيا قويا، فلم تكتف الجمل بإنشاءات وأخبار وتقديم وتأخير ونداء وغير ذلك دون إشارات بلاغية .

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كيف يكتب إلى النمي، 335/4: رقم الحديث 5136.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حق المملوك، 340/4: رقم الحديث 5158.

(3) [القلم:4].

المطلب الخامس:

الاحتباك.

في اللغة:

الإحتباك ⁽¹⁾ من الحبك ومعناه، (الشّد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب) ⁽²⁾، وجاء في اللسان: (الحبك الشّد، واحتبك بإزاره: احتبى به وشده إلى يديه، والحبكة أن ترخي من أثناء حوزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان، وقيل: الحبكة: الحجة بعينها، ومنها أخذ الاحتباك بالباء وهو شّد الإزار) ⁽³⁾.

ومما جاء بهذا المعنى ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - إنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة، أي تشد الإزار وتحكمه ⁽⁴⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

وهو أن يُحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل. لذا سمي بحذف المقابل.

ومأخذ هذه التسمية من الحَبْك، وهو الشّد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فَحَبْكُ الثوب هو سَدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشده وإحكامه إحكامًا يمنع عنه الخَلَل، مع الحُسْن والرونق. ⁽⁵⁾

وقال الامام الجرجاني: "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله: علفتها تبنا وماء باردا

أي سقيتها ماء باردا، كقوله تعالى: "فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة والمراد " وفئة أخرى كافرة" فحذف كلمة "فئة" الثانية.

(1) الاحتباك في القرآن الكريم-دراسة بلاغية -عدنان عبد السلام أسعد، رسالة ماجستير، إشراف، أ.م.د. أحمد فتحي رمضان، ص76.

(2) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، 3/ 297، مادة حبك.

(3) لسان العرب، ابن منظور، 10/407، مادة حبك .

(4) الصحاح، الجوهري: 4/1578، مادة حبك .

(5) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص506.

ومثله ما ورد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾

فيه احتباك بديعي، في قوله ﷺ: (لا يظلمه ولا يسلمه)، فكلاهما نفيان متجاوزان. مما أعطى جرساً موسيقياً بديعياً وجميلاً. فجاءت اللفظة الأولى منفية في قوله (لا يظلمه) والثانية منفية كذلك في قوله (لا يسلمه) فاجتمعت كلمتان متجورتان متناسقتان في الوزن والأسلوب مما منح الاحتباك.

عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَغْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِالنَّارِ»⁽²⁾.

فيه احتباك، في الحديث كاملاً فانطلق وتوسط وأقل حديثه ﷺ بنهي ثلاث مرّات، والمقصود لا تلاعنوا بلعن الله ولا تغضبوا بغضب الله، ولا تلاعنوا بالنار، فحذفت كلمة (تغضبوا) و(تلاعنوا) ليجتمع في الكلام ثلاث متقابلات ويحدث الاحتباك. وقد خلف هذا الاحتباك البديعي نوعاً من التوجيه والتحذير النبوي، كما منح جمالاً في الأسلوب، وجزالة في التعبير.

ثالثاً - الخلاصة:

منح هذا الفن - أي الاحتباك البديعي - ترابطاً قوياً، وعلاقة وطيدة بين أجزاء وأطراف الحديث الواحد.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ المؤاخاة، 274/4: رقم الحديث 4893.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ اللعن، 277/4: رقم الحديث 4906.

المطلب السادس

الإبداع

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

الإبداع أن يشتمل الكلام على عدّة ضروبٍ من البديع. بمعنى يتعدد في الكلام مجموعة من الألوان البيانية أو المحسنات البديعية بحيث تعطى جمالا بلاغيا واضحا.

ومن أمثله قول الله عزّ وجلّ في سورة ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾.

وذكر ابن أبي الإصبع أنّ في هذه الآية قرابةً عشرين ضرباً من ضروب البديع، فذكر منها: الطباق، وحسن النسق، وحسن التعليل، وصحة التقسيم، والتسهم "الإرصاد"، والإرداف. وذكر الإيجاز، والمجاز، والاستعارة، إلى غير ذلك.⁽²⁾

ومثله ما ورد عن رسول الله ﷺ: « مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُتْنِ بِهِ، فَمَنْ أُتْنِيَ بِهِ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ » قال أبو داود: رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي ثَوْبٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: « وَهُوَ شُرَحْبِيلُ يَعْنِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي كَانَتْهُمْ كَرَاهُوهُ فَلَمْ يُسَمُّوهُ »⁽³⁾

فيه إبداع، حيث يتعدد فنون البديع في الحديث الواحد، وقد وجدنا -هنا- تآلف الألفاظ والسجع وفيه مقابلة، بين فَمَنْ أُتْنِيَ بِهِ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ وجناس اشتقاق بين أُعْطِيَ عَطَاءً. وفيه كناية عن صفة في قوله فقد كفره، وفيه سجع في قوله " شَكَرَهُ - كَتَمَهُ - كَفَرَهُ. وفيه تكرار بلاغي من خلال الفعل والمفعول المطلق أُعْطِيَ عَطَاءً، وتكرار أسلوب الشرط في قوله: مَنْ أُعْطِيَ فَقَدْ... فَمَنْ أُتْنِيَ بِهِ، فَقَدْ... وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ.

ثالثاً- وقفة تأملية: الاستنتاجات والدلالات:

- قل ذكره لأن المقاصد المرجوة من وراء الأحاديث النبوية هي التبليغ والإنذار والحث وليس للتفنن البلاغي فقط.

- يمنح هذا الفن جمالا بلاغيا راقيا في الحديث النبوي الشريف

(1) [هود:44].

(2) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص827

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ شكر المعروف، 255/4: رقم الحديث 4813.

المطلب السابع الإرصاد اللفظي (التسهيم)

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
الإرصاد في اللغة:

قال الخليل ابن أحمد في معجمه (لسان العرب): "رصد: الراصد بالشيء الراقب له رصده بالخير وغيره يرصده رصداً، ورصداً يرقبه ورصده بالمكافأة كذلك، والترصد الترقب، والإرصاد.⁽¹⁾

المفهوم الاصطلاحي:

قال القزويني في كتابه (الإيضاح): "ومنه الإرصاد ويسمى (التسهيم) و(التوشيح) - أيضاً- وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي⁽²⁾.
وقول زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم⁽³⁾
وقد عرف في المثل السائر: "هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين فإن وقف على القافية الأولى كان شعراً وإن وقف على القافية الثانية كان شعراً".⁽⁴⁾
وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽⁵⁾ وكقوله جلّ شأنه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁽⁶⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن وهب بن حذيفة: أن رسول الله ﷺ قال الرجل أحق بمجلسه وإن خرج لحاجته ثم عاد فهو أحق

(1) لسان العرب: مادة رصد (177/3) .

(2) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص326.

(3) ديوان زهير بن أبي سلمى، فاعور، ص34.

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، ص216.

(5) العنكبوت:40

(6) الأنبياء:23

بمجلسه⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فهو أحق بمجلسه)، فقد بدأ الحديث الرجل أحق بمجلسه، وختم بقوله (فهو أحق بمجلسه)، فهو يشبه التصدير بَيِّدَ أنه كان فيه تنبؤ عن الإجابة في نهاية الحديث، وقوله ﷺ: (وإن خرج) فالواو -هنا- جاءت للتأكيد على أحقية صاحب المجلس والمكان وكذلك للتوضيح. وبالتالي؛ فإن الأدب النبوي ظاهر ولا غبار عليه؛ فهو يحترم صاحب المكان وفيه تقدير -أيضاً- للكبير.

ومثله ما ورد عن سعيد عن عبيد الله بن الأحنس عن الوليد ابن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد)⁽²⁾

فيه إرصاد لفظي، وذلك في ذكر وتكرار كلمة اقتبس، ومن الأغراض التي خلفها هذا الفن البديعي (الإرصاد اللفظي) هو الزجر والردع والتحذير من هذه الآفة، كما يمنح ميزة جماليةً بديعةً وجميلةً، تتمثل في التوقع والتنبؤ والاستشراف، وتوقع الإجابة. كما في قوله تعالى -﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽³⁾.

ومثله ما ورد عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ: رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: «شيطان يتبع شيطانة»⁽⁴⁾

فيه إرصاد لفظي، كلمتي (شيطان) و(شيطانة)، ومن الأغراض التي خلفها هذا الفن البديعي (الإرصاد اللفظي)، هو الزجر والردع والتحذير من هذه الآفة وقيل في شرح هذا الحديث: "إنما سمأه شيطاناً لمباعدة عن الحق واشتغاله بما لا يعنيه، وسمأها شيطانة لأنها أورتته الغفلة عن ذكر الله"⁽⁵⁾ وقد كان الإرصاد اللفظي هنا من أجل توصيل رسالة خطيرة

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع إليه، 89/5: رقم الحديث 2751.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ تعلم النجوم، 1228/2: رقم الحديث 3726.

(3) [النحل:118]

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعب بالحمام، 285/4: رقم الحديث 4940.

(5) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، 302/36.

لكل مسلم يتبع هذا النحو والاتجاه.

ومثله ما ورد عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (أحب) و(يحب)، وكما هو ملحوظ فإن صدر الحديث، جاء الفعل فيه ماضياً (أحب)، وختم الحديث في عجزه بمضارع (يحب)؛ ليدل على ضرورة استمرارية المحبة وديمومة الود من خلال عبارة (إني أحبك في الله).

ثالثاً - الخلاصة:

- الإِرْصَادُ اللفظيُّ فنُّ جميلٌ، فهو يشبه الجنس التام، ويمثل التصدير؛ لكنَّ الجميلَ فيه وما يميزه عن غيره من الفنون الأخرى هو أن الإِرْصَادَ اللفظي يذكر كلمة في البداية وكلمة متوقعة في النهاية قد يعبر عنها أو يجيب المتلقي بها؛ فكأنَّه إشراك للمتلقين في الإبداع البلاغي.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، 332/4: رقم الحديث 5124.

المطلب الثامن الاستدراك (الرجوع)

أولاً: مفهوم الاستدراك:

في اللغة:

يقول صاحب لسان العرب: (درك) الدَّرْكُ اللِّحَاقُ، وقد أدركه ورجل دَرَّكَ مُدْرِكٌ كثير الإِذْرَاكُ، والدَّرْكُ التَّبِعَةُ يسكن ويحرك يقال: ما لَحِقَكَ من دَرَكٍ فعليَّ خلاصُه والإِذْرَاكُ اللُّحُوقُ يقال: مشيت حتى أَدْرَكْتَهُ واستَدْرَكْتُ ما فات وتداركته. (1)

في الاصطلاح:

وهو على قسمين:

الأول: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد (2)

الثاني : قسم لا يتقدمه الاستدراك وذلك كما يلي:

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عن عَبْدِ اللَّهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَنُتْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ « إِنِّي أَنْذَرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » (3) .

أسلوب استدراك، في قوله ﷺ: (ولكني سأقول)، فالتقرير: (لقد أنذر قوم نوح) والاستدراك: (ولكني سأقول)؛ فقد منح هذا الأسلوب البديعي لفت الانتباه والإقناع بتغيير وجهة النظر وإعمال العقل والتفكير لما هو قادم ومنتظر وتحذير مما هو آت لذا قال ابن العربي: إنذار الأنبياء عليه السلام قومهم بأمر الدجال تحذير من الفتن، وطمانينة لها حتى لا يززعها عن حسن الاعتقاد، وكذلك تقريب النبي ﷺ له زيادة في التحذير، وأشار مع ذلك إلى أنهم إذا

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (درك)، 419/10.

(2) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تقديم وتحقيق: د. حفي محمد شرف، ص 231 و 232.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 97، 53/1: رقم الحديث 6175.

كانوا على الإيمان ثابتين، دَفَعُوا الشُّبَّةَ باليقين⁽¹⁾ .

وفي قوله: (فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيُّ لِقَوْمِهِ) قيل: إن السرَّ في اختصاص النبي ﷺ بالتنبيه المذكور، مع أنه أوضح الأدلة في تكذيب الدجال، أن الدجال إنما يخرج في أمته، دون غيرها ممن تقدم من الأمم⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ: أَتَى ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ هَذَا فُلَانٌ تَقَطَّرَ لِحْيَتُهُ حَمْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ؛ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ»⁽³⁾

فيه استدراك لفظي بديعي، في قوله ﷺ: (ولكن إن يظهر...)، فكأنه استثناء لما قيل قبل لكن، لأنه كان قد نهى الرسول عن التجسس، إلّا أنه بعد ذلك أجاز إن حصل المسلم على معلومات يأخذها.

ثالثاً - الخلاصة:

- إن تجرّد أسلوب الاستدراك من مزية البلاغة البديعية؛ فإننا لا نرى سوى أسلوباً نحويّاً يسمى الاستدراك بتوظيف كلمة (لكن)، بيّذ أن البلاغة البديعية لها محلٌّ من الإعراب إذا ما قيل: إن أحاديث الأدب سابقة الذكر تحمل دلالات بلاغية تتمحور حول الإفهام والإقناع وتوضيح سبل الهداية.

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 16/ 582، "كتاب الفتن" رقم (7127) .

(2) بحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي 525/44.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ النهي عن التجسس، 1/ 53: رقم الحديث 4890.

المطلب التاسع

التقويف

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

اشتقاق التقويف من الثوب الذي فيه خطوط بيض، وأصل الفوف: البياض الذي في أظفار الأحداث، والحبّة البيضاء في النواة، وهي التي تنبت منها النخلة، والفوفة القشرة البيضاء التي تكون على النواة، والفوف: الشيء، والفوف: قطع القطن، وبرد مفوف: أي رقيق. (1)

المفهوم الاصطلاحي:

والتقويف هو: عبارة عن إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل، أو غير ذلك من الفنون والأغراض، كل فن في جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتجميع غالباً، مع تساوي الجمل المركبة في الوزن، ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة. (2)، فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة، قول النابغة الذبياني طويل (3):

فَلله عِيناً مَنْ رَأَى أَهْلَ قَبْةٍ أَضْرَ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعَا
وَأَعْظَمَ أَحْلَاماً وَأَكْبَرَ سَيْداً وَأَفْضَلَ مَشْفُوعاً إِلَيْهِ وَشَافِعَا

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَكُمْ الشَّيْطَانُ» (4)

التقويف: هو فن بديعي حيث جاء الكلام النبوي بمعان متلائمة ومستوية المقادير، فالأولى والثانية جاءتا معرفة (بأل)، والتقدير: (هو الله تعالى) - ثم جاءت الثالثة والرابعة نكرتان والمتمثلتان في كلمتي (تبارك وتعالى) بصيغة وبميزان صرفي موحد ومتفق وهو (وزن) (تفاعل)، وبالتالي فإن الحديث جاء بكلمتين معرفتين ثم كلمتين نكرتين مما أحدث التقويف. وقد

(1) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع، ص260.

(2) المصدر نفسه.

(3) ديوان النابغة الذبياني، النابغة الذبياني، بحر الطويل، ص271.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية التماذج، 254/4: رقم الحديث 4806.

أحال الحديث الثناء والمدح إلى الله تعالى.

ومثله ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ بمئى « أَتَذُرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا ». قالوا الله ورسوله أعلم. قال « فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَذُرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا ». قالوا الله ورسوله أعلم. قال « أَتَذُرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هَذَا ». قالوا الله ورسوله أعلم. قال « شَهْرٌ حَرَامٌ ». قال « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا »⁽¹⁾

فيه تفوييف، وذلك في قوله ﷺ: (كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)، وقد منح هذا الفن البديعي المتمثل في (التفوييف)، نوعاً من الجمال الموسيقي والتلائم الجملي والضبط التركيبي، كما أعطى غرضاً بلاغياً مفاده الحث والإغراء.

ومثله ما ورد عن منصور، عن الشَّعْبِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»⁽²⁾

فيه تفوييف، وذلك في قوله ﷺ: (أضل أو أضل)، وكذلك في (أزل أو أزل) وكذلك في (أظلم أو أظلم)، فجاء الطباقات متتاليات متجانسات، ومستويات المقادير وملائمات.

ثالثاً - الخلاصة:

- كثيراً ما يركز فنُّ التفوييف على ترتيب وتهذيب التركيب الجملي والسياق الداخلي للحديث النبوي، وعليه تتساوى المقادير اللفظية والمفردات المتاحة في الجملة الحديثية.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 43، 53/1: رقم الحديث 6043.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا خرج من بيته، 325/4: رقم الحديث 5094.

المطلب العاشر

المقابلة

أولاً- التعريف اصطلاحاً:

عرّف القزويني المقابلة قائلاً: "هي أن تأتي بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب ⁽¹⁾، وأضاف قائلاً: "والمراد بالتوافق خلاف التقابل وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به ومثال مقابلة اثنين باثنين ⁽²⁾، قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ ⁽³⁾.

وعرفت بأنها: تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت -هنا- شرطاً شرطت هناك ضده كقوله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانتقاء والتصديق جعل ضده، وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك، وهي المنع والاستغناء والتكذيب. ⁽⁴⁾.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

أقسام المقابلة:

1- مقابلة اثنين باثنين:

وهي التي تكون بين اثنين واثنين، وبالتالي يكون فيها تضاد بين الجمل بشكل مباشر، ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. ⁽⁵⁾

ومثله ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّجْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ. وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَهُوَ لَكَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَأَقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص322.

(2) المرجع السابق، ص322.

(3) التوبة: 82.

(4) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد، السكاكي، ص184

(5) الأعراف: 157.

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ). (1)

فيه مقابلة، بين (أصل من وصلك) و(أقطع من قطعك)، حيث جاءت المقابلة لتوضيح بعض الأمور الدلالية والمهمة حيث قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم، وإنما هي قرابة ونسب، يجمعه رحم والده ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رَحْمًا. (2) ثم أتبع قائلًا: "والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها بالعرش ضرب مثل وحسن استعارة، والوصل من الله - تعالى - كناية عن عظيم إحسانه، والقطع منه كناية عن حرمان الإحسان" (3). فكانت المقابلة لتوضيح أهمية صلة الرحم فجسدها وشخصها لمعرفة أهمية الأمر، وكناية عن ضرورة صلة الأرحام وعدم قطعها.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (4)

فيه مقابلة لفظية بين (الأمر بالمعروف) و(النهي عن المنكر)، وهي بين اثنين واثنين، ووقعت هاتين الجملتين كجملتين خبريتين تناسقتين متجاورتين مكون بهما الطرفين الأساسيان المبتدأ والخبر.

ومثله ما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِغَلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ» (5)

مقابلة، في قوله ﷺ: (مؤمن تقي) و(فاجر شقي)، حيث جاءت المقابلة للتوضيح بين أصناف متضادة، ليطم التوضيح والبيان والإنصاف، لذا قيل: "فإما أن تدع أخلاق الجاهلية وإما أن تكون عند الله أهون وأحق من تلك الحشرات التي تدفع النتن بأنفها، فتكون هذه الحشرات

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 13 من وصل وصله الله، 53/1: رقم الحديث 5987.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 22/22.

(3) المصدر نفسه.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الجلوس في الطرقات، 256/4: رقم الحديث 4815.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التفاضر بالأحساب، 331/4: رقم الحديث 5116.

أكرم على الله عز وجل منك أيها العاصي والمنافق والكافر والمعاند لربك". (1)

ومثله ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا الرياح. فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب.؛ ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها) (2)

فيه مقابلة، بين (سلوا الله من خيرها) و(تعوذوا بالله من شرها)، حيث جاءت المقابلة تاركة وراءها نوعاً من التوضيح والتبسيط وتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، وأنه يزيد على الطباق في لفت الانتباه، فالطباق بين مفردتين أم المقابلة فيبين تركيبين أو صورتين، قد تغطي أجزاء الحديث كله فتكون الصورة أكثر وضوحاً وأدق تصويراً.

ومثله ما ورد عن يزيد يَغْنِي ابْنُ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (3)

وذلك بين (ما تعارف ائتلف) (ما تناكر...اختلف)، فلو تمَّ التركيز على مطلع الحديث سنجد أن الجملة خبرية تتألف من مبتدأ وخبر؛ ولكن لم يأت هذا الخبر مجرداً من دلائل، فقد لوحظ فيه براعة استهلال (حسن المطلع). وحسن الابتداء في مطلع الحديث.

2- مقابلة ثلاثة بثلاثة:

ومثله ما ورد عن يحيى بن سليمان عن زيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قَالَ (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه. وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه) (4)

وذلك بين بيت من المسلمين فيه إحسان اليتيم وبين بيت آخر فيه إساءة لليتيم، فقد فرَّق النبي ﷺ وعقد مقارنة بين صنفين لا يلتقيان بين الصنف الأول ونتيجته الخيرية والصنف الآخر ونتيجته الإساءة المذمومة.

(1) فوائد من خطبة الوداع، أبو الأشبال حسن الزهيري المصري، 6/2.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ النهي عن سب الرياح، 1228/2: رقم الحديث 3727.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 260/4: رقم الحديث 4834.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ حق اليتيم، 1213/2: رقم الحديث 3679.

ومثله ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه حدثنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري عن أبي نضرة عن الطفاوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه بمعناه⁽¹⁾ فيه مقابلة بين (طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه) وبين (طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه) فجاءت فيه مقابلة، لغرض بلاغي ودلالي، وهو أن الرجل يجوز له ما لا يجوز للمرأة وأن المرأة يجوز لها ما لا يجوز للرجل وبالتالي فليقف كل ابن انثى عند حدوده وعند أوامر ونواهي الإسلام.

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في طيب الرجال والنساء، 107/5: رقم الحديث 2787.

المطلب الحادي عشر

النزاهة

أولاً- التعريف اصطلاحاً:-

وهو يختص غالباً بفن الهجاء، وهو خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش، وإن وقع نادراً في غيره، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش. ⁽¹⁾ وقد وقع من النزاهة في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ⁽²⁾ "فإن ألفاظ الذم للمخبر عنهم في هذه الآية أنت منزهة، عما يقع في غير هذا القسم من الهجاء واتفق في هذه الآية من النزاهة صحة الأقسام. ⁽³⁾

ثانياً: الأغراض البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال كان ابنُ لأبي طلحة يشتكى فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال ما فعل ابني قالت أم سليم هو أسكن مما كان. فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت واروا الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال "أعرستم الليلة". قال نعم قال "اللهم بارك لهما" فولدت غلاماً فقال لي أبو طلحة أحمله حتى تأتي به النبي ﷺ. فأتى به النبي ﷺ وبعتت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال "أمعه شيء". قالوا نعم تمرات. فأخذه النبي ﷺ فمضعها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله ⁽⁴⁾.

حيث جاءت النزاهة في قوله ﷺ لفظة (عرستم) المشتقة من عرس والتي تعني أتزوجتم أو تجامعتم، ففيها من النزاهة البديعية بمكان، وفيها من الأدب النبوي الرفيع، وقد وجد الباحث في هذا السؤال وهذا الاستفهام الإيجاز في التعبير؛ لأن قبل هذا الموقف يتطلب الإنسان أن لا

(1) انظر: تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع، تقديم وتحقيق: الدكتور حنفي شرف، ص584.

(2) [النور: 48-50].

(3) انظر: تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع، تقديم وتحقيق: الدكتور حنفي شرف، ص584.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، 6/174: رقم الحديث 5737.

يكثر من الأسئلة الخاصة بالزوجية، وبالتالي يفهم من هذا السياق أمران وهما: الإيجاز في السؤال، والثاني: جواز الاطمئنان على الزوجين والدعاء لهما إذ دعا ﷺ بقوله لهما (اللهم بارك لهما)، كما أن كلمة (بارك) فيه من الشمول، ففيها الخير وفيها البركة وفيها الحب وفيها الأمن وفيها الدعاء بأن يرزقهما الذرية الصالحة.

ومثله ما ورد عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَأَخْرِجُوا فُلَانًا وَفُلَانًا»⁽¹⁾ - يَعْنِي الْمُخَنَّثِينَ.

فيه نزاهة بديعية وهذه هي الوجهة البلاغية لهذا التركيب النحوي، في قوله ﷺ: (وأخرجوا فلانا وفلانا)، الذي يعد جملة تكرارية وجملة فعلية. وقد استخدم النزاهة البديعية عبر الكناية البلاغية فهي كناية عن موصوف المقصود المخنثون. وكما قال أحد الشارحين: "المخنث من الرجال هو الذي يتشبه بالنساء؛ لأن هذا من كسبه وفعله، وأما إذا كان ليس من كسبه فهذا لا يلعن؛ لأنه غير مؤاخذ على ما جبل عليه وعلى ما طبع عليه، والإنسان إنما يلعن على فعله وعلى اختياره، ويؤاخذ على ما يحصل منه، فما كان من صفاته وليس من أفعاله فهذا لا يلعن".⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ»⁽³⁾

النزاهة، في قوله ﷺ: (فافعل ما شئت) فبالرغم من وجود لفظ (إن لم تستح) وهي صفة مذمومة للإنسان علق ﷺ في جواب الشرط بفعل ما يريد فلم يقل كلمة فيها هجاء مقذع أو ذم شديد؛ بل اكتفى بـ(افعل ما شئت).

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ العلم، 53/1: رقم الحديث 234.

(2) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد البدر، دروس صوتية، 28/560.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ المتشعب بما لم يعط، 299/4: رقم الحديث 4797.

المطلب الثاني عشر

حسن النسق

أولاً التعريف في اللغة والاصطلاح:

التعريف اللغوي:

"نسق: ما كان على نظام واحد من كل شيء، والنسق اللفظي: الترتيب النحوي للكلمات في الجملة أو العبارة، وعطف النسق: (النحو والصرف) أحد قسمي العطف وهو العطف بالحروف"⁽¹⁾

التعريف الاصطلاحي:

وهو " من أبواب البلاغة، وهو ما عرّفه ابن أبي الأصبع بقوله: "حسن النسق من محاسن الكلام وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسنات لا معيباً ولا مستهجنات". ومن شواهد ذلك قول الله تعالى في حق سفينة نوح عليه السلام: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾⁽²⁾ فهذه الجمل في الآية الكريمة جاءت معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بُدُّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضُّ النَّبْصِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»⁽³⁾.

فيه حسن النسق، بين جملتي (غض البصر) و(كف الأذى).

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ

(1) لسان العرب، مادة نسق.

(2) هود: 44

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الجلوس في الطرقات، 256/4: رقم الحديث 4815.

لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »⁽¹⁾.

فيه حسن النسق، في قوله ﷺ: (وإن لجسدك عليك حقا) وقوله (وإن لعينك عليك حقا) وقوله (وإن لزورك عليك حقا) وقوله (وإن لزوجك عليك حقا)، فجاء التراكيب والجمال الأربعة سابقة الذكر كأنها على وزن واحد، ومنسقة ومرتبطة ومتتاليات ومعطوفات، وليس مجرد جمل إنشائية آمرة مجردة من الجمال البلاغي، كما أن فيها دعوة لتطبيق قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾⁽²⁾ لذا توجب أن تجمع بين حب الدنيا وتفضيل الآخرة، لذا قال صاحب عمدة القاري: "وفيه: أن الأولى في العبادات تقديم الواجبات على المندوبات. وفيه: أن من تكلف الزيادة وتحمل المشقة على ما طبع عليه يقع له الخلل في الغالب، وفيه: الحض على ملازمة العبادة من غير تحمل المشقة المؤدية إلى الترك، لأنه ﷺ مع كراهيته التشديد لعبد الله بن عمرو على نفسه حض على الاقتصاد في العبادة، كأنه قال له: اجمع بين المصلحتين."⁽³⁾

ونظيره ما ورد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ النَّمْرِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ»⁽⁴⁾.

فيه حسن النسق، هو فن بديعي معنوي ويعرف بأنه (كلمات متتاليات معطوفات مرتبطة)، فنلاحظ هذا الأمر في هذا الحديث، حيث جاء التوالي للمؤمن الذي يقرأ. ثم الذي لا يقرأ، ثم الفاجر الذي يقرأ ثم الذي لا يقرأ ثم ختم الحديث بالجليس بنوعيه فلو حظ المعطوفات والارتباطات.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

(2) القصص: 77

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 212/7.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من يؤمر أن يجالس، 259/4: رقم الحديث 4829.

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْذُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا»⁽¹⁾

فيه حسن النسق في الحديث كله فجاءت الكلمات والجمل معطوفات ومرتبطات ومتتاليات في المعنى والمغزى فقال (إياكم والكذب) ثم قال: (فإنَّ الكذب يهدي ...)، ثم قال: (وإنَّ الفجور يخدي ...) ثم قال (وإنَّ الرجل ليكذب ...) ثم تحدث عن الأمر المناظر للكذب وهو الصدق.

ثالثاً - الخلاصة:

- خَلَفَ هذا الفنَّ النسقي في أحاديث الأدب قوةً في التعبير وكذلك منح نظاماً داخلياً للسياق التركيبي؛ فالمتواليات والمعطوفات لا تمنح سوى توضيح الصورة النهائية لمقاصد هذا الحديث.

- وقد تكون فيما بينها تلاحماً سليماً مستحسناً، وأن تكون كلُّ واحدة منها قابلةً لأن تستقلَّ بنفسها لو أُفْرِدَتْ، وهذا هو حسن النسق.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التشديد في الكذب، 297/4: رقم الحديث 4989.

المطلب الثالث عشر

لزوم ما لا يلزم

أولاً- المفهوم الاصطلاحي:

قال التفزازاني: "ومن اللفظي (لزوم ما لا يلزم)، ويقال له الالتزام والتضمين (وهو أن يجيء قبل حرف الروي)، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة لامية أو ميمية.⁽¹⁾ وهذا يعني أن لزوم ما لا يلزم يكون في آخر حرف في البيت الشعري. وهذا يعني أنه فنٌ يلتزم فيه الشاعر أو الناثر قبل الحرف الأخير من أبيات قصيدته ما لا يلزمه، كأن يكون الحرفان الأخيران متماثلين في كلِّ القوافي، أو الثلاثة الأخيرة، أو تكون الكلمات مع ذلك متماثلة الوزن".⁽²⁾ كما قال أبو الطيب:

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِيهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنَ عَنْكَ مُعَيَّبٌ

لِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِيهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنَ عَنْكَ مُعَيَّبٌ

ومن هنا يستشف الباحث أن الشاعر يزيد شرطاً إضافياً عن المعروف والمتمثل بانتهاء الجمل بتقفية واحدة، فهذا الفن لا يكفي بقافية واحدة؛ فلا نقول هذه القصيدة نونية مكسورة مثلاً؛ بل نقول الحروف الثلاثة الأخيرة من كل جملة منهيّة بالحروف المتتالية (مون) مثل: (مسرورون) و(مقرون) و(مجرورون) أو المختومة ب(قيم) مثل: (مقيم) و(عقيم) و(رقيم) وهكذا. وهذا يشبه ما توجه إليه أبو العلاء المعري في لزومياته.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُنَّ بَدَأْتَ. وَلَا تُسَمِّينَ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَنْتُمْ هُوَ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ لَا ». إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ فَلَا تَزِيدَنَّ عَلَى. ⁽³⁾

(1) مختصر المعاني، سعد الدين التفزازاني، ص282.

(2) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني، 532/2.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 305/4: رقم الحديث 5724.

لزوم ما لا يلزم، في قوله ﷺ: (سبحان الله والحمد لله) ويلتقي -هنا- مع بدل التفصيل من الناحية النحوية، أما من وجهته البلاغة فهو فن بديعي متمثل في (لزوم ما لا يلزم). وفيه كذلك اللف والنشر المجمل وقد نعده الإيضاح بعد الإبهام، صورة من صور الإطناب الممدوح، في قوله ﷺ أحب الكلام إلى الله أربع: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

المطلب الرابع عشر

مراعاة النظر

أولاً: لغةً واصطلاحاً

تعريفه⁽¹⁾ : هي الجمع بين أمرين، أو أمورٍ متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وإما بين أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾⁽²⁾

ويُلحَقُ بمراعاة النظر، ما بُني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام، يعني أن يختَمَ الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽³⁾ . فإنَّ اللطيف يناسب عدم إدراكِ الأبصارِ له، والخبير يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

وما بُني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة⁽⁴⁾ ، نحو قوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾⁽⁵⁾

فإنَّ المراد بالنجم -هنا- النبات، فلا يناسب الشمس والقمر ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب؛ وهذا يقال له: إيهام التناسب⁽⁶⁾ .

و منه قول ابن رشيق⁽⁷⁾ :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى	من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويه السيول عن الحيا	عن البحر عن كف الأمير تميم

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسَّماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في العنونة، إذ جعل

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد النويري شهاب الدين، 2 / 299

(2) البقرة: 16

(3) الأنعام: 103.

(4) قواعد الشعر، ثعلب، 1 / 2، وزهر الآداب، الفيرواني، 1 / 405، والأغاني، الأصفهاني، 5 / 169

(5) الرحمن: 5-6

(6) أدب الكتاب، لابن قتيبة، 1 / 21

(7) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي، 1 / ص 212.

الرواية لصاغرٍ عن كابرٍ.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمْ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»⁽¹⁾

مراعاة النظير في الحديث كله، فقد التقى طيَّان ثم نشران متواليان، وقد أتحف هذا الفن الحديث بجمال في الأسلوب وقوة في المعنى ومنح ترابطاً بين أجزاء وأطراف الحديث فهذا نظم بين ألفاظ ومعاني وتراكيب الحديث.

ومثله ما ورد عن حذيفة، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»⁽²⁾

مراعاة النظير، في قوله ﷺ: (وإليه النشور) فيه مراعاة النظير، فتتمثل في أن كلمة (النشور) التي تعني الرجوع والإحياء الأكبر حيث يكون يوم القيامة فجاءت مناظرة لكلمة (بعد أن أماتنا)، وبالتالي كانت مراعاة النظير تتمثل في ذكر كلمة النشور التي تناسب كلمة أماتنا، كما تناسب كلمة المصير كلمة أحيانا.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الحلم وأخلاق النبي -عليه السلام-، 4/247: رقم الحديث 4975.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 4/311: رقم الحديث 5049.

المطلب الخامس عشر

فن المزوجة

أولاً: المزوجة في الاصطلاح-

يقول أبو يعقوب السكاكي في كتاب المفتاح: " ومنه المزوجة، وهي أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ... أصاخ على الواشي فلج به الهجر.

وعليه؛ فإن التركيب النحوي الخالي من الأسرار البلاغية هو ذاك الأسلوب اللغوي المعروف بأسلوب الشرط والمكون من الأطراف الثلاثة المعروفة وهي أداة الشرط وجملة الشرط وجملة الجواب أو الجزاء.

ثانياً: الأغراض البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَأَنْتَى عَلَى عُثْمَانَ فِي وَجْهِهِ، فَأَخَذَ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ثُرَابًا فَحَنَّا فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»⁽¹⁾

المزوجة في قوله ﷺ: (إذا لقيتم المدّاحين فاحثوا...)، وقد جاء بالجمع في كلمة (المدّاحين) حتى لا يعتقد واحد أنه المقصود والتقدير (من الأدب النبوي بمكان، وجاءت كلمة (المدّاحين) كصيغة مبالغة وهي على وزن (الفعالين)، وهي أبلغ تعبيراً وأكثر تأثيراً من كلمة المادحين، فجاءت صيغة المبالغة أقوى من اسم الفاعل. والفاء -هنا- في كلمة (فاحثوا) هي فاء تعقيبية تدل على السرعة ومن -هنا- فإنّ أسلوب الشرط في الحديث فيه دلالة على خطورة الموقف.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»⁽²⁾

مزوجة في قوله ﷺ: (من قعد ... كانت عليه) وكذلك، في قوله ﷺ: (من اضطجع ... كانت عليه)، وهنا يلتقي مع أسلوب الشرط النحوي المكوّن من أداة الشرط وفعل الشرط

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية التماذج، 254/4: رقم الحديث 4804.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، 264/4: الحديث

جملة الجواب، وهذه المزوجة البديعية تمنح لفت الانتباه والتنبؤ واستشراف النتيجة.

ومثله ما ورد عن أبي هريرة، أَنَّهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ «قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ بَهْتَهُ»⁽¹⁾

فيه فن المزوجة، فيقوله (إن كان فيه ...، فقد اغتبتته) وفي قوله (إن لم يكن فيه ...، فقد بهته)، وقال صاحب لسان العرب: البهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه، وهو من البهت، التحير، وبهت فلان فلانا، إذا كذب عليه⁽²⁾ ومن هنا نلاحظ أن أسلوب الشرط هنا جاء لغرض بلاغي متمثل في النهي عن الغيبة والبهتان.

ثالثاً - الخلاصة:

- إنَّ فن المزوجة هو من الفنون البديعية الجميلة؛ لكن قل ذكره في أحاديث الأدب النبوية.
- إنَّ الوجهة النحوية لهذا الفن هو أسلوب الشرط بيد أن الوجهة البلاغية لهذا الفن هو فن بديعي لفظي يمنح جمالاً وتقوية في اللفظ والمعنى.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الغيبة، 269/4: رقم الحديث 4874.

(2) لسان العرب، ابن منظور، 12/2.

المطلب السادس عشر

سوق المعلوم مساق غيره (تجاهل العارف)

أولاً- التعريف اصطلاحاً:

لقد اطلق السكاكي على هذا الفن (سوق المعلوم مساق غيره) وذلك تأدباً مع الله - سبحانه وتعالى - لوقوعه في القرآن الكريم.

وقد عُرف تجاهل العارف بقولهم: "سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التدلُّه في الحب، أو لقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ"⁽¹⁾.

ومعلوم أنَّ تجاهل العارف هو ذات الأسلوب الإنشائي ونوعه (الاستفهام)، ولكن ليس الغرض الحقيقي منه، وإنما يخرج عن إطار الحقيقة، وقد ذكر السبكي ذلك في تعريفه (للاستفهام) قائلاً: "هو طلب الفهم وقد يخرج عنه لتقرير أو غيره"⁽²⁾.

ثانياً: الأغراض البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

ومثله ما ورد عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدَيَّ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ: «أَتَقْعُدُ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟»⁽³⁾

فيه تجاهل العارف (سوق المعلوم مساق غيره) وهذا الاسم يناسب مقام النبي ﷺ فهو قدوتنا ونحن أتباعه، وكما علمنا الأدب النبوي فنحن أولى بتطبيقه من غيرنا فهو سوق المعلوم مساق غيره أجود وأدب من قولنا فيه (تجاهل العارف)، فما جاء النبي ﷺ إلا تأثيراً بأداب القرآن كما اتضح لدى الباحث في ذات الحديث في نهايته حيث قال (قعدة المغضوب عليهم)، جناس اشتقاق بين كلمتي (أتقعد قعدة) وفيه اسم هيئة، في قوله ﷺ: (قعدة) وهي على وزن فعلة والكسرة في الكلمة لها دلالة بلاغية، فهي تناسب الواقع، فالقعود يكون قريب إلى الأرض وإلى أسفل.

(1) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، مرجع سبق ذكره، (ص135) .

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، (423/1) .

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الجلسة المكروهة، 263/4: رقم الحديث 4848.

ومثله ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى . قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسَبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَدْتُ فَشَدَّدَ عَلَى قُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَدْتُ فَشَدَّدَ عَلَى قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »⁽¹⁾

وذلك في قوله ﷺ: " أَلَمْ أَخْبَرَ؟ "، ويقصد به الاستدراج في الحديث والجواب، فلم يأت الاستفهام كأسلوب حقيقي ونحو بحث بل جاء هذا الأسلوب بهدف النصح على هذا الفعل، ولكن بالحد المطلوب، ذلك أن الله -تعالى- قال: " ولا تنس نصيبك من الدنيا " وأن للبدن على صاحبه حق، فينبغي أن يتوسط في عمله وعبادته، وإلا لن يكون خيرهم لأهله وسيكون من الثلاثة الذين يصومون دون فطور، ويقومون دون رقاد، ويعتزلون دون زواج، وختامًا سيفقد الوسطية الإسلامية.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 38/8: رقم الحديث 6834.

المبحث الثاني:

التراكيب النحوية للمحسنات اللفظية ودلالاتها البلاغية .

ويضم ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول

الجناس

ذكر البلاغيون أن هناك أنواعا كثيرة من الجناس وقد اتضح لدى الباحث ومن خلال دراسته في باب الأدب أن التركيز على الجناس الناقص ودناس الاشتقاق .
"والجناس هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى" (1) .

أولا- الجناس التام: (2)

وهو ما توفرت فيه شروطا أربعة: عدد الحروف وترتيبها وونوعها، وهيئتها.
وهي على أقسام.

أ. التام المماثل:

وهو ما كان لفظاه من نوع واحد، كاسمين و فعلين.

ب. التام المستوفي: وذلك يكون لفظاه بين نوعين مختلفين مثل (يحيى وليحيى)

ت. التام المركب:

1- المرفو:

وهو أن تكون إحدى اللفظتين مركبة من كلم وبعض كلمة مثل (حال مصابه) و(مطعم مصابه)

2- المتشابه:

وهو ما اتفق فيه الركنان لفظا وخطا. مثل (ذا هبة) و(ذا هبة).

3- المفروق:

وهو ما تشابه ركناه لفظا لا خطا، وسمي مفروقا لافتراق الركنين في الخط، مثل (جام لنا) و(جاملنا).

(1) الإيضاح، الخطيب القزويني، 62/1 وانظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص350.

(2) الإيضاح، الخطيب القزويني، 63/1.

ثانياً- الجناس غير التام: (1)

وهو ما اختلف فيه أحد الشروط الأربعة المذكورة للتام.:

ويتفرع منه أنواع:

1- الجناس الناقص: وهو اختلفت فيه الكلمات في عدد الحروف.

ومن أنواعه:

أ- الجناس المطرف: وهو إذا كانت زيادة بحرف واحد في إحدى الكلمتين في آخرها.

مثل (كلي) و(كل).

ب- الجناس المذيل: وهو إذا كانت زيادة بحرفين اثنين في إحدى الكلمتين في آخرها.

مثل (القنا) و(القنابل).

2- جناس القلب: وهو واختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف. (2) وينقسم إلى قلب كل

وقلب بعض.

وبعد القراءة والاطلاع لم يعثر الطالب على أمثلة تغطي هذه الأنواع.

3- الجناس اللاحق: وهو إذا اختلفت المخارج للحروف مثل (همزة) و(لمزة).

ومثله ما ورد عَنْ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَرِّكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةً الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (3)

في قوله ﷺ: (الصائم القائم)، وقد منح الجناس ههنا نوعاً من الجمال الموسيقي وقال

أحد الشارحين: "لأن الصائم والقائم مخالفة النفس، إذ النفس حظها واستمتاعها بالمطاعم

والشراب والنكاح، والصائم يمنع عن هذه الأشياء، والنفس أمارة بالسوء، تدعو إلى هذه، وبهذه

الأشياء تتقوى هذه النفس، بالنوم تربو وتنمو، والقيام يمنع النوم، والصائم والقائم يجاهدان كل

واحد منهما نفسه، ومن جمعهما فإنما يجاهد نفساً واحدة، فيعظم قدره، وتعلو رتبته بمجاهدته

(1) الإيضاح، الخطيب القزويني، 62/1.

(2) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (ص599).

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حسن الخلق، 252/4: رقم الحديث 4798.

نفسه" (1) .

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، فَمَنْ وَصُمَ وَأَفْطَرَ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُزُوقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُزُوقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ » (2) .

بين كلمتي (لزورك) و(لزورك)، وقد منح الجنس -ههنا- نوعًا من الجمال الموسيقي ولفت الانتباه، ومن اللافت أن النبي -عليه السلام- انتقى لفظ زورك بدلا من كلمة زوجتك فكان الجمال البديعي المتمثل في الجنس الناقص، كما أنه هذا الحديث يحيلنا إلى التأمل والقول: إن هذا ليس مجردا من الدلائل الأدبية والتربية المحمدية والوسطية الإسلامية التي تجمع بين نصيب الدنيا في قوله تعالى: "ولا تنس نصيبك من الدنيا" وبين حب الآخرة والمتمثلة في قوله تعالى: "ففرّوا إلى الله"، وفي هذا الحديث جمع بين العبادة لله ومنح نفسك وأهلك وزورك من الراحة والاستراحة، فالخيرية ليست في قوله -عليه السلام- خيركم من تعلم القرآن وعلمه - فقط، بل وهناك خيرية دنيوية في قوله -عليه السلام- خيركم خيركم لأهله، وهناك خيرية تعاملية في قوله ﷺ أحاسنكم أخلاقا.

لذا يجد الباحث معنًى وموقعا من الإعراب لما قاله الكرمانى: "في هذا الحديث إشارة إلى أن وراء الجسد يعني هذا الهيكل المحسوس للإنسان شيء آخر يعبر عنه تارة بالروح وأخرى بالنفس" (3) .

ومثله ما ورد عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا

(1) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاري، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، ص259.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 189/20.

رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ « وَبَيْنَكَ وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا ». قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ « إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ». فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ. قَالَ « نَعَمْ ». فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمَغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ « إِنَّ أُخْرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ». وَاخْتَصَرَهُ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ (1) .

بين حرفي (مع) و(من)، وقد منح الجناس -ههنا- نوعًا من الجمال الموسيقي، فهما ليسا حرفي جر مجرد ذكر فقط؛ وإنما أعطى جرًّا موسيقيًا محببًا لدى السامع، بل وأعطى مزيدًا من جزالة الألفاظ والحروف، فبهذين الحرفين المتجاورين الصغيرين كانت توضيح المعنى وإيصال الرسالة، فهذا هو النظم، وهذا هو جوامع الكلم. ولو كان التعبير لصحابي أو عالم لكان الاختصار والإيجاز لا يتعدى ما قاله محمود بدر الدين العيني: "قوله: (إنك مع من أحببت) أي: ملحق بهم وداخل في زميرتهم، ثم قال الكرمانى: فإن قلت: درجته في الجنة أعلى من درجاتهم، فكيف يكونون معه؟ قلت: المعية لا تقتضي عدم التفاوت في الدرجات. (2) .

ثانيا: جناس الاشتقاق

أولاً- المفهوم الاصطلاحي:

وهو أن يجمع اللفظين أصل واحد في الاشتقاق (3). أو " ما تجانس ركناه في الأصل واختلفا بالهيئة إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين " (4) ويقسم على قسمين: جناس الاشتقاق المماثل، وجناس الاشتقاق المغاير وقال الخطيب القزويني: " واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان: أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق (5)، وعُرف أيضا تجنيس الاشتقاق: "بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق ويسمى (المقتضب) (6). نحو ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ (7)

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6167.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 196/22.

(3) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص162.

(4) لتكرير بين المثير والتأثير، عز الدين السيد: 136، نقلاً عن مجلة آداب الرافيدين العدد (27)، ص207

(5) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني، ص359.

(6) المصدر نفسه، ص359.

(7) الواقعة: 89.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجمالية فيها:

عن محمد بن عبد الله بن نمير و علي بن محمد قالا : حدثنا الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك فقال رسول الله ﷺ (يصف الناس يوم القيامة صفوفا (وقال ابن نمير أهل الجنة). فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول ياف؛ لأنّ أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ قال فيشفع له. ويمر الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهورا؟ فيشفع له (قال ابن نمير (ويقول يافلان أما تذكر يوم بعثني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له)⁽¹⁾

بين كلمتي (يصف، صفوفا) فيه جناس اشتقاق، ومن ناحية نحوية إعرابية فكلمة صفوفا مفعول مطلق، فالتقى الجناس الاشتقاقي بالمفعول المطلق النحوي، ومن زاوية بلاغية بديعية فإنه خلف جرسا موسيقيا مميزا، كما منح تلويها صوتيا لطيفا جميلا.

ومثله ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أنّ رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «بئس أخو العشيّة» فلما دخل أنبسط إليه رسول الله ﷺ وكلمه، فلما خرج قلت: يا رسول الله، لِمَا استأذن قلت: «بئس أخو العشيّة» فلما دخل أنبسطت إليه، فقال: «يا عائشة، إنّ الله لا يحبّ الفاحش المتفحش»⁽²⁾

جناس اشتقاق، في قوله ﷺ: (الفاحش المتفحش)، ولعلّ كلمتي (الفاحش) و(المتفحش) تأتيان على صيغة اسم الفاعل فالأولى على وزن (الفاعل) والثانية على وزن (المتفعل) فيلتقي -هنا- اسم الفاعل مع إيغال الاحتياط مع التوكيد المكرر بصيغة اشتقاقية أخرى، ويلتقي جناس الاشتقاق مع إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (الفاحش المتفحش)، فالثانية جاءت موعلة في المعنى مؤكدة لاختها. وبالتالي كأنها تكرر للكلمة الأولى وفيها إيغال الاحتياط. ومن البلاغة النبوية وكذلك الأدب النبوي المتأثر بالأدب الرباني في النص القرآني، تلك الكلمة التي بها الذوق الأدبي الرفيع والموجودة في كلمة (لا يحب)، ولقد وردت كلمة (إن الله لا يحب) عشرات المرات في القرآن الكريم، وهذا من اللطف الرباني بمكان، وهنا على موائد السنة النبوية المطهرة يتعلم المرء المسلم ما بدا له من آداب نبوية جمّة ورفيعة، فتوظيف كلمة (لا يحب) ألطف بكثير مما لو قيل: (يكره - يبغيض - يحقد) وغيرها.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل صدقة الماء، 1215/2: رقم الحديث 3685.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حسن العشرة، 251/4: رقم الحديث 4792.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّجْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ. وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَهُوَ لَكَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَأَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ) (1)

جناس اشتقاق، في قوله ﷺ: (خلق الخلق)، ومن زاوية بلاغية بديعية فإنه أعطى بلاغة وقوة في المعنى فلم يكن مجرد ذكر خبر فقط لوجود الجناس الاشتقاقي بين الكلمتين والتألف اللفظي بين هاتين الكلمتين المتجاورتين والمتشاكلتين لفظاً ومعنى.

عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مثل القرآن مثل الإبل المعقلة. إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا بِعَقْلِهَا أَمْسَكَهَا عَلَيْهِ. وَإِنْ أَطْلَقَ عَقْلَهَا ذَهَبَتْ) (2)

بين (المعلقة - عقلها)، لم يقصد الحديث النبوي بجملة (وإن أطلق عقلها ذهبت) كأسلوب شرطي مجرداً من روح البلاغة، فهذا يعني لكل مسلم أنه بعدم ممارسة القراءة وتلاوة القرآن الكريم سيذهب ما تم حفظه، وبالتالي خرجنا من الأسلوب الشرطي النحوي إلى الإطار الكنائي والبلاغي، ففيه كناية عن سرعة النسيان من صدور الإنسان وفيه إichاء ودلالة كحث بضرورة الديمومة والاستمرارية في القرآن الكريم، ولو بثلاث آيات، كما ذكر في حديث سابقة منه ﷺ.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي قَلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ خَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ » (3).

بين (قتل) و(كقتله)، وقد أعطى الجناس نغمة موسيقية محبة؛ لكن اللأفت هنا أن هذا فيه زجر ووعيد وليس إخباراً فحسب أو تشبيهاً عابراً فقط أو تجانسياً تعبيراً أو تكراراً لا طائل من وراءه.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 13، 53/1: رقم الحديث 5987.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3783.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 44، 53/1: رقم الحديث 6047.

ومن الجميل ذكره: "إن كلمة كقتله الأولى ليست تلك الكلمة المشابهة لها في نهاية الحديث، فالأولى تعنى بمنافع الآخرة والثانية تعنى بمنافع الدنيا. لذا قال صاحب عمدة القاري: في لعن المؤمن فهو كقتله يعني في الإثم لأن اللاعن يقطعه عن منافع الآخرة. ثم قال وفي قذفه مؤمنا بقوله: يا كافر، أو: أنت كافر، فهو كقتله في الإثم وشبهه؛ لأن القاتل يقطع المقتول من منافع الدنيا". (1) .

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ لِشَرِيكِ لَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا. وَلَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ. لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا. لِي الْمَلِكُ وَلِي الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَمْ أَفْهَمْهُ. قَالَ فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مَا قَالَ ؟ فَقَالَ مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ (2)

في كلمتي (قال يقول)، وقد كررت في الحديث أربع مرّات وقد كررت-أيضًا- الأسلوب الشرطي أربع مرّات وكان جواب الشرط بمثابة إرصاد لفظي وإجابة متوقعة.

عَنْ شَبِيبِ بْنِ بَشَرَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ) (3)

بين (أنعم ونعمة)، ولعلّ هاتين الكلمتين تلتقيان كجناس اشتقائي مع الصيغة التفضيلية من زاويتها البلاغية فيها المبالغة وفيها من الإغراء والتشويق والتحفيز بمكان).

ومثله ما ورد عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِالنَّارِ» (4)

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 125/2.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1246/2: رقم الحديث 3794.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 1250/2: رقم الحديث 3805.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ اللعن، 277/4: رقم الحديث 4906.

بين (تلاعنوا بلعنة)، وقد استخدم كلمة (تلاعنوا)، وهي على وزن (تفاعلوا)، وهي تفيد المشاركة؛ لأنَّ التلاعنَ يكون -غالبًا- من طرفين الأول والثاني.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَأَفْ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ " (1)

بين (ما حفظها) و(تحفظ) ومن اللّافِت أن كلمة (ليضطجع تحمل دلالة بلاغية راقية فهي على وزن (يفتعل) وتفيد المشاركة ثم إن وجود الكسرة في مطلع الكلمة (ل) وختامها (ج) تنسجم مع الواقع فالاضطجاع يكون إلى الأسفل وهذه من البلاغة.

ومثله ما ورد عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَلْعَنُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَلْعَنُ أَبَاهُ، وَيَلْعَنُ أُمَّهُ، فَيَلْعَنُ أُمَّهُ» (2)

بين (أكبر) و(الأكابر)، ولم يأت -هنا- جناس الاشتقاق مجرد كلمتين متجاورتين متآلفين لفظياً؛ ولكن أعطت مزيداً من الرعب والزجر وكان الجناس الاشتقاقي -هنا- كافٍ وكفيل بتوضيح مدى الخطورة الناتجة لم يلعن والديه، فهي ليست كبيرة؛ بل جاء يلفظ الجمع الكبائر، ثم سبقها بكلمة أكبر معنى أعظم

ومثله ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صَلََةُ الْمَرْءِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ» (3)

بين (أبر) و(البر)، وقد جاء الجناس -هنا- ليس مجرداً من الأسرار البلاغية ودلائل البيان فكلمة (أكبر) جاءت للتأكيد والتوكيد، ومن الواضح أن كلمة (أبر) اسم تفضيل على وزن أفعل وهي جاءت للمبالغة والتعظيم وتوضيح خطورة الموقف.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 311/4: رقم الحديث 5050.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ بر الوالدين، 336/4: رقم الحديث 5141.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ بر الوالدين، 337/4: رقم الحديث 5143.

ثالثاً - الخلاصة:

- يعطي الجنسُ الاشتقائيُّ دلائلَ ومقاصدَ وأهدافاً وأغراضاً متعددةً، فقد يكون الجنسُ الاشتقائيُّ بُغيةَ الإمتاع والإقناع، وقد يكون من أجل التأكيد والتوضيح.
- ومن زاوية بلاغية بديعية فإن الجنس الاشتقائي خلف في كثير من أحاديث الأدب الجرس الموسيقي المميز، كما منح تلويها صوتيا لطيفا جميلاً

المطلب الثاني:

السَّجْع

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: "السَّجْع: الكلامُ المُقَيُّ أو مُوالاةُ الكلامِ على رَوِيٍّ، والحَمَامَةُ: رَدَّدَتْ صَوْتَهَا فهي سَاجِعَةٌ وَسَجُوعٌ"⁽¹⁾.

المفهوم الاصطلاحي:

عرف القزويني السَّجْع بقوله: "وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"⁽²⁾.

مثال ذلك قال صلى الله عليه وسلم: (الخيْل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فالذي هي عليه وزر فرجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام)⁽³⁾.

ثانيًا - شروط السَّجْع:

ذكر يحيى العلوي في كتابه (الطرز) الشروط الأربعة الواجب توفرها في السَّجْع وهي⁽⁴⁾:

الشرط الأول: يرجع إلى المفردات:

وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق، رطبة طنانة، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشناق إلى سماعها الأنفس.

الشرط الثاني: راجع إلى التركيب

وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى فيها تابعاً للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه وباطنة التشويه.

الشرط الثالث: راجع إلى المعاني

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 939.

(2) الإيضاح، القزويني، (ص 362) .

(3) شرح صحيح البخاري، القرطبي (106/10) .

(4) الطراز، العلوي، (3/13 و 14) .

أن تكون تلك المعانى الحاصلة عن التركيب مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة ولا ركيكة مستبشرة.

الشرط الرابع:

أن تكون كل واحدة من السَّجْعَتَيْن دالة على معنى مغاير للمعنى الذى دلت عليه الأخرى.

ثانياً: أنواع السجع مع بيان القيم الجمالية فيها:

ثالثاً - أقسام السجع:

1- السَّجْعُ المَطْرَفُ:

قال القزويني: "لأن الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن فهو السجع المطرف"⁽¹⁾ كقوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾⁽²⁾

ومثله ما ورد عَنْ الْمُسَيَّبِ عَنْ وَرَادٍ عَنْ الْمُغِيرَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتٍ، وَوَادُ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »⁽³⁾

فيه سجع، بين (الأمهات) و(وهات) و(البنات)، وقد منحت هذا السجع جمالاً بلاغياً وبيديعاً، ومن الجمال البلاغي لهذا التوكيد الخبري النحوي يرى الباحث أن ثمَّ سرّاً دلاليّاً في كلمة هاتٍ، فهي ليس مجرد سردٍ سجعيّ، أو توكيدٍ خبريٍّ، أو نقلٍ لفظيٍّ؛ حيث يقول محمود بدر الدين العيني: "(وَمَنْعَ وَهَاتٍ)، أي: حرم عليكم منع ما عليكم إعطاؤه وطلب ما ليس لكم أخذه، وقوله: (وهات) بكسر التاء فعل أمر من الإيتاء، وَقَالَ الْخَلِيلُ: أصل هَاتِ آتٍ فقلبت الهمزة هاءً"⁽⁴⁾.

وبالتالي؛ فإنَّ هذه الكلمة أعطت قوةً في التعبير، وحسنَ انتقاء في التركيب الحديثي، إذ إنّ الألفاظ التي ينتقيها النبي -عليه السلام- تتسم بالحيوية وكثرة التأويل وتنوع التأويل.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص 362) .

(2) نوح: 13-14.

(3) حبيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 6، 53/1: رقم الحديث 5975.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 87/22.

ومثله ما ورد عَنْ عاصم بن محمد عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابن عمر قَالَ رسول الله ﷺ (لو يعلم أحدكم ما في الوحدة ما سار أحد بليل وحده) ⁽¹⁾

فيه سجع ، بين نهاية جملة الشرط ونهاية جملة الجواب في (الوحدة وحده)، ويلتقي - هُنا- أسلوب الشرط مع أسلوب النهي؛ لأنَّ في هذا دلالة على النهي بالسير منفردا وكراهية ذلك.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي بحرية عَنْ أَبِي الدرداء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قَالَ (أَلَا أُنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟) قالوا وما ذاك ؟ يا رسول الله :قال (نكر الله) ⁽²⁾

سجع، في قوله ﷺ: (أعمالكم ومليكم ودرجاتكم وعدوكم وأعناقكم)، كما أنَّه يمنح قوة في التعبير، ويجزل اللفظ والمعنى، ويبعث الانسجام الصوتي، ويشعر بالمتانة التركيبية بين أطراف وأجزاء ومفاصل الحديث النبوي الشريف.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سنان عَنْ عثمان بن أبي سودة عَنْ أَبِي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسا: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس ؟) قلت غراسا لي: قَالَ (أَلَا أدلك على غراس خير لك من هذا ؟) قَالَ بلى. يا رسول الله: قَالَ (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) ⁽³⁾

فيه سجع بين (وبحمدك)(وإليك)، ولعلَّ الباحث استوقفه -إن جاز القول- (البيان العددي في النص النبوي)، إذ إنَّ الرَّقْمَ (ثلاثة) هو السُّنَّةُ المتَّبَعَةُ عند النَّبِيِّ ﷺ فعند الشرب يفضل تطبيق السُّنَّة (ثلاث مرَّات)، وهنا ذكر العدد (ثلاث مرَّات) وأنه ينبغي القول: إنَّ العدد (ثلاثة) من سماته وميزاته أنه يجعل المرء والإنسان معتاداً على التكرار في فعل الخيرات والأعمال الصالحات، فالتكرار يثبت الحفظ، ويثبت الأمور ويرسخها، كما أنَّ العدد (ثلاثة) ليس فيه من المشقَّة بمكان، ولا من المعاناة بموقع، فهو الرَّقْمُ الأول في الجمع، وبإمكان الإنسان ألاَّ يتضجَّر ولا يتذمَّر ولا يتأفف، وكثيراً ما يستخدمه ﷺ مثل الاستئذان (ثلاث مرَّات) ثم المغادرة إن لم يفتح الباب وهكذا.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ كراهية الوحدة، 1239/2: رقم الحديث 3768.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الذكر، 1245/2: رقم الحديث 3790.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3807.

2- السجع المتوازي:

"وهو ما اتفقت فيه الفقرتان وزناً وتقفية"⁽¹⁾ وبالتالي يكون السجع المتوازي في آخر كلمتين من الفاصلتين وليس بين ألفاظ الآيات جميعها كما في السجع المرصع.

نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾⁽²⁾

لاتفاق (مرفوعة) و (موضوعة) وزنا وتقفية.

ومثله ما ورد عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ »⁽³⁾

فيه سجع ، بين (ميسرين) و (معسرين). فمنح السجع التوضيح والتفريق، ففيه سجع جمالي، وطباق توضيحي، وتعليل منطقي للتفريق بين فرضية التيسير وحرمانية التعسير.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا فَقَالَ دُو الْخُونِصِرَةِ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْدِلْ. قَالَ « وَتِلْكَ مَنْ يَغْدِلُ إِذَا لَمْ أَغْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ « لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَضْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضْيِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ تَنَدِي الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرُدُ ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ لَسَمْعَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَالْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ، فَأَتَى بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ ﷺ⁽⁴⁾.

فيه سجع ، بين (صلاتهم) و (صيامهم). وبين كلمة شيء الأولى والثانية والثالثة والرابعة أيضا سجع، فكان السجع محيطا بكل جوانب الحديث. ومن اللافت أن السجع لكلمة شيء كانت من الجمال البلاغي بمكان فهو ليس تكرار وإعادة لفظ فقط، وإنما جمعت السجوع

(1) من بلاغة القرآن (المعاني - البيان - البديع) ، علوان ، (ص288) .

(2) الغاشية: 13-14

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 80، 53/1: رقم الحديث 6128.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 53/1: رقم الحديث 6163.

بالتوكيد اللفظي الذي خلف التحذير والانتباه والأهمية، بإيغال الاحتياط الذي يوغل معنى الكلمة إذا كررت بالمعنى أو باللفظ أو بالتجانس الاشتقاقي، بالإضافة إلى أن هذا يندرج مع ما يسمى بلزوم ما لا يلزم. إذ إن كلمة شيء الأولى تعنى عدم وجود شيء في النصل، والثانية تعنى عدم وجود شيء في الرصافة، الثالثة تعنى عدم وجود شيء في النصل، والرابعة تعنى عدم وجود شيء في القذذ.⁽¹⁾

ومثله ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ » قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: « وَهُوَ شُرَحْبِيلُ يَعْنِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي كَانَتْهُمْ كَرَاهُوهُ فَلَمْ يُسَمَّوْهُ »⁽²⁾

فيه سجع ، بين كلمتي (شكره وكفره)، وبين (فليجز به) و(فليثن به)،

ومثله ما ورد عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولُ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي إِذْ أَصَابَهُ حَجَرٌ فَعَنَّرَ فَدَمِيتُ إِضْبَعُهُ فَقَالَ « هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيتُ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ »⁽³⁾.

فيه سجع ، بين كلمتي (دميت) و(لقيت)، فجاء السَّجْعُ مانحا بعض الإشارات والدلالات

ومثله ما ورد عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُؤْتَسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »⁽⁴⁾.

سجع، في قوله ﷺ: (رزقه) و(أثره) و(رحمه)، وقد منح قوة في التعبير ويجزل اللفظ والمعنى، ويبعث الانسجام الصوتي. وكانت كلمتي رزقه وأثره مندرجتين تحت جملة فعل الشرط (من أحب... وينشأ...)، وكانت كلمة (رحمه) واقعة في جملة الجواب أو الجزاء، وعليه فكان السجع جميلة التركيب، بديعة التنسيق، إذ التقى الإخبار النبوي بالشرط النحوي بالسجع البلاغي

(1) قال صاحب عمدة القاري: "(يمرقون) أي: يخرجون. قوله: (من الرمية) ، وهو المرمي كالصيد. قوله: (إلى نصله) هو حد يد السهم. قوله: (رصافة) جمع الرصفة بالراء والصاد المهملة والفاء وهي عصبة تلوى فوق مدخل النصل، قوله: (نضيه) بفتح النون وكسر الصاد المعجمة وتشديد الياء آخر الحروف وهو القذح أي: عود السهم، وقيل: هو ما بين النصل والريش. قوله: (إلى قذذة جمع القذذ بضم القاف وتشديد الذال وهو ريش السهم).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ شكر المعروف، 255/4: رقم الحديث 4813.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6146.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 12، 53/1: رقم الحديث 5986.

مع مراعاة قوة التركيب اللغوي.

وقد جاء الجواب في كلمتين كافيتين لزجّي رسالة مهمة للإنسان المسلم بشأن صلة الرحم، لذا قال عياض: "لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام".⁽¹⁾

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ غُبَيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَّعَى رَجُلٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعِ؛ لِأَنَّ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»⁽²⁾

سجع، في قوله ﷺ: (تقي) و(شقي)، وقد جاء السجع ليضيف شيئاً بلاغياً، وليس مجرد تركيب نحويّ عابر، أو سرد خبري فارغ من الإيحاء والدلالة، فكلمة تقيّ تتناظر وتشاكل كلمة شقيّ في السجع ذي الجمال الموسيقي، والطباق التوضيحي الذي يعمل على تقريب الصورة؛ بل ومع المقابلة بين الجملتين الحديثتين لتعقد مقارنة مفادها أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتشاكل وتتناظر وتتشابه ما يفعله المؤمنون الذي لا يُعرفون إلا بتقواهم؛ وبين ما يفعله الفاجرون الذين لا يُعرفون إلا بشقائهم فيعيشون عيشة ضنكا.

3- السجع المتفاوت

أطلق عليه القزويني (السجع الطويل أو المتوسط) حيث قال⁽³⁾: "ثم السجع إما قصير كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾⁽⁴⁾ أو طويل كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁽⁵⁾ أو متوسط كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾⁽⁶⁾ وقد عرفه بعض الباحثين بقولهم: ومثله ما ورد

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 181/11.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التناخر بالأحساب، 331/4: رقم الحديث 5116.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص364،363).

(4) المرسلات: 1-2.

(5) الأنفال: 43.

(6) القمر: 1-2.

"وهو ما اختلف فيه طول جملة فاصلة عن أخرى" (1):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ. وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَهُوَ لَكَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَأَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ) (2) .

فيه سجع ، بين (وصلك) و(قطعك)، وقد منحت هذا السجع جمالاً في الحديث، إذ إنَّ هذا الحديث وبهاتين الكلمتين يجمع بين السجع والطباق والوزن الصرفي والرمز الصوتي، والقصد المقرر في الحديث، فكما قال محمود بدر الدين العيني: "والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله" (3) ، وبالتالي فإن الكلمتين لم تأتيا مجردتين من الدلالة والبلاغة والمعنى وليست مجرد تركيب لفظي نحوي دون فوائد دلالية ومعاني جمالية.

4- السجع المُرَصَّع.

قال القزويني: "فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية، فهو الترصيع كقول الحريري فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، وكقول أبي الفضل الهمذاني (إنَّ بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا). (4).

ومثله ما ورد عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْبَدَاوَةِ، فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التَّلَاحِ، وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبَدَاوَةَ مَرَّةً فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحَرَّمَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ، ازْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا تُزِعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ» (5)

(1) ، البديع في القرآن، إبراهيم علان، (ص 172) .

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 13، 53/1: رقم الحديث 5987.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 153/16.

(4) (الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص362) .

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الرفق، 254/4: رقم الحديث 4808.

فيه سجع ، بين كلمتي (زانه - شانه)، ومن الأدب النبوي -هنا- بدأ بالنداء بغرض التحبب والتودد والاستعطاف ثم الأمر، وهذه على ما يلحظ فإن السنة المتبعة عند النبي ﷺ حيث ينادي ثم يأمر بُغْيَةِ الحث والإرشاد، وتارة للتحذير من حرمان الله ﷻ.

(إن الرفق) : استئناف بيان (لا يكون) أي: لا يوجد (في شيء) أي: من الذوات والأعراض (إلا زانه) أي: زينه وكمله (ولا ينزع) : بصيغة المجهول أي: لا يفقد ولا يعدم (من شيء إلا شانه) أي: عيبه ونقصه قال الطيبي، قوله: (يكون) يحتمل أن تكون تامة، و(في شيء) متعلق بها، وأن تكون ناقصة و(في شيء) خبر كان، فالاستثناء مفرغ. من أعم عام وصف الشيء، أي: لا يكون الرفق مستقرا في شيء يتصف بوصف من الأوصاف إلا بصفة الزينة. (1)

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَاءَمَكُمْ مِنْ مَمْلُوكِكُمْ، فَأَطْعِمُوهُ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَمَنْ لَمْ يُلَائِمْكُمْ مِنْهُمْ، فَبِيعُوهُ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ» (2)

سجع، في قوله ﷺ: (تأكلون) و(تلبسون)، وقد ركّز على الأكل واللباس دون الشراب؛ لأنّ الشراب تبع وتحصيل حاصل بعد عملية الأكل، فركز على الأكل، ثم اللباس حتى لا تحز في نفسه، وتؤثر على قلبه من تميز وكبرياء من قبل المالكين وأبناءهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَعَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ، كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، أَدْنَى مِنَ الْأُولَى، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً أَدْنَى مِنَ الثَّانِيَةِ» (3)

سجع، في قوله ﷺ: (حسنة) في الجمل الثلاث تكرار جملة (فله كذا وكذا) وقد جاء التكرار ثلاث مرّات للإغراء والتحفيز وتشجيع الناس على حسن القتل لتلك الوزعة (وهي دويبة من فصيلة الزحافات السامة)، وكان الإغراء بالحسنات كرد الجميل لهذا الرجل الذي يحمي العباد بقتله لتلك الزواحف والحيات السامة، ثم إن تكرار كلمة كذا وكذا ومجهوليتها أعطت نوعاً من الحماسة لكسب الثواب.

ثالثاً - الخلاصة:

- من الملحوظ لدى الباحث أنّ السَّجْعَ لم تكن كَمِيزِيَّةً أو زينة لفظية فحسب، وهذا من البلاغة الراقية من النبي ﷺ.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد القاري، 3171/8.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ حق المملوك، 341/4: رقم الحديث 5161.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ قتل الأوزاع، 366/4: رقم الحديث 5263.

المطلب الثالث

إيغال الاحتياط

أولاً: التعريف اصطلاحاً:-

عرف ابن حجة الحموي (الإيغال) بقوله: "ومعنى ذلك أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائداً أو كلاً منهما فكأن المتكلم أو الشاعر قد تجاوز حدّ المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ مراده فيه إلى زيادة عن الحد⁽¹⁾ كقول ذي الرمة⁽²⁾:

أظنُّ التي يجدي عليك سؤلها دموغاً كتبديد الجمان المفصل

فإنه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج إلى القافية فأتى بما يفيد معنى زائداً ولو لم يأت بها لم يحصل⁽³⁾. وقد عرّف تعريفاً آخر مختصراً بأنه: "ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها"⁽⁴⁾.

ثانياً: الأغراض البلاغية لهذا الفن مع بيان القيم الجماليّة فيها:

ونظيره ما ورد عَنْ عبيد الله بن الأخنس عَنْ الوليد ابن عبد الله عَنْ يوسف بن ماهك عَنْ ابن عباس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد)⁽⁵⁾

إن في الحديث فنون مختلفة، وأساليب متنوعة، وتراكيب متعددة تبرز جمالية الحديث، وتذكر بقمة البلاغة النبوية، ففيه في قوله (زاد ما زاد)، وفيه أسلوب الفصل في قوله (من النجوم) و(من السحر)، وفيه أسلوب الشرط الذي يحثُّ على الزجر والمنع والرفض غير المباشر؛ بل جاء أقوى وأوضح وأكثر تهديداً من المنع المباشر، وفيه الإيجاز بالحذف في (زاد ما زاد) وفيه الكناية عَنْ هذا الفعل الشنيع، وفيه المقابلة المعنوية وذلك بين زاد التي ترجع إلى

(1) التعريفات، الجرجاني، ص 77 .

(2) ديوان ذي الرمة، بسج (ص 226) .

(3) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة، (27/2) .

(4) نشأة الفنون البلاغية، حمزة الدرمرdash، (ص 81) .

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالدين، 1208/2: رقم الحديث 3662.

جملة فعل الشرط، وكذلك ما زاد التابعة لجملة الجزاء أو جواب الشرط، مما يخرج من بطن هذه المقابلة المعنوية فن الطي والنشر، فالطي في زاد مع فعل الشرط، والنشر في ما زاد التابع لجواب الشرط فيكون الطي والنشر مرتبا.

كما أن فيه تآلفا لفظيا بين كلمتين متجاورتين وهما كلمة (اقتبس وعلم) فمعنى اقتبس تعلم والمعنى تعلم علما؛ وبالتالي أعطى المعنى -هنا- عذوبة في اللفظ وانتقاء حسنا وفي محلّه؛ بل إن كلمة اقتبس أعظم تعبيرا وأبلغ أسلوبا من كلمة (تعلم)؛ إذ إن كلمة اقتبس تعني التعلم والتبصر والفهم والتضمنين، وهذا يتلائم-كثيرا- مع علم النجوم والكواكب، وعمل المنجمين وحُزَعَبَلاتهم.

إن خطورة تعلم النجوم يعدله تعلم شعبة من شعب الشيطان والسكر؛ لذا لم يتعين الإسهاب ولا الإطناب في جملة (زاد ما زاد)، فقد جاءت هذه كنوع من التنذير وإيغال الاحتياط أي توكيد على ما تم ذكره، وبالتالي لم تأت هذه الجملة كتوضيح، وإنما جاءت للتوكيد، وعلى هذا فالأفضل الإيجاز بالحذف خير من إطنابها، كما اتضح للباحث أن في الحديث فصل؛ لأن الجملة الحديثية الثانية جاءت موضحة ومفرقة بين السابق واللاحق فهي فاصلة لا واصله.

ونظيره ما ورد عَنْ عَمْرِو عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالطَّائِفِ قَالَ « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ». فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا نَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحَهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « فَأَعْدُوا عَلَى الْقِتَالِ ». قَالَ فَعَدُّوا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا وَكَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ». قَالَ فَسَكَتُوا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُ بِالْخَبَرِ⁽¹⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (إن شاء الله)، فجاءت موعلة ومؤكدة لما أكد به ﷺ، في قوله ﷺ: (إننا)، فالتأكيد -هنا- اتبعه توكيد بالقدر الإلهي والمشينة الربانية والرفق كذلك، لذا قيل في قوله: "إننا قافلون غدا إن شاء الله)؛ على جهة الرفق بهم، والشفقة عليهم، فعظم عليهم أن يرجعوا ولم يفتحوا ذلك الحصن.⁽²⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/1: رقم الحديث 6086.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف: أبو العباس القرطبي، تحقيق تعليق وتقديم: محيي الدين ديب مستو، وغيره، 625/3.

ونظيره ما ورد عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرؤه يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران اثنان) ⁽¹⁾

إيغال احتياط، في قوله ﷺ: (أجران اثنان)، فقد أوغل في المعنى، في قوله ﷺ: اثنان، فالأجران كافية لمعرفة ذلك، بَيِّدَ أَنْ كَلِمَةَ اثْنَانِ أَكَدَتْ عَلَى هَذَيْنِ الْأَجْرَيْنِ حَتَّى تَكُونَ هُنَاكَ نِسْبَةً عَادِيَةً فِي التَّلَاوَةِ وَالتَّتَبُّعَةِ، وَقَدْ التَقَى فَن (إيغال الاحتياط) البديعي في النعوت المتتالية، في قوله ﷺ: (السفرة الكرام البررة)، فكانت النعوت والصفات بمثابة التأكيد على صفة الملائكة المكرمون، وفيه تأثر بالقرآن، في قوله ﷺ: -جَلَّ جَلَّالُهُ- (بأيدي سفرة كرام ببرة)، فكانت النعوت نكرة في القرآن وهنا النعوت مُعَرَّفَةٌ فِي الْحَدِيثِ، وَإِنَّ كَلِمَةَ يَتَتَبَّعُ فِيهَا دِلَالَةٌ إِيحَائِيَّةٌ عَلَى مَدَى الْمَشَقَّةِ، فَالْفَرْقُ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِيهِ مَشَقَّةٌ؛ لِذَا تَعَيَّنَ وَجُودُ أَجْرَيْنِ حِينَما نَبَحْتَ عَنْ مَوْقِعِيَةِ الْعَنْصَرِ الْأَدْبِيِّ وَالذَّوْقِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ سَنَجِدُهُ مَتَمَثِّلًا وَكَامِنًا فِي أَعْضَاءِ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقِّهِ، فَالَّذِي يَقْرَأُ يَنَالُ الْأَجْرَ وَالَّذِي تَشَقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ فَلَا بَدَّ مِنْ أَجْرَيْنِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي جَهْدَيْنِ مَتْرَاكِمَيْنِ وَمَتْرَاكِبَيْنِ فَالْقِرَاءَةُ ثَمَّ التَّتَبُّعُ وَهَذَا مِنَ الْعَدْلِ النَّبَوِيِّ بِمَكَانٍ وَهَذَا مِنَ السَّمَاةِ الدِّينِيَّةِ الْقَوِيْمَةِ، كَمَا نَلْحَظُ أَنَّ الْأَسْلُوبَ الْخَبْرِيَّ الْمَبْدُوءَ بِقَوْلِهِ (الماهر بالقرآن) لَهُ دِلَالَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَتَأْثِيرٌ مُحْفَزٌ مِنْ قَبْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ، فَفِي هَذِهِ فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ لِلتَّلَاوَةِ وَأَحْكَامِ التَّجْوِيدِ وَبِالتَّالِي خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى بَلَاغَةِ مَفَادِهَا التَّحْبُّبِ وَالتَّشْوِيقِ وَالتَّحْفِيزِ، وَلَعَلَّ عَدَمَ وَرُودِ الْفَاءِ التَّعْقِيبِيَّةِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: لَهُ أَجْرَانِ تَدُلُّ عَلَى السَّرْعَةِ الْكَبِيرَةِ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ فَاصِلٌ بَيْنَ فِعْلِ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ وَبَيْنِ الْأَجْوَرِ الْكَثِيرَةِ وَالْعَظِيمَةِ، وَلَعَلَّ ذِكْرَ كَلِمَةِ (الماهر) وَهِيَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْمَشْنَقَاتِ التَّصْرِيفِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَمْرِ مَفَادِهِ وَجُوبِ تَطْبِيقِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَثِّ عَلَى التَّلَاوَةِ بِالْأَحْكَامِ؛ بَلْ دَفْعَةً مَعْنَوِيَّةً لِلتَّفَوْقِ فِي يَجَانِبِ أَحْكَامِ التَّلَاوَةِ وَالتَّجْوِيدِ، وَلَيْسَ هَذَا فَحْسَبَ، فَهَنَّاكَ عُلُومَ الْقُرْآنِ الْمُتَشَبِّعَةِ، وَهَنَّاكَ بَلَاغَةَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمَةِ، وَهَنَّاكَ الْأُمُورَ التَّشْرِيعِيَّةَ وَغَيْرَهَا، وَفِي كُلِّ الْحَدِيثِ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ فِي هَذَا كُنَايَةً عَنْ صِفَةِ الْحَثِّ لَتَعْلَمَ الْقُرْآنَ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1242/2: رقم الحديث 3779.

الْجَنَّةُ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»⁽¹⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (وإن كان مازحاً) وكذلك، في قوله ﷺ: (وإن كان محقاً). صيغة مبالغة على وزن (فعل) في قله (حسن)، ففيه مبالغة وحث على تحسين الخلق دوماً حتى تقترب من أفعال وأخلاق الصالحين، ويستن بسنن النبي ﷺ.

ونظيره ما ورد عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى. قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ فَإِنِّي أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »⁽²⁾.

إيغال الاحتياط في كلمة (كله)، فهذا تركيب نحوي، وتعرب الكلمة تأكيد معنوي مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، فالتوكيد المعنوي لأنه من الكلمات التوكيدية المحددة وملحقة بضمير مثل جميعهم ونفسه...؛ ولكن من الناحية البلاغية والبدعية، ففيه إيغال احتياط، أكدت وأوغلت في المعنى بعد كلمة (فذلك الدهر).

ونظيره ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «؛ لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْراً »⁽³⁾.

إيغال احتياط، في قوله ﷺ: (قيحاً يريه)، فقد جاءت الكلمة موعلة ومؤكدة في المعنى إذ إن الحديث واضح وجلي دون جود كلمة (يريه) - أي من الوري وهو الداء، وهذا ما لوحظ في حديث آخر للنبي ﷺ فكان الفرق بين ها الحديث وذاك الحديث المستثنى من كلمة (يريه) هو التركيز والتأكيد ولفت للانتباه.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حسن الخلق، 253/4: رقم الحديث 4800.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 84، 53/1: رقم الحديث 6134.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 92، 53/1: رقم الحديث 6155.

ونظيره ما ورد عَنْ الْأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيْحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلْفَاتٍ عِظَامِ سَمَانٍ ؟) (قلنا نعم: قَالَ (ثَلَاثَ آيَاتٍ يَقْرَأُونَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلْفَاتٍ سَمَانٍ عِظَامِ) ⁽¹⁾

إِغَالِ الاحتياط، في قوله ﷺ: (عظام)؛ لَأَنَّ كَلِمَةَ سَمَانٍ أَفَادَتْ الْمَعْنَى وَوَضَحَتْهُ لَكِنْ عِنْدَ ذِكْرِ كَلِمَةِ (عِظَامِ)، فَقَدْ أَوْغَلْتَ الْمَعْنَى فِي الْمَعْنَى وَأَكْدَتْهُ، فَالْخَلْفَاتُ هِيَ الْحَوَامِلُ؛ وَبِالتَّالِي سَتَكُونُ عَظِيمَةً، فَعِنْدَمَا ذَكَرْتَ (عِظَامِ) أَكْدَتَ فِي الْمَعْنَى لِتَبَيَّنَ أَنَّهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ غَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْزَاقِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ. فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ). ⁽¹⁾

وفيه إِغَالِ احتياط في قوله ﷺ: شَطْرَيْنِ حَيْثُ إِنَّ وُجُودَ جُمْلَةٍ (قَسَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي) كَافِيَةٌ لِلتَّوْضِيحِ؛ بَيِّنْ أَنْ كَلِمَةَ (شَطْرَيْنِ)، جَاءَتْ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- سَيَأْجِرُ كُلَّ مَنْ صَلَّى وَقَرَأَ الْفَاتِحَةَ كَنُوعٍ مِنَ التَّحْفِيزِ الرَّبَّانِيِّ بِالِاتِّزَامِ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ عِبْرَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ الْفِصْلِيَّةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

ونظيره ما ورد عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟) قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ. فَأَذْكُرْتُهُ: فَقَالَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ) ⁽²⁾

في قوله ﷺ: (الَّذِي أُوتِيَتْهُ)، وَالتَّقْدِيرُ (الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فَهُوَ مُوْغَلٌ فِي الْمَعْنَى وَمُؤَكَّدٌ عَلَى الْأَعْظَمِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ).

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلَسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ» ⁽³⁾

إِغَالِ احتياط في قوله ﷺ: (وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ)، حَيْثُ أَوْغَلْتَ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْحَسْرَةَ ظَهَرَتْ جَلِيًّا فِي التَّشْبِيهِ وَفِي تَبَعَاتِ مَنْ يَجْلِسُ مَجْلِسًا وَيَقُومُ بِدُونِ ذِكْرِ اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ-؛ وَلِأَنَّ

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1243/2: رقم الحديث 3782.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ثواب القرآن، 1244/2: رقم الحديث 3785.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، 264/4: الحديث 4855.

الحسرة ظهرت في كلمة (جيفة حمار)، فهي كلمة غير محببة، ومؤثرة على النفس البشرية وهذا أقل ما يقال عَنْ من لا يقول الذكر والتسبيح، وغير ذلك من فضائل الأعمال.

ونظيره ما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (جر واحد)، فأكدت وأوغلت في المعنى بعد كلمة جحر. كناية عَنْ عدم الوقوع في الخطأ والحذر من الناس ومصائدهم، وقد التقت مع الاستعارة التصريحية، حيث صرح بالمشبه به وهو (جر) وحذف المشبه به الإنسان الشرير على سبيل الاستعارة التصريحية، ومن اللَّافِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ استخدم الفعل المبني للمجهول (يلدغ) وهذا من الأدب النبويِّ بمكان إذ إنه لم يقل -مثلاً: لا يلدغ الحاقِدُ أو الكافر المؤمن، وبالتالي يتعلم المؤمن - هنا- أن يجادل بالتي هي أحسن ويحسن الظنَّ بالآخرين ولا يقول إلا قولاً حسناً.

ونظيره ما ورد عَنْ وَقَّاصِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾

إيغال احتياط، في قوله ﷺ: (ورياء)، فهي تعني (سمعة)، فجاءت موعلة في المعنى للكلمة السابقة. يلحظ الباحث أن كلمة (أكلة) جاءت على وزن فعلة وهي اسم مرة وهي من المشتقات التصريفية، حيث جاء المشتق -ههنا- للتأكيد على خطورة الموقف، وإن كانت مرة واحدة؛ لأن الغيبة تؤثر على النفس والله -جلَّ جلاله- لا يحب إيذاء المسلمين، فإنَّ الرسول ﷺ قال: (برجل مسلم)؛ لأنَّ المسلم ليس من شيمه ولا من صفاته الإيذاء، قد نجده عند الغرب وعند المشركين. لذا فقد جاءت الحماية النبوية والمعيرة الربانية للدفاع عَنْ حقوق المسلمين، وليست عَنْ طريق محكمة العدل الدولية الظالمة.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْأَغْرَ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا. وَلَا

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الحذر من الناس، 4/266: رقم الحديث 4862.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الغيبة، 4/270: رقم الحديث 4881.

شريك لي. وإذا قال لا إله إلا الله. له الملك وله الحمد. قال صدق عبدي. لا إله إلا أنا. لي الملك ولي الحمد. وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال صدق عبدي. لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي (قال أبو إسحاق ثم قال الأغزر شيئاً لم أفهمه. قال فقلت لأبي جعفر ما قال ؟ فقال من رزقهن عند موته لم تمسه النار⁽¹⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (وحده) و(وحدني)، حيث إن هذه الكلمة أوغلت في المعنى بعد أن بان المعنى واتضح فيما قبل هذه الكلمة مثل (لا إله إلا الله وحده)، و(لا إله إلا أنا وحدي)، وهكذا إلى نهاية الحديث.

ونظيره ما ورد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمْ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»⁽²⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (عز وجل)، فقد أوغل في المعنى وأكد وكما نلاحظ أن هاتين الكلمتين لم تأتيان كجملة اعتراضية تعبيرية فحسب؛ بل أضفت جمالا بلاغيا من عدة نواح:-

الأولى: فيه إيغال احتياط، وتوكيد لذكر الله -جل جلاله.

والثانية: أن فيها عزة وجلالة وتتماشيان مع الحديث؛ لأن الحديث يتحدث عن الملك والمملوك وما يقال للحاكم والمحكوم، وما يجوز لهما وما لا يجوز، فجاءت العزة والجلالة لتؤكد أن الحاكمية والعزة والملك كله لله.

والثالثة: التقى الطي والنشر مع مراعاة النظر فالطي الأول مع النشر الأول ثم الطي الثاني مع النشر الثاني قد أعطى هذه الدرجة البلاغية الرفيعة، والموجودة في مراعاة النظر.

ونظيره ما ورد عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم⁽³⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (أطيب)، فهي بمعنى الأطهر والأنقى والأحسن، فجاءت كلمة (أطيب) لتوغل في المعنى بالتأكيد على نقاء وصفاء البياض، ولعل هذا مؤكداً عند علماء

(1) سنن ابن ماجه، الأدب/ فضل لا إله إلا الله، 1246/2: رقم الحديث 3794.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ لا يقول المملوك ربي وربتي، 294/4: رقم الحديث 4975.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في لبس البياض، 117/5: رقم الحديث 2810.

النفس؛ بل عند كل مؤمن يلبس الملابس البيضاء الفضفاضة كالجلباب (والقصد هنا-الجلابية)، وغيرها.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ قَالَ « نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (1).

إيغال احتياط، في قوله ﷺ: (الدرك الأسفل)، فجاءت (الأسفل) موعلة في المعنى. فكلمة درك كافية لتمنح المعنى المراد؛ فقد قال صاحب العين: "الدرك: أسفل قَعْرِ الشَّيْءِ، والدَّرك: واحدٌ من أدراك جهنم من السَّبع، والدَّرك: لغة في الدَّرك الذي هو من القَعْرِ. (2) ' وقال محمود بدر الدين العيني: " الدَّرك الأسفل توابيت من نار تطبق عَلَيْهِمْ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: توابيت من حَدِيدٍ تغلق عَلَيْهِمْ، والأدراك في اللُّغة المَنَازِل. (3)

ونظيره ما ورد عَنْ عَمَارَةَ بْنِ الْقُقَعَاءِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) (4)

إيغال الاحتياط في كلمة (خفيفتان)؛ لأنَّ (كلمتان) تفيد بالقلة والخفة والسرعة؛ فجاءت كلمة خفيفتان لتوغل في المعنى؛ وبالتالي تلنقي البراعة الابتدائية الاستهلالية بالإيغال الاحتياطي بالنعت النحوي بالتكثير الذي يفيد التخصيص، مع الإشارات البلاغية التي تدل على مدى خفي هذه الكلمات وعظمة الأجر الذي سيناله.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (من لم يدع الله سبحانه غضب عليه) (5)

فيه إيغال احتياط، (سبحانه) فيه إيغال احتياط، (سبحانه)، فجاءت كلمة سبحانه موعلة في المعنى من باب التأكيد ومن باب النزهة والعظمة لله -جلَّ جلاله؛ لأنَّ في أسلوب النفي ما هو غير لطيف فتوجبت كلمة سبحانه.

(1) حيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 115، 53/1: رقم الحديث 6208.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 218/22.

(3) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 327/5.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1251/2: رقم الحديث 3806.

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل الدعاء، 1258/2: رقم الحديث 3827.

ونظيره ما ورد عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ -جَلَّ جلالُهُ- فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»⁽¹⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (-جَلَّ جلالُهُ-)؛ فأوغلّت في المعنى وأكدت على قدرته -جَلَّ جلالُهُ- فهو الأعلى وهو القاهر فوق عباده ومن -هنا- يلتقي إيغال الاحتياط بالجملة الاعتراضية في كلمة (-جَلَّ جلالُهُ-).

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُكَذِّبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَدِّقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (ويتحرى الكذب)، وفي قوله (ويتحرى الصدق)، فقد أوغل في المعنى وأكدته بضرورة البحث والتحري في هذين الأمرين؛ لكن الأمر الأول سلبى

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا»، وَيَقُولُ «إِنَّهُ لَيْسَ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»⁽³⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (من النبوة)، فأوغلّت في المعنى وأكدت بعد كلمة (بعدي) -أي بعد وفاتي- حيث تنتهي النبوة.

ويميل الباحث إلى أَنَّ هذا الحديث فيه من البلاغة النبوية مما تجعل العقل والفكر يتوقفان عنده، فقد لوحظ أَنَّ الحديث من ألفه إلى يائه ومن فاتحته إلى خاتمته امتلاً بالألوان البيان والبديع وأساليب المعاني وتراكيب اللغة، وقد وُجد أَنَّ الحديث استُهل بتوكيد، ثم بنفي مجاور، ثم التخصيص ثم إيغال الاحتياط، ثم بقصر فاستثناء، ثم بتوصيف وإيجاز، وهذا في تسع كلمات فقط، وعليه ينشأ لدى الباحث ما يسمى بـ (الإبداع)، وهو فنٌ بديعيٌّ جميلٌ يجمع فيه بين فنون البلاغة العربية.

-
- (1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالدين، 1208/2: رقم الحديث 4785.
 (2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ التشديد في الكذب، 297/4: رقم الحديث 4989.
 (3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 304/4: رقم الحديث 5017.

ونظيره ما ورد عَنْ مَالِكِ بْنِ مَعْمَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوَيْفَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ: يَقُولُ (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)⁽¹⁾ مائة مرة

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (أنت)، ومن -هنا- يندمج ضمير الفعل مع إيغال الاحتياط مع التوكيد، مؤدياً بذلك مدى حب الرسول ﷺ لربه، (تب) و(التواب).

ونظيره ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»⁽²⁾

إيغال الاحتياط فهو متمثل في التأكيد والتوكيد والإيغال في المعنى، حيث يحيا الانسان بعد موته، فجاءت كنوع من التكرار لكلمة (الذي أحيانا)، وأما عَنْ إِيْهَامِ التَّنَاسُبِ، فهو في أن كلمة (بعدها أمانتا) تعني الموتة الصغرى -أي (النوم)- ولكلمة (أحيانا) تعني الاستيقاظ من النوم.

ونظيره ما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُقْبِرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ». فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ. فَقَالَ « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ». فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا عَلِمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا ». وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ فِي الْآخِرِ « حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا »⁽³⁾.

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (كلها)، فهي توكيد معنوي مجرور، لكنها أوغلت في المعنى وأكدت لكلمة (صلاتك)، ثم إِنَّ كلمة (كلها) جاءت لتقول: لن تُقبل منك صلاتك إلا أن تنتشر الطمأنينة في ركعاتك كلها، وفي سجوداتك كلها، وبين تنقلاتك كلها فلا صلاة تحتاج إلى راحة وتأمل وتفكر، وكيف ستحقق جملة أرحنا بها يا بلال، وقد صليت صلاة الناقرين لصلاتهم نقرأ!.

(1) سنن ابن ماجه، الأدب/ الاستغفار، 1253/2: رقم الحديث 3814.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 311/4: رقم الحديث 5049.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 18 الاستئذان، 53/1: رقم الحديث 6251.

ومن الجميل ذكره أن كلمة (كلها) جاءت شاملة؛ لكن أركان وأطراف الحديث، لذا لم تذكر كلمة (كلها) عند ختام كل جملة تامة المعنى.

ونظيره ما ورد عن ابن عباس، أن النبي ﷺ، كتب إلى هرقل «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى» قال ابن يحيى، عن ابن عباس، أن أبا سفيان أخبره قال: فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد»⁽¹⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (رسول الله)، فأكدت وأوغلّت في المعنى بأن محمداً - عليه السلام - ليس شخصاً عادياً؛ بل رسول الله ومن حسن الأدب النبوي قال ﷺ (عظيم الروم)، وبالتالي طبق حديثه ﷺ (أنزلوا الناس منازلهم). فحياته - عليه السلام - قائمة بين التنظير والتطبيق، ويعمل بما يعلم، وينفذ بما يعلم. لذا عظم خلقه عند ربه، وصدق قوله عند قومه، وشرف عمله عند صحبه.

ومن الأدب النبوي في حث الإسلام والمسلمين، ولم يقل: (سلام على أهل الروم)؛ بل قال: (سلام على من اتبع الهدى)، حتى لا تختلط أخلاق المسلمين بأخلاق الروم ولا تتوازي الطهارة الإسلامية بالقذارة الغربية وأعداء العقيدة الإسلامية.

ونظيره ما ورد عن يحيى بن يعمر، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، تُسَلِّمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وَامْرُؤٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَبُضْعُهُ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَأْتِي شَهْوَةٌ، وَتَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ؟ قَالَ: «رَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ حَقِّهَا أَكَانَ يَأْتِمُ؟»⁽²⁾

إيغال الاحتياط، في قوله ﷺ: (قط)، فقد أوغلّت في المعنى وأكدت تأكيداً ثانوياً بعد التأكيد الأول والموجود في النفي والجزم (لم يعمل).

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كيف يكتب إلى الذمي، 335/4: رقم الحديث 5136.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب، إمطة الأذى عن الطريق، 362/4: رقم الحديث 5243.

ثالثاً - الخلاصة:

- من الأهمية بمكان القول: إنَّ إيغال الاحتياط من الموضوعات البلاغية العزيزة والنادرة والتي من العسير أن تلتقط، لكن نبينا ﷺ أراد أن يجمع بين ألوان البلاغة وأطراف البيان وأنواع البديع بشقيه اللفظي الهادف والمعنوي المؤثر، فكان الإيغال في هذه الأحاديث الأدبية عبارة عن تأكيد لما ذُكر من سُنَّة نبوية مطهرة ومن دعوة إسلامية تحتاج إلى تأكيد وإيغال.

ويمكن وضع المقاصد التي يطرحها فن الإيغال في مجالات كثيرة أبرزها:

1- إظهار الريب والشك بشكل كبير بحق الظالمين والكفار.

2- التأكيد على كفر الكافرين ومجازاتهم يوم القيامة.

ولعلَّ القيمة الجمالية والدلالية لفن الإيغال تكمن في ترسيخ المعنى، وذلك لوجود التأكيد في الجملة فبدونه يتم المعنى ويكتمل؛ لكن وجوده منح اللفت الانتباهي وتأكيد المعنى.

الفصل الرابع:

القيم الجمالية والفنية للتراكيب النحويّة في
الأسلوب النبويّ.

المبحث الأول:

مظاهر بلاغة التراكيب النحوية في الأحاديث النبوية.

المطلب الأول:

اسم الفاعل

أولاً- التعريف اصطلاحاً:-

قال الناظم ابن مالك رحمه الله تعالى: أُنْبِيَةُ أَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ وَالْمَفْعُولِينَ وَالصِّفَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ بِهَا... أَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ هَذَا جَمْعُ اسْمِ الْفَاعِلِ. وَالْمَفْعُولِينَ الْمَعْطُوفُ عَلَى الْفَاعِلِينَ أَيْ: أَسْمَاءُ الْمَفْعُولِينَ وَهُوَ جَمْعُ اسْمِ مَفْعُولٍ، وَالصِّفَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ بِهَا جَمْعُ صِفَةٍ مُشَبَّهَةٍ. (1)

وقال -أيضاً- في ذات الموضع: "أُنْبِيَةُ أَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ، إِضَافَةٌ أُبْنِيَّةٌ إِلَى أَسْمَاءٍ لِلْبَيَانِ، لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْفَاعِلِينَ اسْمُ فَاعِلٍ وَهَذَا هُوَ بُنْيَةٌ فِي نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُقَالُ: أُبْنِيَّةٌ أَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ؟ نَقُولُ: الْإِضَافَةُ -هُنَا- لِلْبَيَانِ، أَيْ: أُبْنِيَّةٌ هِيَ أَسْمَاءُ الذَّوَاتِ الْفَاعِلِينَ وَأَسْمَاءُ الذَّوَاتِ الْمَفْعُولِينَ، وَغُلِّبَ الْعَاقِلُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِهِ فَجُمِعَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، فَلَيْسَ كُلُّهُ عَاقِلٌ، وَإِنَّمَا مِنْهُ مَا يَعْقِلُ وَمِنْهُ مَا لَا يَعْقِلُ، فَجُمِعَ بِوَاوٍ وَنُونٍ تَغْلِيْبًا لِلْعَاقِلِ. (2)

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتْنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ « وَنَيْكَ قَطَعْتَ عُتْقَ أَخِيكَ - ثَلَاثًا - مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيُقِلَّ أَحْسَبُ فُلَانًا - وَاللَّهِ حَسِيبُهُ - وَلَا أُرِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا . إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ». (3)

اسم الفاعل وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: " مَادِحًا "، وجاء هذا المشتق التصريفي بهذه الطريقة ليكون أبلغ وأكد، وأقوى لفظاً ومعنى من غيره من الألفاظ والمشتقات التصريفي، وقد ناسب اللفظ المعنى بشكل بين.

(1) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن مساعد الحازمي، دروس صوتية، موقع الشيخ الحازمي، 1/82.

(2) المصدر نفسه.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 95، 47/8: رقم الحديث 6162.

ومثله ما ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمرَ - رضى الله عنهما - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «
الْغَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لُؤَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ»⁽¹⁾.

اسم فاعل، في قوله ﷺ: (الغادر)، وهي من المشتقات، فهي أقوى وأبلغ تعبيراً مما لو قيل (أن يغدر) أو (الذي يغدر)، فجاء اسم الفاعل على وزن فاعل لعلّة بلاغيّة، وليست نحوية فحسب، فهي مؤثرة في النفس، وتعطي إشارة مؤداها أن الغدر مستمر وبكثرة في حياة هذا الغادر ومن المعلوم أن اللؤاء في الحديث هو تلك الراية التي توضع تحت (إست) ذلك الظالم الغادر حتى يفتضح يوم القيامة وينادى باسمه.

ثالثاً - الخلاصة:

- ما يمكن قوله في هذه الزاوية: إنّ المشتقات التصريفية لا تأتي إلا وتحمل بعض الإشارات الدلالية فكما أنّ الزيادة في المباني يقابلها زيادة في المعاني، فإن الإضافة في المفردة واشتقاق الأفعال إلى مشتقات تصريفية تعطي دلالات بلاغيّة وقيم جمالية جديدة تضيفها في الجملة الحديثية.

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 96، 53/1: رقم الحديث 6177.

المطلب الثاني

اسم المفعول

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

"اسم مفعول من فعل، دَوَاءٌ لَهُ مَفْعُولٌ قَوِيٌّ : تَأْثِيرٌ، أَثَرٌ، نَتِيجَةٌ، مَفْعُولٌ بِهِ : هُوَ اسْمٌ مَنْصُوبٌ يَقَعُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْفَاعِلِ : قَذَفَ اللَّاعِبُ الْكُرَةَ"⁽¹⁾

اسم المفعول: هو ما اشتق من فعل لمن وقع عليه. وصيغته من الثلاثي المجرد على (مفعول)، كمضروب. ومن غيره على صيغة اسم الفاعل بميم مضمومة وبفتح ما قبل الآخر ك(مستخرج).

وأمره في العمل والاشتراط كأمر اسم الفاعل، مثل: (زيد معطى غلامه درهما).⁽²⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ أَبِي مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (المستشار مؤتمن)⁽³⁾

جاءت اسم مفعول بالصيغة المعروفة وقابلتها أختها المجاورة لهما بنفس الصيغة التصريفية، وهي اسم مفعول، وقد جاء هذا المشتق التصريفي كلفت انتباه وإبراز قوة في اللفظ والمعنى، كما منح التآلف اللفظي، وذلك لوجود صيغتين مشتقتين من باب واحد وهو اسم المفعول.

ثالثاً- الخلاصة:

- إنَّ المشتق التصريفي (اسم المفعول)، قليل الذكر في أحاديث الأدب، لعل ذلك يعود إلى اسم الفاعل فيه لَمَسَات حاضرة ومستشفرة أو مستقبلية، بَيِّدَ أَنْ اسم المفعول فيه إشارات تعود إلى الماضي، لذا قلَّ ذكره.

- وحين التأمل في كلمة (المستشار)، فهي اسم مفعول جاء على الصيغة الثانية وذلك بإضافة ميم مضمومة في المطلق وفتح ما قبل الآخر، فنجد أن هذه الكلمة تقع بين الأزمنة الثلاث وهي الماضي والحاضر والمستقبل، لأنها لفظ تدل على الماضي ومعنى تعيش بين الزمنين الحاضر والمستقبل، وهذه لفظة بلاغية راقية منه ﷺ.

(1) معجم المعاني الجامع، مادة فعل.

(2) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ص41.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ المستشار مؤتمن، 1233/2: رقم الحديث 3746.

المطلب الثالث:

اسم الفعل

أولاً- التعريف اصطلاحاً:-

اسم الفعل هو ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً، والمراد بالاستعمال جريانه كالفعل في عدم التأثير بالعوامل، وبذلك خرجت المصادر والصفات العاملة، فإنها تتأثر بالعوامل، وتنقسم إلى نائب عن الماضي، كـ "شتان" - بمعنى: افترق زيد وعمر - أو بضم، كـ "شتان القوم" ومنه: شتان ما بين زيد وعمر⁽¹⁾.

لأن "ما" موصولة، بمعنى الأمكنة، وقيل: "ما" و"بين زائدتان، وإلى نائب عن الأمر، كـ "صه" - بمعنى: اسكت - و"مه" - بمعنى: اكفف - ولا يسند إلى ظاهر، وإلى نائب عن المضارع، كـ "أوه" - بمعنى: أتوجع - و"إف" - بمعنى: أتضجر - و"مخ" - بمعنى: أكره - ولم يستعمل إلا بمعنى مضارع المتكلم، ولذلك لا يظهر بعد الفاعل. (وما بمعنى: "افعل" كـ "أمين" كثر ... وغيره).⁽²⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ « مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْغُفَّ وَالْفُحْشَ »، قَالَتْ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ « أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهُمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ »⁽³⁾

اسم فعل أمر في كلمة (عليك) بمعنى (الزمي)، وقد جاء اسم الفعل كنوع من التهذيب النبوي، ذلك أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد استخدم النداء التحببي في قوله ﷺ (يا عائشة) قبل الأمر النبوي الذي ينم عن الإلزام، ومن زاوية أخرى، فإنه - عليه الصلاة والسلام، قد وظف اسم فعل الأمر لا فعل الأمر مباشرة، وقد وجد الباحث أن في هذا خلق رفيع من قبل النبي ﷺ لأنه استخدم أمر ليس مباشراً من خلال اسم الفعل، فكان أكثر خلقاً، وأدباً، وبالتالي خرجنا من إطار النحو لنجد بعضاً من الفنون البديعية والدلائل والأسرار الجمالية.

(1) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد السهلي، 714/2

(2) المرجع نفسه، 741/2.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 38، 53/4: رقم الحديث 6030.

ومثله ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ مَائَةٍ وَسِتُّونَ، مَفْصَلًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْهُ بِصَدَقَةٍ» قَالُوا: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «النُّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَذْفِنُهَا، وَالشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِيكَ»⁽¹⁾

اسم فعل أمر، في قوله ﷺ: (فعليه) بمعنى (الزم)، وهو اسم ومعناه فعل فجاء للوجوب؛ ولكن أبلغ تعبيراً مما لو قيل (فيتعين عليه)، أو (يجب أن ينفذ)، فكلمة (عليه) أبلغ وفيها قوة في التأكيد من زاويتين:

الأولى: جمعت بين الاسم والفعل، فهي أقوى وأكثر تأثيراً.

والثانية: هو أكثر إيجازاً من أي كلمات أخرى، فهي كلمة واحدة جمعت بين نوعين (الاسم والفعل)، وهي مختصرة، كذلك هي أبلغ وأقوى.

ومثله ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ «وَيْحَكَ يَا أَنْجَسَتُهُ، رُؤْيَاكَ سَوَقًا بِالْقَوَارِيرِ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِعَصُكُمُ لَعَبَثُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ «سَوَقَكَ بِالْقَوَارِيرِ»⁽²⁾

اسم فعل أمر بمعنى (أمهل أو أرفق)، في قوله ﷺ: (رويدك)، فلو قلنا متسائلين: ما الأمر النحوي في الجملة؟ لسقنا ما ساقه صاحب عمدة القاري بقوله: "ويحك، كلمة ترحم وتوجع يقال لمن يقع في أمر لا يستحقه، وانتصابه على المصدرية، وقد تُرفع وتُضاف ولا تُضاف، يقال: ويح زيد وويحاً له وويح له"⁽³⁾.

اسم فعل أمر بمعنى (أمهل أو أرفق)، في قوله ﷺ: (رويدك)، وجاء اسم الفعل في هذا الحديث؛ ليمنح مزيداً من إعمال العقل والتفكير، ولفت الانتباه، لأنه يستخدم صيغة غير متداولة، كما جاء الأسلوب بنوع من حسن الأدب ولطافة التعبير. وذكر صاحب تاج العروس فقال: (ويح): وَيُحُّ لَزِيدٍ، بِالرَّفْعِ، وَيُحًّا لَهُ بِالنَّصْبِ، كَلِمَةُ رَحْمَةٍ، وَوَيْلٌ كَلِمَةُ عَذَابٍ. وقال الأصمعي: الْوَيْحُ تَرْحُمٌ. وقال أبو زيد: الْوَيْلُ هَلَكَةٌ وَالْوَيْحُ قُبُوحٌ، وَالْوَيْسُ تَرْحُمٌ.⁽⁴⁾

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إمطة الأذى عَنْ الطريق، 361/4: رقم الحديث 5242.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/4: رقم الحديث 6149.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 185/22.

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة ويح.

ثالثاً - الخلاصة:

- من حيويّة اللغة العربيّة أنّك ترى اشتقاقات تصريفية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المرة واسم الهيئة والصفة المشبهة باسم الفاعل وغير ذلك، ثم ترى أن اللفظة الواحدة قد تصل إلى أربعين معنًى ككلمة (عين)، وغير ذلك.

المطلب الرابع:

اسم الهيئة

أولاً- المفهوم الاصطلاحي:

اسم الهيئة، وهو: "اسمٌ مَصَوِّغٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَدُثُ عِنْدَ وَقْعِهِ.

وَزُنُّهُ: (فِعْلَةٌ) نحو: (جِلْسَةٌ، قِعْدَةٌ، مِيْتَةٌ، ذُبْحَةٌ)".⁽¹⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا

مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَرَكْضَنِي بِرِجْلِهِ: وَقَالَ (يَا جَنِيدُ إِنَّمَا هَذِهِ ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ)⁽²⁾

وهذه الضَّجْعَةُ (وهي اسم هيئة) بكسر الضاد هي جلسة وهيئة لأهل النار، ففي هذا الأسلوب الندائي والقصري بـ (إنما) هو نوع من المنع والتحذير، وهذا الأمر ليس منطبقاً على أَبِي ذَرٍّ فَحَسَبَ، وإنما على كل مسلم ينبغي له أن يتجنب هذا الأمر؛ لأنه ليس من أفعال أهل الصلاح، فضلاً عَنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ بِمَكَانٍ.

ثالثاً- الخلاصة:

- من الجميل أن نقول: إِنَّ الْمَشْتَقَّ التَّصْرِيفِي (اسم الهيئة) من المشتقات المحببة والتي تنتشر وتنتثر كثيراً من الدلالات والإشارات واللفقات البلاغية الراقية، فكلمة ضجعة، كما في الحديث السابق أفادت معنى تقبلها النفس ويتذوقها اللسان ويقتنع بها العقل، لأنها تتماشى مع الواقع فالقعدة وضجعة تكونان إلى الأسفل، فيتناسب الكسر السفلي مع القعدة التحتية والضجعة الأرضية.

(1) المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب، ص 156.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ النهي عَنْ الاضطجاع على الوجه، 1227/2: رقم الحديث 3724.

المطلب الخامس:

ضمير الفصل

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

"ضمير الفصل (أو العِماد) - هو أحد الضمائر المنفصلة، يأتي لإزالة اللبس في الكلام، ويكون عادة بين المبتدأ والخبر، أو ما كان أصله مبتدأ وخبراً - بعد دخول النواسخ عليه.

وضمير الفصل نستخدمه لتمييز الخبر من التابع (كالنعت أو البدل)، ففي قولنا- "جميل الناجح" قد يفهم أن (الناجح هو نعت لجميل)، وعندها ينتظر المتلقي تنمّة الجملة، أو قد يفترض انتهاء الجملة، وكأن كلمة "الناجح" أخبرت عن جميل"⁽¹⁾.

الفصل مصدر الفعل "فَصَلَ يَفْصِلُ"، وهو من باب فَعَلَ يَفْعِلُ، يُقَالُ: فَصَلَ بَيْنَهُمَا يَفْصِلُ فَصْلاً كقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽²⁾، وقد تأتي الصيغة مصدراً بمعنى اسم فاعل: (فاصل)

واسم الفاعل (فاصل) وهي صفة من صفات الله تبارك وتعالى كقوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾. والمراد به لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك حتى كأنه نفس الفصل.

أما في المفهوم الاصطلاحي: فالفصل في اصطلاح النحاة البصريين هو صيغة ضمير منفصل مرفوع يتوسط بين المبتدأ والخبر أو بين اسم كان وخبرها، أو بين اسم إن وخبرها، أو بين المفعول الأول والثاني في باب ظن وأخواتها، شريطة أن يكون الخبر معرفةً أو ما قاربها⁽⁴⁾ - وظيفة ضمير الفصل.

(1) الكتاب، سيبويه، تحقيق د. عبد السلام هارون، ص 395.

(2) الحج: 17.

(3) يوسف: 40.

(4) الكتاب، سيبويه، تحقيق د. عبد السلام هارون، ص 395.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ، قَالَ: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»⁽¹⁾

ضمير منفصل في قوله (أنت) فهي جاءت كلفتة انتباهية وتأكيد مقدم قبل عملية النداء، في قوله ﷺ: (يا أبا ذر)، فلم تأت كلمة (أنت) مجرد ضمير منفصل مبني في محل نصب مفعول به لفعل محذوف.

ومثله ما ورد عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّيِّبِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ «نَعَمْ هُوَ فِي ضَخْصَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»⁽²⁾.

ضمير الفصل، في قوله ﷺ: (لولا أنا)، والمراد المعروف تركيبياً ونحوياً هو (لولاي)؛ لكن أراد ﷺ أن يؤكد من خلال ضمير الفصل (أنا) كنوع من التأكيد على أن كان له بصمة بفضل الله -جلّ جلاله- في نفع عبد المطلب وهو عم النبي ﷺ.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»⁽³⁾

ضمير منفصل (أنت) جاء مكرراً أربع مرّات للتأكيد على قدرته -جلّ جلاله-.

ثالثاً - الخلاصة:

جاء ضمير الفصل ليعطي إفادة بلاغية تتمثل في لفت الانتباه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يفيد التأكيد والتخصيص والتركيّز.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، 333/4: رقم الحديث 5126.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 115، 53/1: رقم الحديث 6208.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقال عند النوم، 312/4: رقم الحديث 5051.

المطلب السادس:

الفعل المزيد

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

قال الشَّارح: " الفعل ينقسم إلى: مُجَرَّد وإلى مزيد فيه، كما انقسم الاسم إلى ذلك، وأكثر ما يكون عليه المُجَرَّد أربعة أحرف، وأكثر ما ينتهي في الزيادة إلى ستة، وللثلاثي المُجَرَّد أربعة أوزان " ابن عقيل جرى على ما نصَّ عليه ابن مالك رحمه الله".⁽¹⁾ ثلاثة لفعل الفاعل، وواحد لفعل المفعول، فالتى لفعل الفاعل (فَعَلَ) بفتح العين ك: ضَرَبَ وذهب، (وَفَعَلَ) بكسر العين ك: شَرِبَ وَفَرِحَ، كان الأولى يُمَثَّل للمتعدّي واللازم يقول ك: ضَرَبَ وَذَهَبَ، تفهم منه أن (ضَرَبَ) للمتعدّي، و(ذَهَبَ) لللازم".⁽²⁾

أما المزيد فيه فإن كان ثلاثياً صار بالزيادة على أربعة أحرف ك: ضَارِب، أو على خمسة ك: انطلق، أو على ستة ك: استخرج، وإن كان رباعياً صار بالزيادة على خمسة ك: تَدَخَّرَج، أو على ستة ك: احرنجم".⁽³⁾

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)⁽⁴⁾

الفعل المزيد، في قوله ﷺ: (لَأَسْتَغْفِرُ) بالصيغة الطلبية التي على وزن (استفعل) قاصداً بذلك الاستمرارية والطلب بالالتزام بهذا الأمر المحمود؛ وبالتالي مَزَج الخبر الانكاري التوكيدي بالفعل المزيد الدال على الطلب، قاصداً بذلك التوكيد والتأكيد؛ بل الحث على الاستغفار.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقَمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ " لَقَدْ حَجَرْتَ " .

(1) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، الحازمي، دروس صوتية، موقع الشيخ الحازمي، 18/133.

(2) انظر: المصدر نفسه.

(3) انظر: شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، الحازمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، 19/133.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ الاستغفار، 1254/2: رقم الحديث 3815.

إنَّ الفعل (حجرت)، وهو فعل مزيد، مضعف على وزن فعَّلت، فالتضعيف والتشديد التقى مع السرِّ البلاغيِّ المائل في التأكيد على أنَّ الصحابي بالغ وضاعف في هذا الأمر وهو التحجير. وقد استبدل الرسول ﷺ كلمة (حجرت) بكلمة (ضيقت) لتوضيح مدى القسوة القلبية التي تشاكل وتضاهي القسوة الحجرية.

ويؤكد ما نقوله صاحب عمدة القاري حيث قال: " لقد حجرت" من الحجر والتحجير، يقال: حجر القاضي عليه إذا منعه من التصرف، يعني: ضيقت واسعا. وخصصت ما هو عانٍ؛ إذ إنَّ رحمته وسعت كل شيء⁽¹⁾ .

ومن هنا نستنبط -أيضًا- الملامح الأخلاقية والدلائل التربوية والأسرار الإيمانية حيث يقول سيد قطب في ظلاله: "أنكر ﷺ على الأعرابي لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله -تعالى- على من فعل خلاف ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾⁽²⁾ ثم قال معللا ومفسرا: "فتتجلى الأصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب وتتفرد وحدها في القلوب تحرك المشاعر خلال القرون الطويل"⁽³⁾.

ثالثًا - الخلاصة:

- يتضح لدى الباحث -هنا- أنَّ الفعل المزيد حمل دلالات بلاغية وآثار دلالية وقيم جمالية وتأثيرات نفسية وإحساءات لم تبرز في الأفعال المجردة من الزيادة.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العيني، 106/22.

(2) [الحشر: 10]

(3) في ظلال القرآن - سيد قطب، ص 3527

المطلب السابع:

المصدر المؤول

المفهوم الاصطلاحي:

المصدر المؤول هو مصدر تقديرّي يؤخذ من حرف مصدري مع فعل أو اسم، وربما جاء بدون الحرف المصدري. ⁽¹⁾ وقد ذكر النحويون في سرّ هذا العدول عدة أوجه: ⁽²⁾ أحدهما: "الدلالة على الحدث المقترن بالزمن؛ لأن الحدث قد يكون فيما مضى، وفيما هو آتٍ وليس في صيغته ما يدل على مضي أو استقبال" ⁽³⁾ "فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع (أن) ليجتمع لهم الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان، فيدل على المستقبل بنحو: يعجبني أن تقوم، وعلى الماضي بنحو: أعجبني أن قمت" ⁽⁴⁾.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجماليّة والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب التصريفي ما ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ، فَجَعَلَتْ تُفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» وَرَأَى قَرْيَةً نَمْلٌ قَدْ حَرَّقَهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ» ⁽⁵⁾

مصدر مؤول، في قوله ﷺ: (أن يعذب).

إنّ هذا الحديث المشطور تعددت فيه الأساليب اللغويّة والنحوية مخلفة وراءها جمال بلاغيّ وبديعي فقال مؤكدا: (إنّه)، ثم قال ناهياً: (لا ينبغي) ثم ذكر المصدر (أن يعذب)، ثم ذكر الجار والمجرور، ثم استخدم القصر، ثم ذكر المضاف والمضاف إليه.

(1) ينظر نتائج الفكر في النحو، للسهيلى ص 126-127.

(2) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وآخرون 1/149.

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، 1/281.

(4) المصدر المؤول وأحكامه النحوية، د. فتحي أحمد عبدالعال إسماعيل، ص 881.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ قتل الذر، 367/4: رقم الحديث 5268.

المبحث الثاني: التركيب اللغوي في الميزان البلاغي.

المطلب الأول: أسلوب التحذير

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

(التَّحْذِيرُ) مصدر حَذَرَ يُحَذِّرُ تحذيراً، مصدر حَذَرْتُ فلاناً كذا، أو حَذَرْتَهُ من كذا، أي: حَوَّفْتَهُ، فالتحذير في اللغة بمعنى: التخويف⁽¹⁾، وفعله يَتَعَدَّى إلى مفعولين: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾⁽²⁾ (يُحَذِّرُكُمُ) الكاف مفعول، (نَفْسَهُ): مفعولٌ ثاني، إذاً: يتعدى إلى مفعولين.

واصطلاحاً: المشهور عند النحاة أنه التحذير: تنبيه المخاطب على أمرٍ مكروهٍ ليجتنبه، هذا المشهور، ولكن إذا قيل: بأنه تنبيه المخاطب على أمرٍ مكروهٍ ليجتنبه، نأتي على شرحه ثم ننقضه⁽³⁾.

وفي الاصطلاح عندهم: تنبيه المخاطب على أمرٍ محمودٍ ليفعله، إذاً: كلاهما تنبيه، وكلاهما متعلقان بالمخاطب، لا المتكلم ولا الغائب، إنما نصوا على المخاطب لما سيأتي، وهو مقيسٌ فيه⁽⁴⁾.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ « مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْغُفَّ وَالْفُحْشَ ». قَالَتْ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ « أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ »⁽⁵⁾

(1) انظر: شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد الحازمي، موقع الشيخ الحازمي 12/112

(2) آل عمران: 28.

(3) انظر: شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد الحازمي، موقع الشيخ الحازمي 12/112

(4) المصدر نفسه، 12/112.

(5) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 38، 53/1: رقم الحديث 6030.

أُسْلُوبُ تَحْذِيرٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (وَإِيَّاكَ وَالْعَنْفَ وَالْفَحْشَ)، وَمِنَ اللَّافِتِ أَنَّهُ ﷺ اسْتَعْمَلَ أَكْثَرَ مِنْ أُسْلُوبٍ لُغَوِيٍّ يَفِيدُ الْأَمْرَ، فِي كَلِمَةِ (مَهْلًا) وَإِعْرَابُهَا مَصْدَرٌ لِفِعْلِ الْأَمْرِ (تَمَهَّلِي مَهْلًا) أَوْ مَفْعُولٌ مَطْلُوقٌ مَنْصُوبٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ فِيهِ أَمْرٌ (تَمَهَّلِي). وَفِي كَلِمَةِ (عَلَيْكَ) كَذَلِكَ اسْمٌ فِعْلٍ أَمْرٌ.

وَشَبِيهَهُ مَا وَرَدَ عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيُكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَبَلِّغْ لَهُ وَبَلِّغْ لَهُ»⁽¹⁾

أُسْلُوبُ التَّحْذِيرِ (إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ) كَنُوعٌ مِنَ النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ وَالْمُقْلَقِ، فَكَلِمَةُ (إِيَّاكَ) كَفِيلَةٌ بِتَأْثِيرِهَا عَلَى النَّفْسِ وَاضْطِرَابِ الْإِنْسَانِ بِسَمَاعِهَا، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ التَّحْذِيرِيَّةَ وَهِيَ مِنَ الْأَسَالِيبِ اللَّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تَلْتَقِي مَعَ أُسْلُوبِ الْإِنْشَائِيِّ النَّهْيِ كَتَرْكِيبِ نَحْوِيٍّ مَعَ وَجْهَةٍ بِلَاغِيَّةٍ مَفَادُهَا الرَّدْعُ وَالتَّحْذِيرُ. وَمِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى فَنَرَى الرَّسُولَ ﷺ قَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنْ بِصِيغَةٍ أَقْوَى وَأَبْلَغَ وَذَلِكَ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ)، وَهِيَ تَطَابُقُ (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ) وَكَلِمَةُ (عَلَيْكُمْ).

وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ « وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُؤْيَاكَ سَوَقًا بِالْقَوَارِيرِ ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِعُضُكُمُ لَعَبَثُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ « سَوَقًا بِالْقَوَارِيرِ »⁽²⁾ .

أُسْلُوبُ إِنْشَائِيٍّ تَحْذِيرِيٍّ نَوْعُهُ تَعْجَبٌ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (وَيْحَكَ)، وَتَفِيدُ الدَّهْشَةَ، فَهِيَ بِمَعْنَى مَا أَدْهَشَكَ، وَجَاءَ التَّحْذِيرُ بُغْيَةً الْمَنْعِ وَالزَّجْرِ وَالتَّوْبِيخِ لَمَّا فِي الْأَمْرِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ضَرَرٌ يَلْحَقُ بِصَاحِبِهِ.

ثَالِثًا - الْخُلَاصَةُ:

- مِنَ الْمَعْلُومِ -يَقِينًا- أَنَّ رِسَالَةَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا وَاحِدَةٌ وَدَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَشَعَارُهُمْ وَاحِدٌ يَتِمَثَّلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ وَهَذَا لَا يَتَأْتِي إِلَّا مِنْ خِلَالِ سَبِيلَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا، وَهُمَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لِذَا اتَّسَمَتِ أَحَادِيثُ الْعَدْنَانِ ﷺ بِالْإِغْرَاءِ تَارَةً وَبِالتَّحْذِيرِ تَارَةً أُخْرَى فَالْإِغْرَاءُ مِنْ خِلَالِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ خِلَالِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ التشديد في الكذب، 297/4: رقم الحديث 4990.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 90، 53/1: رقم الحديث 6149.

المطلب الثاني:

أسلوب التفضيل

أولاً- التعريف اصطلاحاً:-

قال ابن مالك- رحمه الله- تعالى- في ألفيته: أَفْعَلُ التَّفْضِيلُ: أي هذا باب بيان ما يتعلق بأفعل التفضيل، وأفعل مضاف والتفضيل مضاف إليه من إضافة الشيء إلى نوعه؛ لأن أفعل ليس دائماً يكون للتفضيل، بل هو أنواع قد يكون للتفضيل وقد يكون لغيره، لذلك مرّ أنه يأتي للتعجب: ما أحسن زيد، بِأَفْعَلٍ انْطِقْ بَعْدَ مَا تَعَجَّبَا، أَفْعَلٌ حِينَئِذٍ جَاءَ لغير التَّفْضِيلِ. (1)

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عَنْ عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ فِرْيَةً لِرَجُلٍ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرَاهَا. وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَى أُمَّهُ (2) .

أسلوب تفضيل في كلمة (أعظم)، فهي تفيد الشمول والقوة، فهي ليست كلمة إخبارية أو معلومة إنبائية جاءت مع الخبر التوكيدي الطلبي فقط، وإنما لخطورة الأمر والتوبيخ على صانعي هذه القضية.

ومثله ما ورد عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»، أَوْ «بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «اِذْنُوا لَهُ» فَلَمَّا دَخَلَ أ؛ لَأَنَّ لَهُ الْقَوْلَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ وَقَدْ قُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ، قَالَ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ، النَّاسُ لِاتِّقَاءِ فُحْشِهِ» (3)

أسلوب تفضيل، في قوله ﷺ: (شَرٌّ) بمعنى أشرّ، فقد تلا التوكيد بـ(إِنَّ) اسم التفضيل في القبح والشر، وذلك في كلمة (شَرٌّ)، كيف ولا وقد تجنب الناس من الأفعال الشنيعة التي خلفها هذا الشَّرِّير صاحب الفواحش والظلم، فجاء التوكيد وحسن التعليل واسم التفضيل ليؤكد بلاغياً مدى الأثر النفسي الذي سيصيب هذا الإنسان الشرير، فربّما يُردع من سماع هذا الحديث النَّبَوِيِّ، وبالتالي فيه دلالة على الزجر والحزم والجزم نحو كل من يعادي المسلمين.

(1) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد الحازمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، 1/87.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ ما كره من الشعر، 1237/2: رقم الحديث 3761.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حسن العشرة، 251/4: رقم الحديث 4791.

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبِئُهُ وَأَغِيظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ».⁽¹⁾

اسم تفضيل، في قوله ﷺ: (أغيط)، فمن ناحيتها اللغوية نراها مؤدية إلى سرِّ بلاغي بديع وجميل متمثل في حسن الابتداء وبراعة الاستهلال.

عَنْ مِيمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم" ⁽²⁾

أُسْلُوبُ تَفْضِيلٍ عَلَى وَزْنِ (أَفْعِلْ)، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (أَطْهَرُ) وَ(أَطْيَبُ)، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْأُسْلُوبُ لِيَسَاعِدَ عَلَى نَقْلِ الصُّورَةِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَهُوَ مَائِلٌ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْحُ التَّعْبِيرِ قُوَّةَ وَجْزَالَةٍ، وَتَقْرِيبَ الصُّورَةِ وَالتَّوْضِيحِ.

وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ هَانِيءٍ قَالَتْ أَتَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَيْتُ عَلَى عَمَلٍ. فَإِنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدَنْتُ: فَقَالَ "كَبُرِيَ اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ. وَاحْمَدِيَ اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ. وَسَبَّحِيَ اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ. خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ مَلْجَمٍ مَسْرُجٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ. وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ رَقَبَةٍ" ⁽³⁾

أُسْلُوبُ تَفْضِيلٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ ...)، وَقَدْ وَظَفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأُسْلُوبَ بِشَكْلِ كَبِيرٍ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَهُوَ بِمَعْنَى (أَخِيرٌ وَأَفْضَلُ وَأَجُودُ)، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْأُسْلُوبُ لِيَسَاعِدَ عَلَى نَقْلِ الصُّورَةِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَهُوَ مَائِلٌ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْحُ التَّعْبِيرِ قُوَّةَ وَجْزَالَةٍ، وَتَقْرِيبَ الصُّورَةِ وَالتَّوْضِيحِ.

عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا ⁽⁴⁾

أُسْلُوبُ تَفْضِيلٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (خَيْرُ)، وَهِيَ صِيغَةُ التَّفْضِيلِ الْمَشْهُورَةُ لَدَى الْعَرَبِ وَهِيَ بِمَعْنَى أَخِيرٍ. وَجَاءَتْ لَتَوْضِيحِ الْأَمْرِ بَيْنَ مَفْعُولَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ وَصِنَاعَتَيْنِ مُتَبَايِنَتَيْنِ وَالْأُولَى مِنْهُمَا

(1) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك، 174/6: رقم الحديث 5735.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في لبس البياض، 117/5: رقم الحديث 2810.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل التسبيح، 1252/2: رقم الحديث 3810.

(4) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء؛ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا خَيْرٌ ...، 141/5: رقم الحديث 2851.

أقل سوءًا وضررًا من الثانية، فجاء اللفظ التفضيلي ليعلم السامع أيّ العلاج أفضل لمن ارتكب ذنب التشبث بالشعر وحبّه، والعيش معه بشكل متلائم قد يضره لاحقًا.

ومثله ما ورد عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: «يَلْعَنُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَلْعَنُ أَبَاهُ، وَيَلْعَنُ أُمَّهُ، فَيَلْعَنُ أُمَّهُ»⁽¹⁾

اسم التفضيل، في قوله ﷺ: (أكبر)؛ لدلالة بلاغية وأسرار واضحة، فلم تأت كلمة (أكبر) كتركيب لغوي دون إشارة بلاغية، بدليل أنها على وزن أفعال، وفيها تفضيل، وبالتالي جاءت الكلمة -هنا- لتعظيم وتهويل الموقف؛ لأنه لا يتصور ولا يتخيل -أبدًا- أن يصل العقوق إلى درجة اللعن.

إنّ المصدر المؤول في جملة (أن يلعن) جاء لإشارة بلاغية ودلالية، فلم يأت مجرد تركيب نحوي صرفي صرف؛ بل جاء ليفيد أن اللعنة المتكررة هي من أكبر الكبائر، وربما تكون لعنة واحدة في حياة المرء ثم يتوب توبة نصوحا؛ لكن استخدم -هنا- الفعل المضارع الدال على الاستمرارية، فهي من المصيبة بمكان.

ومثله ما ورد عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتِنُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَنْهَكِي فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرْأَةِ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ الْبُعْلُ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِمَعْنَاهُ وَإِسْنَادِهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «لَيْسَ هُوَ بِالْقَوِي وَقَدْ رُوِيَ مُرْسَلًا»⁽²⁾

أُسلوبُ التفضيل، في قوله ﷺ: (أحظى) و(أحب) فجاء اسم التفضيل كسر بلاغي ماثل في المبالغة والكثرة والتفاوت في الأفضلية وعليه لم يأت أُسلوبُ التفضيل كأُسلوبٍ لغوي بحت بعيد عن السرّ البلاغي؛ بل جاء ومعه مَلَمَحٌ جمالي بلاغي ومن العجيب للتركيب الحرفي في كلمتي (للمرأة) و(إلى البعل) أنّ وجود اللام لصيقة بالمرأة؛ لأنّ الختان والنهي عنه خاص بالنساء، فالتصقت اللام بالمرأة، بيّد أن هذا بعيد عن البعل، فجاء حرف الجر (إلى)؛ لأنه ليس لصيقا بالبعل كما المرأة.

ومثله ما ورد عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ قَالَ

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ بر الوالدين، 336/4: رقم الحديث 5141.

(2) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ العلم، 53/1: رقم الحديث 5271.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا »⁽¹⁾

كلمة أحسنكم اسم تفضيل على وزن (أفعلكم)، ولو قيل (إن من خيركم أحسنكم)، لما كان أجود وأبلغ وأفصح.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة (خلقًا) جاءت تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة؛ إلا أنها جاءت لتفيد أمرين بلاغيين:

- فمن ناحية هي إتمام للمعنى وتوضيحه.

- ومن ناحية ثانية جاءت مفسرة ومزيلة للإبهام وأعطت قوة في التعبير.

ومثله ما وردَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ »⁽²⁾

اسم تفضيل في قوله ﷺ: (أصبر)، وهي على وزن (أفعل)، فجاءت للمبالغة والتأكيد على أنه لا يوجد صبر يضاهي أو يوازي صبر الله -جلَّ جلاله، إذ يصبرُ على من يدعون أن له ولدا، ثم يرزقهم أولادا.

ومثله ما ورد عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَتْ عَائِشَةُ صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّ عَنْهُ قَوْمٌ فَلَبَّغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً »⁽³⁾

اسم تفضيل في (اعلمهم) و(أشدهم)، فجاءتا على وزن أفعلهم. من باب المبالغة والتأكيد.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفِي النَّبْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ »⁽⁴⁾

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 38، 53/1: رقم الحديث 6029.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 71، 53/1: رقم الحديث 6099.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 72، 53/1: رقم الحديث 6101.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 75، 53/1: رقم الحديث 6109.

اسم التفضيل في كلمة (أشد)، وقد منحت دلالة بلاغية وتأكيذية ملفتة في حق من يصورون الصور والتماثيل، فالحرمانية كانت مباشرة منه ﷺ حيث كانت الاستجابة لما رأى من شيء يغضب الله ورسوله، وقد ظهر غضبه في حديثه في قوله ﷺ: (من أشد الناس عذاباً)، فهذا يعطي إشارة من الجانب النفسي للنبي ﷺ أنه في حالة غضب وحزن شديدين لكن هذا الغضب في محله فالغضب لله ولدينه القويم.

ثالثاً - الخلاصة:

- إن أسلوب التفضيل اللُّغويَّ النَّحويَّ ظهر جلياً على ألسنة العرب، لأن العرب يرون أن هناك الجيد وهناك الأجود وهناك الدقيق وهناك الأدق وهناك الحسن وهناك الأحسن، ومن باب أولى أن يكون الحديث النَّبويُّ الذي يحمل الدين الإسلامي من الأحاديث التي من الضروري جداً أن يتواجد فيه التمييز والتمايز بين المسلم والمؤمن وبين العاصي والكافر وبين التقي والورع، وبين المقنت والمُلحّ، لذا قابل هذا في الجنة درجات متفاوتة كما قابل ذلك دركات متفاوتة لأهل النار وبئس القرار.

المطلب الثالث

أسلوب الشرط

أولاً- التعريف اصطلاحاً:-

يُعَدُّ الشرط من الأساليب الرئيسة في العربية، وقد عُرِفَ بأنه: (تعلقُ شيءٍ بشيءٍ بحيث إذا وجدَ الأولُ وجدَ الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقَّفُ عليه وجود الشيء، يكون خارجاً عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط ما يتوقَّفُ ثبوت الحكم عليه)⁽¹⁾، وقال فيه الفاكهي: (هو تعليق حصول مضمون جملة هي جملة جواب الشرط بحصول مضمون جملة أخرى هي جملة الشرط)، وكان سيبويه أول من اصطلح على الشرط مصطلح الجزاء⁽²⁾، ولم تكن مصطلحات الشرط مستقرّة بعد، لذا تعددت التسميات في كتابه، فسمّى جملة جواب الشرط بـ (جواب الجزاء)، ومرة أخرى سمّاها جواب الفعل الأول، وتارة ثالثة سمّاها الإخبار⁽³⁾. ويقول ابن مالك:

فِعْلَيْنِ يَقْتَضِيَنَّ شَرْطُ قَدْماً يَتْلُو الْجَزَاءَ وَجَوَاباً وَسَمّاً⁽⁴⁾

ويلحق ابن عقيل في شرحه قائلاً: "يعني: عرفنا أنّ هذه الأدوات تقتضي فعلين، يعني: يظهر أثرها وهو الجزم في فعلين، الأول: يُسمّى الشرط، والثاني: يُسمّى جواب الشرط، ولذلك قال: يَقْتَضِيَنَّ فِعْلَيْنِ، يعني: يطلبن فعلين، لا يظهر أثر الجزم وأثر الشرط إلا في فعلين. (فِعْلَيْنِ يَقْتَضِيَنَّ) يعني: يطلبن .. يقتضين فعلين، (فِعْلَيْنِ) هذا مفعولٌ مُقَدَّم لقوله: (يَقْتَضِيَنَّ) يعني: يقتضين هذه الأدوات، النون -هنا- نون الإناء وهي فاعل.⁽⁵⁾

وبشأن التقييد بالشرط يقول بعض البلاغيين: "ومع اتفاق البلاغيين على أن "أن" و"إذا" للشرط في الاستقبال، أي تفيد حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال فإنهم يفرقون بينهما بأن أصل "إن" عدم الجزم بوقوع الشرط، وأصل "إذا" الجزم بوقوعه.⁽⁶⁾

(1) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، (ت 816هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ص 166.

(2) ينظر: الكتاب، سيبويه، 3 / 35، 63.

(3) الأصول في النحو، لأبي بكر بن سهل بن السراج ت 316هـ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، 2 / 200.

(4) شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمداني، 2/370.

(5) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، 1/87.

(6) ينظر خصائص التراكم (دراسة تحليلية لمسائل علم المعان)، محمد أبو موسى، ص 253.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عَنْ حرملة بن عمران قَالَ سمعت أبا عشانة المعافري قَالَ سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة) ⁽¹⁾

ومثله ما ورد عَنْ يزيد بن أبي حبيب عَنْ أبي الخير عَنْ عقبة بن عامر أنه قال قلنا لرسول الله ﷺ إنك تبعتنا فننزل بقوم فلا يقرونا. فما ترى في ذلك ؟ قال لنا رسول الله ﷺ: (إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا. وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم) ⁽²⁾

أُسلوبُ الشرط، في قوله ﷺ: (إن نزلتم بقوم فأمرؤا ..)، أُسلوبُ الشرط، في قوله ﷺ: وإن لم يفعلوا فخذوا، وجاء الشرط من أجل الإقناع والتأثير والانتباه، ومن ثم أخذُ الحيطة وغرض هذا الحديث التحذير.

ومثله ما ورد عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " اسْمُ أَبِي مَرْحُومٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْمُونٍ " ⁽³⁾ .
أُسلوبُ الشرط، في قوله ﷺ: (من كظم غيظا ... دعاه الله).

ومن المعلوم -يقينًا- أن القرآن معجز ببلاغته لكن الحديث الشريف ليس معجز ببلاغته؛ ولكن يلحظ الباحث أن الحديث النبوي هو عين البلاغة الواقية؛ لأنه ﷺ تأثر بهذا القرآن المعجز ببلاغته؛ بل أنزل عليه القرآن وبالتالي نلاحظ التناسل النبوي، في قوله ﷺ: (من كظم غيظا) متأثرا بالقرآن، في قوله-جلَّ جلاله- "والكاظمين الغيظ"، وفي هذا الحديث دعوة نبوية إلى كظم الغيظ في المقدرة وعدم المقدرة في القوة والبأس، وفي غير ذلك، فإن هذا من جميل صفات المسلمين، أما عَنْ الأجر المناظر لهذا الصنيع الجميل فهو تخيير الله -جلَّ جلاله- له من الحور العين ما يريد ويشتهي وغرض هذا الحديث الإلزام.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالدين والإحسان إلى البنات، 1210/2: رقم الحديث 3669.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ حق الضيف، 1212/2: رقم الحديث 3676.

(3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ من كظم غيظا، 248/4: رقم الحديث 4777.

ومثله ما ورد عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا سَلِمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ) ⁽¹⁾

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ (إِذَا سَلِمَ ... فَقُولُوا)، فَجَاءَ الشَّرْطُ مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ بِمَقْتَضَى مَا جَاءَ مِنْ أَمْرِ نَبِيِّ مِثْلٍ فِي كَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ عِنْدَ التَّسْلِيمِ، وَبِالتَّالِي جَاءَ الشَّرْطُ مَصْحُوبًا بِأَمْرِ نَبِيِّ وَبِقَرَارِ إِلَهِي وَيَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَأْخُذَ بِهَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ دَمَجُ بَدِينِ الْإِسْلَامِ وَالْأَدْيَانِ الْأُخْرَى الَّتِي زَيَّفَتْ عِبْرَ التَّارِيخِ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ الْمُسْلِمُ ضَعِيفًا يَسْتَهْزِئُ بِهِ هُنَا وَهُنَاكَ وَغَرَضُ هَذَا الْحَدِيثِ التَّكْلِيفُ.

ومثله ما ورد عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - رَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الرَّحِمُ شَجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ» ⁽²⁾.

أُسْلُوبُ شَرْطِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ). وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْسِي قَدْ جَاءَ أُسْلُوبُ الشَّرْطِ فِي الْحَدِيثِ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى أَمْهِمِيَّةِ صِلَةِ الرَّحِمِ وَخَطَرِهَا مَنْ لَمْ يَصِلْ رَحِمَهُ وَغَرَضُ هَذَا الْحَدِيثِ التَّرْغِيبُ.

ومثله ما ورد عَنْ سَهِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) ⁽³⁾

أُسْلُوبُ شَرْطِ، فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ كَامِلًا، فَقَدْ خَرَجَ الْأُسْلُوبُ الشَّرْطِيّ مِنْ إِطَارِهِ النَّحْوِيّ إِلَى الْمَقَاصِدِ الدَّلَالِيَّةِ وَالبَلَاغِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ جَوَابِ الشَّرْطِ وَالمُتَمَثِّلَةِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) هِيَ تَأْكِيدٌ دَلَالِيّ بِإِصْرَارٍ وَإِلْحَاقٍ حَقٍّ لِمَنْ يَجْلِسُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَجْلِسِهِ وَإِلَى مَوْقِعِهِ، وَفِي هَذَا تَعْلِيمٌ نَبَوِيٌّ وَتَهْذِيبٌ أَدَبِيٌّ، وَمِنْ -هُنَا- جَاءَ الْحَدِيثُ لِيُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَلَا مَجَالَ لِلظُّلْمِ، وَلَا مَوْقِعَ لِلإِفْسَادِ، وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِ بَنُو هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِذَا مَا رَكُزْنَا قَلِيلًا، وَتَمَهَّلْنَا فِي النَّظَرِ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ نَجِدْ فَضْلَةً زَائِدَةً، وَلَمْ نَجِدْ إِجْزَازَ مَخْلٍ؛ بَلْ أَتَى بِمَا هُوَ مُقَرَّرٌ وَمَقْصُودٌ يَفْهَمُ السَّامِعُ فَلَا يَزْعِجُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْهَابِ وَلَا يَذْمُرُهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّعْقِيدِ وَغَرَضُ هَذَا الْحَدِيثِ الْإِلْزَامُ.

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ رد السلام على أهل الذمة، 1219/2: رقم الحديث 3697.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 13، 53/1: رقم الحديث 5989.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ من قام عن مجلس فرجع فهو أحق به، 1224/2: رقم الحديث

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةٍ، فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (فإذا لقيه سلم عليه)، فلم يجئ الشرط النحوي لتطبيق جملة نحوية، ونقل خبر بلا روح؛ بل جاء الشرط من أجل الوجوب والعمل بمقتضى هذا الأمر النبوي، والحث على فعل الخير، حيث إنَّ السلام وإفشائه يوحد الأمة، ويمنح اللُحمة، ويُعلي الهمة، ويمحق الغمّة، ويقرب الجنّة وغرض هذا الحديث النصّح والإرشاد.

ومثله ما ورد عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»⁽²⁾

أُسلوبُ الشرط، في قوله ﷺ: (إذا لم تستح فافعل ما شئت)، وهنا يلتقي أُسلوبُ الشرط النحويّ اللُّغويّ بالمزاوجة البديعية؛ لأنَّ المزاوجة تتمثل في جملة الشرط والجزاء الموجود في جملة جواب الشرط وغرض هذا الحديث اللوم.

ومثله ما ورد عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لئن عشت إن شاء الله لأنهين أن يسمى رباح ونجيع وأفلح ونافع ويسار)⁽³⁾

في قوله ﷺ: (لئن عشت لأنهين)، فجاء الشرط للحث والإرشاد والنهي عن تسمية هذا الأسماء، وفيه دعوة إلى انتقاء أفضل الأسماء وأحسن المسميات الحث والإرشاد.

ومثله ما ورد عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الرَّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» قَالَ سَلَمَةُ: «فَرَوْحُ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُّوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا»⁽⁴⁾

في قوله ﷺ: (إذا رأيتموها فلا تسبوها)، فجاء الشرط للحث والإرشاد والنهي عن سب الريح، وفيه دعوة إلى حسن التعامل مع كل مخلوقات الله -تعالى وغرض هذا الحديث التنبيه والتحذير.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ فيمن يهجر أخاه المسلم، 279/4: رقم الحديث 4913.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ الحياء، 252/4: رقم الحديث 4797.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ العلم، 53/2: رقم الحديث 3829.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما يقول إذا هاجت الريح، 326/4: رقم الحديث 5097.

ومثله ما ورد عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « مَنْ أَطْلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقُتُوا عَيْنَهُ »⁽¹⁾.

في قوله ﷺ: (من اطلع ... فقد) ونجد أن كلمة (اطلع) على وزن افتعل وتفيد المشاركة وفيها تأثير تقديمي حتى أصبحت الكلمة مشددة فأعطت معنى المبالغة من ناحية المشاركة من ناحية أخرى وبهذا جاءت جملة فعل الشرط تفيد الكثرة والاستمرارية والمبالغة في الاطلاع والنظر إلى الحرام؛ لذا كانت النتيجة المتوقعة عبر جملة الجواب والجزاء فقاء العين ليس من قبل الحاكم أو ...؛ بل ممن نظر إليهم بغير إذن كنظير لما فعله صاحب هذا الأمر وغرض هذا الحديث التوبيخ والتقريع.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ »⁽²⁾.

في قوله ﷺ: (من خلق ... فهو كما قال). وأيضاً في (من قذف ... فهو كقتله) وأيضاً، في قوله ﷺ: (من قتل ... عذب). وأيضاً، في قوله ﷺ: (من قتل ... عذب). وأيضاً، في قوله ﷺ: (من لعن ... فهو كقتله)، وفيه دعوة إلى قيام كل مسلم تجاه مسؤولياته، فكلهم مسؤولون وغرض هذا الحديث الإلزام.

ونظيره ما ورد عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعَنَ الْمُؤْمِنُ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ »⁽³⁾.

في قوله ﷺ: (من حلف ... فهو كما قال).

في قوله ﷺ: (من قتل ... عذب به).

في قوله ﷺ: (من رمى ... فهو قتله). وكذلك، في قوله ﷺ: (فهو كقتله). حيث شبه لهن المؤمن بالقتل وشبه الرمي بالكفر بالقتل-أيضاً-وجاء التشبيه لغرض بلاغي بعيد عن

(1) صحيح مسلم، مسلم، الأدب/ تحريم النظر في بيت غيره، 181/6: رقم الحديث 5768.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 44، 53/1: رقم الحديث 6047.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 73، 53/1: رقم الحديث 6105.

التركيب النَّحْوِيَّ التشبيهي بحرف الجر والتشبيه (ك) حيثُ كان التشبيه موضحاً ومصوراً مدى الجرم الذي يقتضيه من يلْعَنُ ومن يرمي أخاه بكلمة (كافر) وغرض هذا الحديث التحذير.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ. فَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِشَأْنِهِمْ: فَقَالَ (إِنَّمَا هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ. فَإِذَا نَمْتُمْ فَأُطْفِئُوهَا عَنْكُمْ) (1)

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، (إِذَا نَمْتُمْ فَأُطْفِئُوهَا عَنْكُمْ)، فجاء الشرط للحث والإرشاد، وفيه دعوة إلى التحصن وحفظ النفس وغرض هذا الحديث التنبيه.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا » (2)

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (إِذَا قَالَ ... فَقَدْ) فجاء الشرط لغاية بلاغية وأسرار دلالية فلم يأت الشرط عبثاً؛ بل جاء ليفيد مدى المصيبة العظيمة والجرم الذي يقتضيه ناطق تلك الكلمة (كافر) وقد جاء التعريف في كلمة (الرجل) للتخصيص والتركيز على هذا الرجل فهو تأكيد عَنْ أَنَّهُ مَرْتَكِبٌ لَجْرَمٍ كَبِيرٍ وغرض هذا الحديث التقريع.

ونظيره ما ورد عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ-جَلَّ جَلَالُهُ- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلِهَا أَوْ أَغْفَرَ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ بِأَعَا. وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً. وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ ثُمَّ لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً) (3)

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ).

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَهُ).

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ تَقَرَّبَ ... تَقَرَّبْتُ).

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (وَمَنْ أَتَانِي ... آتَيْتُهُ).

أُسْلُوبُ الشَّرْطِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (وَمَنْ لَقِينِي ... لَقِيتُهُ).

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إطفاء النار عند المبيت، 1239/2: رقم الحديث 3770.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 73، 53/1: رقم الحديث 6103.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ فضل العمل، 1255/2: رقم الحديث 3821.

في قوله ﷺ: (فإن ذكرني ... ذكرته).

في قوله ﷺ: (وإن ذكرني ... ذكرته).

فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين، عبر هذه الأساليب الشرطية المتتابعة.

ونظيره ما ورد عن نُعَيْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ» (1)

في قوله ﷺ: (من كان له ... كان له)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين.

ونظيره ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى. فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أَقَامِرَكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ» (2)

في قوله ﷺ: (من قال ... فليصدق) وعليه، فقد وظف الأسلوب الشرطي لدلالة فنية تفيد بأنه من حلف بغير الله - وهذه جريمة - فعليه توبة تتمثل في نطق الشهادتين ومن طالب صاحبه بالمقامرة فعليه توبة تتمثل في التصديق كنوع من المعالجة العقيدية السريعة. وهنا تتجلى تارة أخرى آداب الإسلام وسماحة العدنان ﷺ حيث قصد أنه (من حلف باللات والعزى فلينطق الشهادتين)، ولو كان قائدا أو ملكا آخر في الأرض لكانت جملة الجزاء عقاب شديد وجليل في حق هذا الرجل، وهذا يظهر جليا عند جبايرة الأرض والمتعالين والمتأهلين مثل فرعون ومشتقاته من الظالمين وغرض هذا الحديث الحث والإرشاد.

ونظيره ما ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، وَلَا تَقْعُوا فِيهِ» (3)

في قوله ﷺ: (إذا مات ... فدعوه)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ذي الوجهين، 268/4: رقم الحديث 4873.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 12، 53/1: رقم الحديث 6107.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النهي عن سب الموتى، 275/4: رقم الحديث 4899.

ونظيره ما ورد عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَنْ حَمَى مُؤَمِّنًا مِنْ مُنَافِقٍ، أَرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ "(1)

أُسلوبُ شرط، ومزاوجة بديعية فيقوله (من حمى ... أراه) و-أيضًا، في قوله ﷺ: (ومن رمى ... حبسه الله)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجيهما النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين.

في قوله ﷺ: (من هجر ... فهو كسفك دمه)، فجاء الشرط ليزجي رسالة إلى أن جملة جواب الشرط لا يمكن تحقيقها إلا إذا تحقق فعل الشرط.

عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ »(2)

في قوله ﷺ: (إن نزلتم بقوم ... فاقبلوا).

في قوله ﷺ: (إن لم يفعلوا فخذوا)، وقد جاء الشرط كتركيب نحوي ولغوي متألف من أداة وجملة شرط وجملة الجزاء والجواب؛ بَيَّنَّ أن المتعمق في هذا الأسلوب الذي حاز على النسبة العظمى من حيث الكم العددي والكيف التأثيري من بين فنون البلاغة والتركيب والأساليب يلحظ أن هذا الأسلوب بُغِيته جلية وواضحة وهي الحثُّ والأخذ بهذه النصيحة التي تكاد تكون من الفرائض والواجبات المحلية والاجتماعية، ومن العجيب في أسلوب الشرط الأخير أنه ﷺ يأمر مرشدا وموجها بأن يطلب الضيف ضيافته المعروفة بين المجتمع الإسلامي وعليه فهاتان دعوتان نبويتان أمرتان تحثان على الإكرام وقبول الضيافة.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ أَنْ تَكْذِبَ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ " قَالَ: «وَأَحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْعُلَّ، وَالْقَيْدَ نَبَاتٌ فِي الدِّينِ»(3)

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ من رد عن مسلم غيبة، 4/270: رقم الحديث 4883.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 85، 1/53: رقم الحديث 6137.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 4/304: رقم الحديث 5019.

في قوله ﷺ: (إذا اقترب الزمان .. لم تكذ ...) في قوله ﷺ: (فإذا رأى أحدكم .. فليقم)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين. وهي الأخذ بهذه النصيحة التي تكاد تكون من الفرائض والواجبات.

عَنْ أَبِي عَمْرٍاءَ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ: يَذْكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ (1)

في قوله ﷺ: (من لبس... لم يلبسه)، فجاء أسلوب الشرط من باب التحذير والزجر والمنع عَنْ لبس الحرير في الدنيا، وهي كمقابلة منطقة ونظيرة لمن يلبس في الدنيا الحرير وقد كيف نفسه وهواه وأخذ ما يريد من خلال وحرام في الدنيا، ثم يفجأ فيرى أن ميزاه الأخرى صفر من الأجور وقناطير مقنطرة من السيئات بعد ما كانت في الدنيا قناطير مقنطرة من الذهب والفضة والحرير.

عَنْ نَافِعٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَنْدٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (2)

أسلوب شرط والذي يساوي في المعنى والدلالة (إياكم ولعب النرد)؛ وبالتالي فإنَّ الفرض من أسلوب الشرط هذا هو التحذير والتحريم؛ لأنَّ جواب الشرط أخبر بأنَّ العصيان لله ولرسول الله - عليه الصلاة والسلام - وقد التقى أسلوبان من الأساليب اللغوية كمشترك لغوي - إن جاز القول - وهما أسلوب الشرط وأسلوب التحذير، ولعلَّ تقديم لفظ الكريم (الله) على (رسوله) لخطورة الموقف والاستشعار بمدى الحرمانية والتحذيرية؛ لأنَّه في الأصل كما قال ﷺ من أطاعني، فقد أطاع الله ومن عصاني، فقد عصى الله؛ ولكن - هنا - تقدم ذكر الله لخطورة الأمر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهو أجود لغةً وأحسن تعبيراً وأفضل دلالة مما لو قال، فقد عصى الرسول ورب الرسول وثمة إشارة ودلالة فنية تتموضع حول التواضع والأدب النبوي فقال: فقد عصى الله ورسوله، ولم يقل: عصى الله وعصاني، كما أنَّ فيها لفت نظر أن رسول ومرسل من عند الله ويجب طاعته..

عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا وَقَالَ سَفِيَّانِ فِي حَدِيثِهِ لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالثِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزَنُهُ (3)

(1) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في كراهية الحرير والديبا، 122/5: رقم الحديث 2817.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ اللعب بالنرد، 1237/21: رقم الحديث 3762.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء لا يتناجى اثنان دون الثالث، 128/5: رقم الحديث 2825 .

في قوله ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى) وقد استخدم الرسول ﷺ الفعل (يتناجى)، وهو على وزن (يتفاعل) التي تفيد المشاركة -أي التناجى بين شخصين بوجود ثالث قريب منهما؛ وبالتالي؛ فإنّ التناجى -هنا- سيؤذي الأخ الثالث والله -جلّ جلاله- لا يحب أذى المؤمنين فجاء النهي الوقع في جواب الشرط للتحذير.

يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْخُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُتْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ لِيَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَصُرُّهُ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (إذا رأى فلينفث)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين. وهي الأخذ بهذه النصيحة التي تكاد تكون من الفرائض والواجبات.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَغْنِي ابْنَ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (من باب ...، فقد برئت منه الذمة)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين. وهي الأخذ بهذه النصيحة التي تكاد تكون من الفرائض والواجبات.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتُ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَخُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ « نَعَمْ هُوَ فِي صَخْصَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ »⁽³⁾.

في قوله ﷺ: (لولا أنا لكان) والمعلوم أن (لولا) تأتي ك (امتناع لوجود) أي أقنع وضع عبد المطلب في الدرك الأسفل من النار لوجود رحمة نبوية وإشفاق محمدي على عمه أبي طالب ليس لصلة القرابة المتاحة بين النبي وعمه؛ ولكن لوجود إحاطة وحماية من عمه أبي طالب وقد جاءت كلمة (نار) الأولى نكرة بينما (النار) الثانية معرفة لإفادة وعلة بلاغية ماثلة في أن الأولى للتخصيص وهي تدل على رحمة النبي ﷺ فهي جزء من النار وليس كلها. أم الثانية (النار) فجاءت للعموم وتدل على الكثرة فالنار عظيمة.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ ما جاء في الرؤيا، 305/4: رقم الحديث 5021.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ النوم على سطح غير محجر، 310/4: رقم الحديث 5041.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 115، 53/1: رقم الحديث 6208.

ونظيره ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (من ادعى ... فعليه)، فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين. وهي الأخذ بهذه النصيحة التي تكاد تكون من الفرائض والواجبات.

عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»⁽²⁾

في قوله ﷺ: (إذا أحب الرجل أخاه فليخبره) ففي هذه الأسلوب الشرط سر دلالي يكمن في أغراء تعزز وتقوية العلاقة ونحو الأخوة عند المسلمين وغرض هذا الحديث الحث والإرشاد.

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبْدَعُ بِي فَاحْمِلْنِي، قَالَ: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكَ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنْ أَنْتِ فُلَانًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْمِلَكَ» فَأَتَاهُ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»⁽³⁾

في قوله ﷺ: (من دل ... فله) وأسلوب الشرط -هنا- له غرض بلاغي موجود في الحث على فعل الخيرات وذلك في قوله ﷺ: (مثل أجر فاعله) بمعنى أجر الدال على الخير يماثل ويشابه من يفعل الخير ذاته وغرض هذا الحديث الحث والإرشاد.

ونظيره ما ورد عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا عَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ أَخَذْتَ بُرْدَ غُلَامِكَ إِلَى بُرْدِكَ فَكَانَتْ حُلَّةً وَكَسَوْتَهُ نَوْبًا غَيْرَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ، مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَكْسُهِ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعْنَهُ»⁽⁴⁾

أسلوب شرط، فيقوله (فمن كان ... فليطعمه).

-
- (1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الرجل ينتمي إلى غير مواليه، 330/4: رقم الحديث 5115.
 - (2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، 332/4: رقم الحديث 5124.
 - (3) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الدال على الخير، 333/4: رقم الحديث 5129.
 - (4) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ حق المملوك، 340/4: رقم الحديث 5158.

أُسْلُوبُ شَرْطٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (فَإِنْ كَلَفَهُ فليعنه).

فجاء الشرط من أجل الإرشاد والنصيحة التي يزجها النبي ﷺ لصبحه وللمسلمين.
وغرض هذا الحديث الحث والإرشاد

ونظيره ما ورد عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ نَبِيُّ التَّوْبَةِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَدًّا»⁽¹⁾

في قوله ﷺ: (من قذف ... جلد له ...). وقد استخدم الفعل المبني للمجهول (جلد) الواقع في جملة الجزاء أو الجواب لإبراز ملمح أدبي نبوي؛ لأن جواب الشرط -هنا- فيه ردع وزجر وإضافة وإماتة فيحلو -هنا- أن يختار لفظ مبني للمعلوم. ومن ناحية أخرى فإنه ينبغي أن يحذف الفاعل؛ لأن الفاعل معلوم فهو القادر المقدر التقدير وكأننا نسلم بهذا ونؤمن به ونتوكل عليه.

ونظيره ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامَ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامَ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلَامَ عَلَى فُ؛ لَأَنَّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُقِلِّ التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ »⁽²⁾.

في قوله ﷺ: (إذا جلس ... فليقل) وقد جاء جملة الجزاء فعل أمر عبر (لام الأمر)، و إِنَّ الشرط بهذه الشاكلة أي وجود فعل أمر بلام الأمر في جملة الجزاء والجواب. وجاءت الجمل خبرية في باقي الحديث بُغْيَةُ الدعاء، في قوله ﷺ: (السلام عليك) و(السلام علينا).

ونظيره ما ورد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: مَرَّتَيْنِ «لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ» فَالْتَفَتُ

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حق المملوك، 341/4: رقم الحديث 5165.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 3 الاستئذان، 53/1: رقم الحديث 6230.

فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهُ -جَلَّ جلاله-، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَعْتُكَ النَّارَ» أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ»⁽¹⁾

أُسْلُوبُ شَرْطٍ، فِي (لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَعْتُكَ)، فَجَاءَ الشَّرْطُ مِنْ أَجْلِ الْإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ الَّتِي يَزْجِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لَصَبْحِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ. وَهِيَ الْاِخْذُ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الَّتِي تَكَادُ تَكُونُ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ.

وَنَظِيرُهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ، فَجَاءَ أَبُو مُوسَى فَزِعًا، فَقُلْنَا لَهُ: مَا أَفْرَعَكَ؟ قَالَ: أَمَرَنِي عُمَرُ أَنْ آتِيَهُ، فَأَتَيْتُهُ فَاسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ قُلْتُ: قَدْ جِئْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنْ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ» قَالَ: لَتَأْتِيَنَّ عَلَيَّ هَذَا بِالْيَمِينَةِ، فَقَالَ: أَبُو سَعِيدٍ: لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قَالَ: فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ مَعَهُ فَشَهِدَ لَهُ⁽²⁾

فِي قَوْلِهِ ﷺ: (إِذَا اسْتَأْذَنْ ... فَلْيَرْجِعْ)، وَلَعَلَّ تَحْدِيدَ الرِّقْمِ (ثَلَاثَةً) فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ سَنَةٌ نَبَوِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ مَتَمَاشِيًا مَعَ الْمَنْطِقِ وَالْوَاقِعِ فَمَرَّةٌ أَوْ مَرَّتَيْنِ لَا تَكْفِيَانِ لِلِاسْتِئْذَانِ لِعَدَمِ تَوْفُرِ وَقْتِ كَافٍ حَتَّى يَرْجِعَ الطَّالِبُ وَالْمُسْتَأْذِنُ فَلَرُبَّمَا لَا يَسْمَعُ مَنْ فِي الْمَنْزِلِ وَلَرُبَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى بَرَهَةٍ لِيُؤْذَنَ لَهُ وَعَلَى هَذَا كَانَ الْاسْتِئْذَانُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَعَلَيْهِ فَالْأَرْقَامُ النَّبَوِيَّةُ كَأَعْدَادِ نَحْوِيَّةٍ لَا تَقْتَفِرُ إِلَى الْوَاقِعِيَّةِ وَالِدَّلَالَةِ؛ بَلْ لَهَا مَعَانٍ وَمَغَازِي وَدِلَالَاتٌ وَاضِحَةٌ نَعْلَمُ النِّشَاءَ وَتَرْبِيَّ وَتَهْذِيبَ الْجِيلِ الْمُسْلِمِ.

ثَالِثًا - الْخُلَاصَةُ:

- إِنْ أُسْلُوبُ الشَّرْطِ هُوَ مِنْ بَيْنِ الْأَسَالِيبِ الْمَحْبِبَةِ لَدَى النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ أَنْ جَلَّ الْأَحَادِيثُ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبَاحِثُ فِي رِسَالَتِهِ تَحْتَوِي عَلَى أُسْلُوبِ الشَّرْطِ، وَهَذَا تَبَرَّزَ الْقِيَمَةُ الدَّلَالِيَّةُ الَّتِي تَتَمَوَّقِعُ حَوْلَ إِغْرَاءٍ وَتَحْذِيرٍ مِنْهُ ﷺ وَبَصِيغَةً أُخْرَى فَإِنَّ الْمُسْلِمَ شَرْطُهُ أَنْ يَصْبِرَ وَيَخْلُصَ سِينَالَ الْجَنَّةِ وَأَنْ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهَكَذَا كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ الْمَتَّبَعَةُ فِي أَحَادِيثِهِ وَسَجِيَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ حق المملوك، 340/4: رقم الحديث 5159.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، 345/4: رقم الحديث 5180.

المطلب الرابع: أسلوب العرض والتحضيض

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-
في اللغة:

جاء في لسان العرب: (عرض الشيء عليه، يعرضه عرضاً): اراه اياه .. وعرضت عليه امر كذا، وعرضت له الشيء أي اظهرته له وبرزت اليه⁽¹⁾ وجاء في كتاب العين (فلان يعرض علينا المتاع عرضاً للبيع والهبة ونحوهما)⁽²⁾.

اما التحضيض لغةً بمعنى: (الحث) و(التحريض) وكما جاء في لسان العرب (الحض) ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء و(الحض) ان تحثه على شيء لا سير فيه ولا سوق.⁽³⁾

المفهوم الاصطلاحي:

أما اصطلاحاً عند النحاة فان العرض والتحضيض هما، (طلب الشيء لكن العرض طلب بلين و(التحضيض) طلب بحث)⁽⁴⁾ فالعرض اذن نوع من الطلب وهو الترغيب في فعل شيء مقرونا بالعطف والملاينة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁵⁾

أما التحضيض فان الطلب فيه يكون اشد واعزم ويفهم ذلك من سياق الجملة كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾⁽⁶⁾

ثم إن هذا الأسلوب من أساليب الطلب، وهو طلبٌ برفق ولين ويفهم ذلك من سياق الكلام.

أحرف العرض

وهي (ألا - أما - لو). وهي حروف لا محلّ لها من الإعراب، مختصة بالفعل.

(1) لسان العرب، ابن منظور مادة (عرض) : 165/7.

(2) كتاب العين: الفراهيدي،، تحقيق د. مهدي الخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مادة (عرض) : 271/1.

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، 69/1.

(4) المصدر نفسه، 69/1.

(5) النور: 22.

(6) التوبة: 122.

فإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت العرض نحو⁽¹⁾ :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا⁽²⁾

أحرف التحضيض

وهي (لولا - لوما - ألا - هلاً) وهي حروف لا محل لها من الإعراب. مختصة بالفعل، فإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التحضيض.

ثانياً: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ». قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ ». وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ». فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ .⁽³⁾

أسلوبُ عرض وتحضيض، في قوله ﷺ: (ألا وقول الزور ...)، وأيضاً في (ألا أنبئكم)، وهنا يلتقي مع الإنشاء الاستفهامي بغرض وبغية التقرير، وهذا الأسلوب يضيف شيئاً من الإغراء ولفت الانتباه، وحبس النفس وإعمال العقل، والتشويق.

ونظيره ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّجْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ. وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَهُوَ لَكَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَافْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) »⁽⁴⁾

أسلوبُ عرض وتحضيض، في قوله ﷺ: (أما ترضين)، وهنا يلتقي مع الإنشاء الاستفهامي بغرض وبغية التقرير.

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، ضَعِيفٍ مُتَصَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِلْأَبَرَّةِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُثْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ »⁽⁵⁾

(1) ينظر التدريبات اللغوية، د. إبراهيم عبد الله رفيده، وآخرين، ص214، 21.

(2) شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمداني، 351/2.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 6، 53/1: رقم الحديث 5976.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 13، 53/1: رقم الحديث 5987.

(5) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 61، 53/1: رقم الحديث 6071.

أُسلوبُ عرضٍ وتحضيضٍ، في قوله ﷺ: (ألا أخبركم) وقد جاء الحديث مشوقاً وملفتاً باستخدام هذا الأسلوبِ الحاثِ على إعمال العقل وتسكين القلب فلم يأت التركيب اللُّغويّ -هنا- مجرد سؤال؛ بل يجد الباحثُ فيه روح التأثير النفسي على الإنسان المسلم والتفكير فيما سيأتي من جديد من الرسول ﷺ الذي يأت بكل ما هو جديد من هذا الدين الحنيف.

ثالثاً - الخلاصة:

- يعد هذا الأسلوب من الأساليب المشوقة والملفتة للانتباه وكثيراً ما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يستخدم الأساليب التي تعمل العقل وتجعل الإنسان المسلم يفكر بالجديد الذي وهب وأوحى الله إليه ﷺ.

المطلب الخامس:

التصغير

أولاً- التعريف لغةً واصطلاحاً:-

في اللغة:

التَّصْغِيرُ في اللغة: التقليل⁽¹⁾.

في الاصطلاح.

هو "تغيير المخصوص في بنية الكلمة". وله فوائد وعلامات وشروط وأبنية. أما فوائده فست: تقليل ذات الشيء نحو: كليب، وتحقير شأنه نحو: رجيل، وتقليل كميته نحو: دريهمات، وتقريب زمانه نحو: قبيل العصر، وتقريب مسافته نحو: فويق المرحلة، وتقريب منزلته نحو: صديقي.⁽²⁾

وأما شروطه فأربعة⁽³⁾ :

أحدها: أن يكون اسماً، فلا يصغر الفعل ولا الحرف. وشذ: ما أحيسنه عند البصريين.

الثاني: أن لا يكون متوغلاً في شبه الحرف، فلا تصغر المضمورات. ولا "من وكيف" ونحوهما.

الثالث: أن يكون خالياً من صيغ التصغير وشبهها، فلا يصغر نحو: كميت لأنه على صيغة التصغير. ولا مبيطر لأنه على صيغة تشبه صيغة التصغير.⁽⁴⁾

الرابع: أن يكون قابلاً لصيغة التصغير، فلا تصغر الأسماء المعظمة كأسماء الله وأنبيائه وملائكته ونحوها، ولا جمع الكثرة، وكل، وبعض، ولا أسماء الشهور، والأسبوع عند سيبويه⁽⁵⁾ وأما أبنيته الموضوعة "له" فهي "ثلاثة أبنية" لا زائد عليها: "فعل، وفعليل، وفعييل"⁽⁶⁾ .

(1) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، موقع الشيخ الحازمي، ص1/125.

(2) المصدر نفسه، ص1/125.

(3) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الجرجاوي، 559/2.

(4) نظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، 213/5.

(5) الكتاب لسيبويه 60/3، تحقيق د. عبد السلام هارون 479-480.

(6) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم بدر الدين، تحقيق: محمدعبدون السود، ص560.

ثانيا: الأسرار البلاغية لهذا التركيب مع بيان القيم الجمالية والدلالية فيها:

ويندرج تحت هذا التركيب اللغوي ما ورد عن النبي ﷺ فقال: «يَا أُنَيْسُ اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ» قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ أُنَيْسُ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُ قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا⁽¹⁾

فيه تصغير لغوي، وهو على وزن فاعيل، في قوله ﷺ: (أُنَيْس) وهي من باب التحبب والتودد فجاء الأسلوب اللغوي التصغير مرادفا وموازيا للنداء؛ لأنَّ النداء هنا-أيضا-فيه تحبب وتودد وكما نلاحظ فإنَّ الرسول ﷺ ينادي ثم يأمر فهي يستعمل الأسلوب الأدبي النبوي الرفيع وليس كما يفعل سلاطين هذه البسيطة اليوم وهذا الذي يجعل الدين الإسلام ينجح في كل أرجاء المعمورة.

ونظيره ما ورد عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ لِي «أَيُّ بَنَى وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ». قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ. قَالَ «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

يلحظ-أيضا-أن (بنى) فيها تصغير من باب التودد والتلطف، وبالتالي يلتحم -هنا- الفنون البديعية مع المعنوية مع اللغوية مع النحوية.

ثالثا - الخلاصة:

- إنَّ النبي - عليه الصلاة والسلام - اختار من بين المقاصد المرجوة للتصغير النحوي ما يخدم الخلق النبوي ويفيد الأدب الرباني.
- وجد الباحث أن الغرض البلاغي والسرِّ الدلالي لأسلوب التصغير كامن وراء التلطف والتحبب والتودد، وهذا من الأغراض البلاغية البينة في التصغير.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ الحلم وأخلاق النبي -عليه السلام-، 4/246: رقم الحديث 4773.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ جواز قوله لغير ابنه يا بني واستحبابه، 6/177: رقم الحديث 5749.

المبحث الثالث:

القيم الجمالية والفنية في العلوم البلاغية.

بعد دراسة تأملية لأحاديث الأدب تبين للباحث أن الأحاديث النبوية التي ذكرها النبي - عليه الصلَام والسلام - تتمحور حول البنود التالية:

- خلوها من الغموض والخيال
- انتقاء الألفاظ المتداولة لا الغريبة
- انتصار المفردات الموجزة المعبرة على الكلمات المسهبة والطويلة.
- استخدام التشبيهات في كثير من الأحاديث النبوية.
- تمحور أسلوب الشرط في جل الأحاديث النبوية الخاصة بأحاديث الأدب.
- شمولية البلاغة في أنحاء وأطراف وأجزاء الحديث الواحد، سواء الطويل المطنّب أم القصير الموجز.
- تجنب كل مفردة ذات إهانة أو ضرر أو قبح، ويكتفي بالكناية المحببة والتورية الساترة ويفضلها على المباشرة غير اللطيفة.
- وقد اقتطف الباحث شيئاً من الأحاديث الأدبية النبوية، فاستلّ حديثاً أو حديثين من كل مبحث من مباحث العلوم والأساليب الخمسة الواردة في الرسالة:

- علم المعاني.
- علم البيان.
- علم البديع.
- الأساليب اللغوية.
- المشتقات التصريفية.

وتم بيان وتوضيح القيم الجماليات التي خلفتها تلك التراكيب النحوية والأساليب اللغوية والمشتقات التصريفية وهي مثل ما يلي:

عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ عَنْ زَادَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا لَهُ فَأَخَذَ مِنْ الْأَرْضِ عُودًا، أَوْ شَيْئًا، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَسُوَّى هَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»⁽¹⁾

أُسلوبُ شرط في قوله ﷺ: (من لطم ... فكفارته أن يعتقه)، وقد استخدم -هنا- ﷺ المصدر المؤول والمكون من (أن + الفعل)، في قوله ﷺ: (أن يعتقه)، ولعلَّ هذا التركيب النَّحْوِيَّ واللُّغَوِيَّ لم يأت اعتباطًا، فقد لاحظ الباحث من خلال البحث الصوتي والميزان الصرفي وبعد تركيز عروضي وجد أن كلمة (فكفارته)، تساوي من رموز تفعيلات الخليل بن أحمد الفراهيدي (// ب ب /)، وهي ذاتها في كلمة (أن يعتقه) تساوي من الرموز الصوتية وكذلك العروضية (// ب ب /)، فهي شرطتان ثم باءان ثم شرطة، فانسجم التركيب النَّحْوِيَّ والصوتي والصرفي والعروضي واللُّغَوِيَّ، فخلَّفًا بذلك الجرس الموسيقي البديع ولفت للانتباه والتشويق، فكان المصدر المؤول نعم الاختيار ونعم التنسيق، فجاء أجمل مما لو قيل: (فكفارته عتقه أو العتق).

ومثله ما ورد عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّازُ وَلَا الْجَعْظَرِيُّ» قَالَ: " وَالْجَوَّازُ: الْغَلِيظُ الْفُظُّ " ⁽²⁾

- حيثُ استخدم ﷺ كلمتين متجاورتين غريبتين وبالتالي اتفقت الكلمتان في الغرابة، فهنا يمكن التآلف في اللفظ وذلك، في قوله ﷺ: (الجواز والجعظري)، ومن زاوية أخرى نلاحظ التآلف اللفظي في الكلمتين الغريبتين في ذات الحروف وليس في الغرابة فحسب، فقد وجد الباحث حرفي (الجيم والظاء) موجودتين في الكلمتين، ومعلوم أن الجيم والظاء من حروف التخميم والإطباق، وهذا ينسجم لُغَوِيًّا وبلاغيًا ودلاليًا مع المعنى المراد، وكأن هذه الحروف جاءت ممهدة ومشاركة في التعبير إذ إِنَّ ﷺ ينفي دخول الجنة مَنْ يتحلَّى بهذه السمات والصفات المستقبحة، فالجواز هو الغليظ الفُظُّ والجعظري كذلك، وأيضًا نرى التآلف في الكلمات الثلاث في حرف الجيم، وذلك في الكلمات التالية (الجنة - الجواز - الجعظري).

- أسلوب إنشائي نوعه نفي وذلك في كلمة (لا يدخل الجنة الجواز).

- وفيه فن بديعي وهو فن (النزاهة) حيثُ خلا كلام النبي ﷺ من ألفاظ هجائية نابية أو كلام فيه رائحة الفحش، فقد طهر الله لسانه كما طهر الله قلبه ﷺ فاستخدم كلمات غريبات لا

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ حق المملوك، 342/4: رقم الحديث 5168.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ حسن الخلق، 253/4: رقم الحديث 4801.

تؤثر في النفس البشرية، وذلك في كلمتي الجواز والجعظري.

- وفيه-أيضاً-فَنٌ بديعي آخر وهو (الاحتباك)، مثل قوله -جلّ جلاله- ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾⁽¹⁾ وهذا الحدث فيه جهتين وذلك، في قوله ﷺ: لا يدخل الجنة الجواز ولا الجعظري.

ونظيره ما ورد عن موسى بن علي سمعت أبي يذكر عن سراقه بن مالك أن النبي ﷺ قال: (ألا أدلكم على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك) ⁽²⁾

أسلوب إنشائي المستهل بـ (ألا)، فهذا الأسلوب الإنشائي الاستفهامي وغرضه التشويق وحبس النفس، حيث أن النبي ﷺ في كل حديث يذكر بعمل حب الأنفس ويفاجئ الجميع بشيء لم يستحضره الصحابة في أذهانهم ولا في معاجمهم، فينهلون منه هذه العلوم الدينية النافعة لهم في دنياهم وأخراهم وهنا يعلمهم أن يحافظوا على بناتهم في حال ردت إليهم بعد زواجهن، فأفضل الصدقة أن تحافظ عليها، وتتفق عليها، فبتربيتكم لهن بإحسان تدخلوا الجنة بسلام، وهذه أفضل الصدقة.

ومثله ما ورد عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) ⁽³⁾

براعة استهلال بجملة القسم (والذي نفسي بيده).

براعة استهلال بجملة (أولا أدلكم)، من اللّافِتِ للانتباه أن النون حذفت، في قوله ﷺ: (لا تدخلوا) والمراد في الإعراب ثبوتها، ولعلّ التعبير البلاغي النبويّ تدخل ههنا لينسجم التعبير بين قوله (تدخلوا) و(تؤمنوا) أي بحذف النون في الكلمتين.

ومن المعلوم -يقيناً- أن جمل القسم وظفت بشكل كثير عند النبي ﷺ، في قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده) و(والذي نفس محمد بيده) و(والله)، وإن من حسن الانتقاء البلاغي في البلاغة النبوية اختيار هذا السياق القسمي الراقي، ففيه القسم، وفي القسم استسلام كامل لله الذي خلق هذه النفس الطاهرة الطيبة التي قال صاحبها ﷺ - أنا أفصح العرب بيّد أني من قريش؛

(1) الإنسان: 13

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ بر الوالد والإحسان إلى البنات، 1209/2: رقم الحديث 3667.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب/ إفشاء السلام، 1217/2: رقم الحديث 3692.

وبالتالي فإنّ الإنشاء جاء للتّحائب واسترجاع الأخوة فيه من البلاغة بمكان، ومن المبالغة بموقع وعلى هذا فإنّ الأساليب سابقة الذكر جاءت للمبالغة على هذا، وليست أوامر عابرة أو نواهي تنقصر إلى الدلالات والإيماءات، فما جاء أسلوب نبوي قطّ إلا وله موقع من الإعراب ورائحة إشارة ودلالة.

ومثله ما ورد عن عليّ بن عمر بن حسين بن عليّ، وغيره، قالاً: قال رسول الله ﷺ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَذَاةِ الرَّجُلِ، فَإِنَّ لِلَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- دَوَابَّ يَبْثُثُهَا فِي الْأَرْضِ» قال ابنُ مَرْوَانَ: «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ»⁽¹⁾ في قوله ﷺ: (هذاة الرجل).

فمن الوجهة النّحويّة جاءت (مضاف ومضاف إليه) دون أثر في المعنى والدلالة.

ومن الزاوية البيانية فقد شبّه الرجل بإنسان يهدأ، فذكر المشبّه وهو كلمة (الرجل) وحذف المشبّه به، وهو كلمة (إنسان)، وأبقى صفة من صفات المشبّه به، وهي كلمة (هذاة) على سبيل الاستعارة المكنية، بجامع التريث، وسر جمال الاستعارة -هنا- التشخيص، وقد منحت الاستعارة المكنية التحسين والتجويد في هذا التركيب وجذب القارئ والتوضيح من خلال توظيف الخيال الجزئي القريب إلى ذهن المتلقي.

ومثله ما ورد عن همام بن الحارث أنّ رجلاً جعل يمدح عُثْمَانَ فَعَمِدَ الْمُقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ -وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا- فَجَعَلَ يَخْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ فَاخْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».⁽²⁾

إنّ في حديث (فاحفوا عليه التراب) كناية، ذلك أن هذا الأسلوب مجازي كنائي لا يقصد به أن يحفو الناس التراب في وجه المداحين حقيقة، وعليه فإن المقصود هو إلقاء التراب بالقرب من ذلك المدّاح عن يمينه أو يسراه، وقد يكون المعنى أبعد من ذلك ليكون المعنى هو أن من يمدح بمبالغة وإكثار يوازيه التراب الذي ليس له قيمة، ولو كان المقصود هو إلقاء التراب على الوجه الحقيقي لا المجازي لكانت ثمة مفسدة كبرى كترتيب يتبع تلك المفسدة السابقة وهي المدح الزائد والمبالغ فيه، وعليه فلا تعالج المفسدة بمفسدة أعظم، وهذه هي سماحة الإسلام بل ريب يذكر. ومن اللّافت للانتباه أن ثمة علّة واضحة في النهي عن التمدّاح والمدح الزائد، إذ إنّ من يمدح ولم يستقر الإيمان في قلبه قد يصيبه الغرور.

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود، الأدب/ ما جاء في الديك والبهائم، 327/4: رقم الحديث 5104.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب النهي عن المدح، حديث: 5434.

ومن الجميل ذكره أن الرسول ﷺ اختار كلمة (لقيتم)، واللقيا تكون للأعمى والبصير، لذا لم يقل - عليه السلام - رأيتم ليكون النهي عن المدح جامع بين المبصرين والمكفوفين.

ومثله ما ورد عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ فُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرَنَ الْحِجَابُ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرَنَ الْحِجَابُ». فَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ يَا عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ إِنَّكَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِيهْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»⁽¹⁾

اسم فعل أمر بمعنى، في قوله ﷺ: (إِيهْ) بمعنى زد، فلم يأت اسم الفعل النادر لفظاً ومعنى على السنة العرب إلا قليلاً، وهنا لم يأت اعتباراً أو خبط عشواء؛ بل فاق النحو واللغة واجتاز التركيب اللغوي الفاق لروح البلاغة، فكلمة (إِيهْ) تناسب ما بعدها، وما بعد ما بعدها، حيث قال: (يا ابن الخطاب)، واستخدم أسلوب القسم، واستخدم الأسلوب الإنشائي ونوعه (نداء)، في قوله ﷺ: (يا ابن الخطاب).

إن ما يمكن ذكره في هذه الزاوية أن الرسول ﷺ هو الأول في البلاغة وهو الأسبق في التراكيب اللغوية البليغة، فما هو يستخدم أسلوب القسم بصيغة لم يسبقه أحد قط، في قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده)، فهو أسلوب لا كبقية الأساليب، وهو قسم لا ككل الأقسام، إنه أسلوب يتمتع بالفصاحة العالية والتأثير النفسي والجرس الموسيقي.

ومن الملحوظ-أيضاً- أنه قال ﷺ (يا ابن الخطاب) قد يقول قائل: هذه ذمة لعمر الفاروق أمير المؤمنين؛ لكنها في الحقيقة مادحة لعدة اعتبارات:

- فالناحية الأولى يرى الباحث أن المزاح مع العظام وأولي الألباب وذوي البأس العالي الشديد واللهجة القوية بعكس الإنسان ضعيف البنية والهمة وصاحب القلب الضعيف متزعزع الثقة.

- ومن ناحية ثانية فإن كلمة (الخطاب) هي على وزن (الفعال) وهي صيغة مبالغة وهي من

(1) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ باب 68، 53/4: رقم الحديث 6085.

الخطب والأمر العظيم والجلل الجليل فأصبحت مادحة لا ذامة ثم ذيل حديثه ﷺ بمدح آخر باستخدام لأسلوب قسم يؤكد فيه أن الشيطان يهرب من الطريق الذي يسلكه عمر. وعليه، فقد استخدم الشدة في موضعها واللين في موضعه، وكله من باب الأدب النبوي.

- ومن زاوية ثالثة فهذه العبارة (يا ابن الخطاب) جاءت منسجمة مع الموقف الذي حدث مع النساء اللاتي قلن (أنت أفظ وأغلظ من رسول الله). فجاء الحديث بنوع من الشدة المهدبة في كلمة (إيهِ) و(يا ابن الخطاب)، وانتقاء كلمة (فج) التي كررت (ثلاث مرّات) في الحديث، وهي أصلب وأبلغ مما لو قال: (طريق أو سبيل أو مسلك)، فالجيم مفخمة وشديدة، فكانت أبلغ تركيباً وتعبيراً وتوظيفاً.

الأسلوبية الإحصائية

جدول إحصائي إجمالي للفنون البلاغية في أحاديث الأدب في الكتب الستة

#	الكتب الستة العناوين	صحيح البخاري	صحيح مسلم	سنن ابن ماجه	سنن الترمذي	سنن أبي داود	سنن النسائي	المجموع
-1	عدد الأحاديث المروية	7008	5362	4342	3891	4590	5662	30855
-2	عدد أحاديث الأدب	292	65	171	122	501	0	1151
-3	عدد الأحاديث المستخدمة	179	23	115	36	218	0	571
-4	عدد أبواب كتاب الأدب	26	10	59	75	183	0	353
-5	عدد الفنون البلاغية	36 فن	18	37	24	49	0	164
-6	عدد فنون المعاني	13 فن						
-7	عدد فنون البيان	5 فنون						
-8	عدد فنون البديع	23 فن						
-9	عدد الأساليب اللغوية	7 أساليب لغوية						
-10	عدد المشتقات التصريفية	7 مشتقات تصريفية						
-11	أكثر فنون المعاني ذكرا	الإيجاز 39 مرة						
-12	أقل فنون المعاني ذكرا	النفي 6مرات						
-13	أكثر فنون البيان ذكرا	الكناية 19 مرة						
-14	أقل فنون البيان ذكرا	المجاز العقلي مرة واحدة						
-15	أكثر فنون البديع ذكرا	الطباق 19 وبراعة الاستهلال						
-16	أقل فنون البديع ذكرا	وتجاهل العارف مرة واحدة						
-17	أكثر أساليب اللغة ذكرا	أسلوب الشرط 45 مرة						
-18	أقل أساليب اللغة ذكرا	أسلوب التعجب مرة واحدة						
-19	أكثر المشتقات ذكرا	صيغ المبالغة 4 مرات						
-20	أقل المشتقات ذكرا	اسم الهيئة مرة واحدة						

جدول إحصائي تفصيلي للفنون البلاغية في أحدث الأدب في الكتب الستة

#	الكتب الستة العناوين	صحيح البخاري	صحيح مسلم	سنن ابن ماجه	سنن الترمذي	سنن أبي داوود	سنن النسائي	المجموع	المتوسط
-1	علم المعاني (15فن)	76	9	69	26	64	0	244	40.67
-2	الخبر	4	9	13	4	10	0	40	6.67
-3	الاستفهام	15	1	9	0	3	0	28	4.67
-4	الأمر	11	0	10	2	7	0	30	5.00
-5	الفصل	7	0	0	0	3	0	10	1.67
-6	القصر	6	4	11	0	16	0	37	6.17
-7	الإطناب	1	4	4	0	3	0	12	2.00
-8	الإيجاز	11	3	11	3	11	0	39	6.50
-9	التقديم والتأخير	2	0	8	6	8	0	24	4.00
-10	النداء	8	0	3	0	0	4	15	2.50
-11	النفي	2	1	1	2	0	0	6	1.00
-12	النهي	3	0	0	11	2	0	16	2.67
-13	الوصل	6	0	2	0	3	0	11	1.83
-16	علم البيان (5فنون)	17	1	19	4	11	0	52	8.67
-17	الاستعارة	1	0	3	0	3	0	7	1.17
-18	التشبيه	5	1	1	1	4	0	12	2.00
-19	الكناية	8	0	6	3	2	0	19	3.17
-20	المجاز المرسل	3	0	8	0	2	0	13	2.17
-21	المجاز العقلي	0	0	1	0	0	0	1	0.17
-22	البدیع اللفظي (5فنون)	20	0	19	3	31	0	73	12.17
-23	جناس الاشتقاق	2	0	3	0	6	0	11	1.83

#	الكتب الستة العناوين	صحيح البخاري	صحيح مسلم	سنن ابن ماجه	سنن الترمذي	سنن أبي داوود	سنن النسائي	المجموع	المتوسط
-24	الجناس الناقص	2	0	0	0	2	0	4	0.67
-25	السجع	8	0	4	0	7	0	19	3.17
-26	إيغال الاحتياط	5	0	4	1	0	0	10	1.67
-28	<u>البدیع المعنوي</u> (18فن)	19	4	20	9	70	0	122	20.33
-29	الاحتباك	0	0	0	0	2	0	2	0.33
-30	الإرصاد	3	0	1	3	7	0	14	2.33
-31	الاستدراك	2	0	0	0	1	0	3	0.50
-34	النزاهة	0	1	1	0	1	0	3	0.50
-35	إيهام التناسب	0	0	0	1	0	0	1	0.17
-36	براعة الاستهلال	5	1	9	2	18	0	35	5.83
-37	تجاهل العارف	0	0	0	0	1	0	1	0.17
-38	التفويف	1	0	0	0	4	0	5	0.83
-39	حسن النسق	1	0	0	0	3	0	4	0.67
-40	حسن التعليل	0	1	1	0	8	0	10	1.67
-41	الطباق	5	0	4	0	8	0	17	2.83
-42	الطي والنشر	0	0	0	1	3	0	4	0.67
-43	لزوم ما لا يلزم	0	0	0	0	4	0	4	0.67
-44	مراعاة النظرير	0	0	0	0	2	0	2	0.33
-45	المزاوجة	0	0	0	0	5	0	5	0.83
-46	المقابلة	1	1	3	2	4	0	11	1.83
-47	<u>الأساليب اللغوية</u> (8أساليب)	20	3	10	5	32	0	70	11.67
-48	أسلوب الاستثناء	0	1	0	0	2	0	3	0.50
-49	أسلوب التحذير	2	0	1	1	1	0	5	0.83

#	الكتب الستة العناوين	صحيح البخاري	صحيح مسلم	سنن ابن ماجه	سنن الترمذي	سنن أبي داود	سنن النسائي	المجموع	المتوسط
-50	التصغير اللغوي	0	1	0	0	3	0	4	0.67
-51	اسم الفعل	3	0	0	0	1	0	4	0.67
-52	أسلوب التعجب	1	0	0	0	0	0	1	0.17
-53	أسلوب الشرط	8	1	8	3	25	0	45	7.50
-54	العرض ولتحضيض	3	0	0	0	0	0	3	0.50
-55	اسم التفضيل	4	1	2	2	3	0	12	2.00
-56	<u>المشتقات التصريفية</u> (6 مشتقات)	5	0	4	1	4	0	14	2.33
-57	اسم الفاعل	2	0	0	0	0	0	2	0.33
-58	اسم المفعول	0	0	2	0	0	0	2	0.33
-59	اسم الهيئة	0	0	1	0	0	0	1	0.17
-60	ضمير الفصل	1	0	0	0	2	0	3	0.50
-61	الفعل المزيد	1	0	0	0	2	0	3	0.50
المجموع	56 فن وأسلوب	157	17	141	48	212	0	575	
النسبة %		27.30	2.96	24.52	8.35	36.87	0	100.00	
المتوسط		26.17	2.83	23.50	8.00	35.33	0.00		

بعد دراسة تأملية توصل الباحث إلى مجموعة من النقاط التالية:

- إن أحاديث الأدب المستخدمة والتي وصلت إلى 571 حديثاً أنّ الأكثر وروداً يتمركز حول سنن أبي داود، حيث بلغ عدد أحاديثه المروية 218 حديثاً بنسبة 47 %.
- وأن أقله وروداً يتمحور حول صحيح مسلم والتي بلغ عددها أحاديثه المروية 23 حديثاً وهذا بعد إخراج سنن النسائي من الدراسة؛ لعدم توفر باب الأدب فيها.

أبرز النتائج

- اتضح لدى الباحث أنّ علم المعاني من بين علوم وفروع الدراسة ذات الصلة و الأكثر انتشاراً ووروداً في هذه الأطروحة وفي باب الأدب إذ إنّ إجمالي عدد الأحاديث الأدبية النبوية وصلت إلى 244 حديثاً بمتوسط 6،40%. ثم يليه البديع المعنوي، ثم يليه البديع اللفظي، ثم يليه الأساليب اللغوية، ثم يليها علم البيان، ثم يليها المشتقات التصريفية التي وصلت إلى 14 حديثاً فقط.
- ولعلّ في ذلك ما يستوقف الباحث فيقول: إنّ علم المعاني من العلوم التي تركز على الأصول و على التراكيب الأساسية للجملة العربية، ومن ناحية أخرى؛ فإن هذا العلم علم من العلوم التي يلتقي فيها النحو والصرف واللغة مع البلاغة العربية في الأسلوب الخبري ليس إلا تركيباً خبرياً له دلالة بلاغية و له موقع من الإعراب النحوي، و له صيغة اشتقاقية، ويندرج تحت أسلوب من الأساليب اللغوية المتاحة في اللغة العربية، لذا كان علم المعاني هو الأبرز والأكثر توظيفا على لسان نبينا العدنان -عليه الصلاة والسلام.
- أما الحديث عن المشتقات التصريفية، فهي الأقل وروداً، وذلك يرجع إلى أنّ اللسان العربي يستسهل ويستسيغ الخبر والإنشاء ويتجنب الاشتقاقات التصريفية التي تحمل المبالغة والتكلف والتعقيد.
- وأنّ هذه المشتقات ليست أصلية أساسية؛ بل مشتقات ثانوية، والفرع ليس كالأصل، فاسم الهيئة قعدة وضجة ليست كعقد واضطجع.

وجاءت نتائج وإحصائيات الرسالة كالتالي:

أولاً: علم المعاني:

- إنّ الأكثر وروداً وذكرًا -كما يظهر للباحث- في علم المعاني هو الإيجاز يليه الخبر.
- وأنّ الأقل ذكرًا في هذا العلم هو النفي ثم الفصل، ثم الوصل.
- كما نجد أنّ الإيجاز وصل إلى 39 حديثاً .
- أما الخبر فعدد أحاديثه 40 حديثاً .

- أما الإيجاز فهو قمةً بلاغيةً يتحلى بها المصطفى العدنان -عليه الصلاة والسلام، ومن ناحية أخرى، فالسنة المتبعة لدى النبي -عليه الصلاة والسلام- هو الإيجاز غير المخل، وخير الكلام ما قلّ ودلّ.
- أما الخبر فإنه غلب في الحديث النبوي، أما الإنشاء فكان الغالب في القرآن الكريم، وهذا؛ لأنّ الحديث جاء موضحاً ومبرهنًا لما سُجّل في القرآن الكريم، ومن زاوية أخرى فإن الخبر النبوي يتمتع بشيء من الجمال البلاغي، والإفادة المجتمعية، فالمجتمع الإسلامي يحتاج إلى علوم وأخبار تحافظ على الإيمان والإسلام والرفعة، والرفع من معنوياتهم، والحفاظ على أخلاقياتهم وآدابهم الرفيعة.

ثانيا علم البيان:

- تبين للباحث أنّ أحاديث ابن ماجة في باب الأدب بعلم البيان كان الأكثر وروداً، حيث بلغ 19 حديثاً.
- واتضح أنّ الكناية هي الأكثر وروداً وظهوراً، في علم البيان حيث وصل عددها إلى 19 حديثاً.
- وأنّ المجاز العقلي هو الأقل وروداً في هذا العلم، والذي كان حديثاً واحداً فقط.
- وعند التركيز لمعرفة الدواعي والأسباب التي أنتجت هذه الإحصائية وهذه المعادلة فنجد التالي:
- إنّ الكناية هي الأكثر علاجاً ووقاية لأحاديث الأدب والأخلاق؛ لأن الكناية تجمع بين الحقيقة والخيال، فهي ليست حقيقة بحتة، ولا مجازية بحتة.
- لأن بعضاً من الكلمات تحتاج إلى غموض وتكنّي وخفاء احتراماً للسنّ، وحفاظاً على النفوس، واستخداماً لأجود الأساليب اللغوية، وحفاظاً على المشاعر البشرية.
- تستخدم الكناية كمدح وثناء يؤثّران إيجاباً على نفس المتلقي.
- هناك تحذير من النبي -عليه السلام- للمتلقين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ لذا كانت الكناية تحيط بهذه الأساليب التحذيرية؛ وبالتالي جمع بين التحذير والخلق الكريم.

- أما المجاز العقلي فقل ذكرها لأنه من الموضوعات التي تحتاج إلى تفكير عميق، وبحث كبير مما يؤدي إلى صعوبة في استقبال المعنى.
- والأحاديث النبوية بغنى عن هذه الفنون التي تحمل في طياتها إعمال في العقل، وبعد في التفكير، كما أنّ أحاديث الأدب لا تركز على البلاغة البعيدة بقدر ما تريد أن تنقل الصورة بسهولة ويسر للمتلقيين.

ثالثاً: علم البديع:

أ. البديع اللفظي:

- لعل أحاديث الأدب وردت بشكل أكبر في سنن أبي داود، حيث وصلت إلى 97 حديثاً
- أما عن الفنون البديعية اللفظية فكان أكثر الفنون وروداً هو السجع، ثم جناس الاشتقاق، وأقلها وروداً هو الجناس الناقص.
- أما الجناس الناقص قل ذكره ولا يضير أن يذكر أو يُعدم ذكر هذا النوع من الجناس؛ لأننا نحن في باب الأدب النبوي.

ب. البديع المعنوي:

- إنّ أحاديث الأدب كان أكثرها في البديع المعنوي ما كثر في سنن أبي داود حيث وصل عددها 134 حديثاً.
- أما أكثر الفنون في البديع المعنوي فهو الطباق و عدد أحاديثه 70 حديثاً، و براعة الاستهلال، وعدد أحاديثه 35 حديثاً، ثم المقابلة عدد أحاديثها 11 حديثاً.
- فالطباق جاء للتوضيح والبيان وهذه سمة موجودة في القرآن الكريم؛ لذا كثر ذكره،
- أما براعة الاستهلال؛ فلأنّ أحاديث الأدب والأخلاق تحتاج إلى حسن في التعبير، وعند اللقاء؛ لذا كثر ذكر هذا الفن.
- أما المقابلة فهي بمثابة الطباق؛ فهي توضح الأمور من خلال مقارنة بين صنفين أو مجموعتين متباينتين.
- أما أقلها ذكراً، فنجدها في إيهام التناسب، وتجاهل العارف.

- فإيهام التناسب فلأن هذا الدرس البلاغي راقٍ و رفيع المستوى لا يحيط به الا العالمون والمتخصصون، وأحاديث الأدب هنا لم توجه بوصلتها نحو هذه العلم المتخصص؛ لذا قلّ ذكره.
- أما تجاهل العارف فهو يوازي الإنشاء الاستفهام التقريري، وكانت وجهة النبي -عليه السلام- صوب الأخبار والإتيان بجديد، لذا قلّ ذكر هذا الفنّ.

رابعًا: الأساليب اللغوية-

- اتضح لدى الباحث أنّ أحاديث الأدب كثر ذكرها في سنن أبي داود.
- وأن أسلوب الشرط أكثر استعمالاً على لسان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذ إنّ عدد الأحاديث 45 بلغت حديثاً.
- ويليهِ اسم التفضيل وبلغ عدد أحاديثه 12 حديثاً.
- ويليهِ أسلوب التحذير وبلغ 5 أحاديث فقط.
- أما أقله ذكرًا فيتجه نحو أسلوب التعجب، واسم الفعل، والتصغير.
- وحين التأمل فإننا نجد أنّ أسلوب الشرط وصل إلى نسبة خيالية مقارنة مع نظائره لهذه الأساليب اللغوية، ولعل ذلك يعود إلى أنّ أسلوب الشرط والمكون من ثلاثة أجزاء وهي الأداة وجملة الشرط وجملة الجزاء أو جواب الشرط، وهذا يمنح بعض القيم والاتجاهات والدلالات فمنها الإثارة ومنها رفع الهمة، ومنها الحفاظ على المبادئ، ومنها تعليم وتهذيب الناشئة؛ لذا كثر ذكره.
- أما أسلوب التفضيل؛ فكان النبي -عليه السلام- يوظفه ليكون ثمة منافسة بين الصحابة في البرّ، وفعل الخيرات، وتطبيق الأخلاق، لذا كثر ذكره.
- أما أسلوب التحذير فلأن هناك أخطاء وسقطات وزلات تصيب أو قد تصيب الصحابة والمسلمين جميعاً لذا كان التحذير واجبا من -عليه الصلاة والسلام، ليحذرنّا من عدونا الأول وهو الشيطان الذي يهدم الأخلاق، ومن عدونا الثاني وهو النفس التي جُبلت على الراحة والاستراحة والتقصير، لذا كثر ذكره.

- أما من الأساليب التي قلّ ذكرها فالأول أسلوب التعجب ولعل ندرة هذا الأسلوب في أحاديثه -عليه السلام- لأنّ هذا الأسلوب الذي قد يؤثر على النفس البشرية فتفقد الثقة.
- أما عن التصغير اللُّغوي فقد قلّ ذكره لأن فيه شدة أسلوبية ولهجته مؤثرة، فقد تكون مؤثرا على النفس، وبعدت كل البعد عن الأخلاق والآداب الكريمة.
- أما اسم الفعل فقلّ ذكره؛ لأن الكلمة كما هو معلوم إما أن تكون اسم أو فعل أو حرف والاسم هو الأكثر وجودا من مفردات العربية، ثم الفعل، ثم الحرف، بينما اسم الفعل هو من الثواني والقليلة التي ذكرت واصطحبت في السنة العوام والعرب، لذا كان اسم الفعل قليل في اللسان العربي ومن باب أولى أن يوظف هذا الأمر في حديث الأدب النبويّ لذا قلّ ذكره.

التوصيات

يوصي الباحثُ باحثي العلوم الشرعية، وطلبة السُّنة النبوية، وتلاميذ البلاغة العربية ومحبي اللغة العربية ما يلي:

- اعتماد الأحاديث النبوية الصحيحة، وذلك حسب ما اعتمده إمامنا الألباني.
- تلَقُّف أحاديث الأدب التي شملت كل ما يلزم المسلم والبيئة الإسلامية والبيت المسلم ومدارسها.
- محاولة البحث والتنقيب بجِدِّية في أحاديث الأدب النبوي، فقد ترى تفسيريْن أو يزيد، وقد ترى زاويتيْن للبلاغة والبيان أو يزيد، فلتقرأ الحديث قراءتين، ولتعد القراءة مرتين.
- محاولة الربط والإدماج بين التراكيب النحوية والدلائل البلاغية.
- استخراج القيم الدينية والاتجاهات الإسلامية من أحاديث الأدب.
- ضرورة تطبيق ما يُقرأ وما يُفرض من أوامر ونواه نبوية، لترى نور السعادة والارتياح.
- محاولة دراسة التراكيب الجمالية دراسة نحوية قبل الولوج إلى المعاني البلاغية للوصول إلى شروحات وتفسيرات منطقية وسليمة.
- محاولة دراسة الجملة الحديثية دراسة تشمل جوانب اللغة من أساليب لغوية واشتقاقات تصريفية وتراكيب نحوية وفنون بلاغية.
- اعتماد الدراسات البلاغية النبوية في المكتبات العربية.
- ترجمة الرسائل والأطاريح العلمية والأبحاث المحكمة الخاصة بالدراسات النبوية البلاغية إلى لغات أجنبية لنشرها ولتكون فرصة دعوية ونشر لتعاليم السنة النبوية وأحكام الآداب الإسلامية من خلالها.
- محاولة الانفتاح بين قسم البلاغة العربية وبين أقسام الحديث النبوية والعقيدة الإسلامية وتبادل الدراسات والأبحاث فيما بينهم.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- 1- *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ/ 1974م.
- 2- *الاحتباك في القرآن الكريم - دراسة بلاغية -* عدنان عبد السلام أسعد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الموصل، العراق، 1425هـ، 2004م.
- 3- *أدب الكاتب*، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، مؤسسة الرسالة، د.ط. 2005م
- 4- *ارتشاف الضرب من لسان العرب*، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418 هـ - 1998 م
- 5- *إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك*، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب المصرية، ط2، 1973م.
- 6- *الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن*، د. صباح دراز، د.م، د.ط، د.ت .
- 7- *الأسجاع في الحديث النبوي الشريف - صحيح البخاري*، احمد عباس داود،، إشراف، ميسر حميد سعيد العبيدي، جامعة الموصل العراق، صفر - 1426هـ، نيسان - 2005م.
- 8- *أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم (بلاغته ... وأغراضه)*، د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت - المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية، 7 ديسمبر 2011 م.
- 9- *الأسلوب الكنائسي في القرآن الكريم*، د. سندس عبد الكريم هادي، مجلة كلية الاداب ع(97)، 1-10، 2005م.
- 10- *أسلوب النفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة صحيح مسلم*، أسماء عبد الباقي محمد، مجلة كلية الآداب، ع (102)، د.م، د.ت.

- 11- أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب، د.ط. 1420 - 2000م.
- 12- الأصول في النحو، أبو بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ت316هـ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م.
- 13- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ.
- 14- الإعجاز البياني في ضوء النصوص القرآنية، (دكتوراه)، محبوب الله سيف الرحمن الجامعة القومية للغات الحديثة إسلام آباد، جون 2008م .
- 15- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي بن نايف الشحود، د.م، د.ط، د.ت
- 16- الألوان البديعية في السور المكية، (ماجستير) حمادة علوان، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2016م
- 17- الأنماط التحويلية لجملة النهي (تحويلية البنية الغائرة)، د. هاني صبري آل يونس، مجلة التربية العلم، مج15، (4)، 114-120، 2008م.
- 18- الإيجاز في العربية، (مدونة)، آمال الزين: تاريخ الاطلاع: 2020/02/14م، الرابط: www.mogat.com. 2017م.
- 19- الإيضاح في شرح المفصل، الشيخ أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي، تحقيق وتقديم د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1982م.
- 20- الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغ، عبد المتعال الصعيدي، د.م، د.ط، 2000م.
- 21- إيناس الناس بتفاحة أبي جعفر النحاس، (وهو شرح على متن «التفاحة في النحو»، أبي جعفر النحاس)، أبو البهاء، حازم أحمد حسني خنفر، د.ط، د.ت.
- 22- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 23- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ.

- 24- *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ - 1988 م.
- 25- *بدائع الفوائد*، ابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1416هـ، 1996م.
- 26- *البدیع فی ضوء أساليب القرآن*، عبدالفتاح لاشين، د.م، د.ط، 2010م.
- 27- *البرعومة في النحو - سِلْمِلَةُ مُتُونِ الْكُتُبِ وَمُخْتَصَرَاتِهَا*، حازم خنفر، د.م، د.ط، د.ت .
- 28- *البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن*، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى، عبد الغنى عوض الراجحي، جامعة الازهر، مصر، مكتبة جامعة الأزهر، 1986م.
- 29- *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ-2005م.
- 30- *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ-2005م.
- 31- *البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع*، عبد الرازق، د.م، د.ط، د.ت.
- 32- *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، د. ن، د.ط، د.ت.
- 33- *البلاغة والأسلوبية*، محمد عبد المطلب - الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، د.ت.
- 34- *البلاغية والتحليل الأدبي*، د. أحمد أبو حاقه، دار العلم للملايين، ط2، 1993م.
- 35- *بنية اللغة الشعرية : جان كوهن - ترجمة : محمد عبد الولي، ومحمد العمري* - ط1 - دار توبقال - للنشر - الدار البيضاء - المغرب - 1986 م .
- 36- *البيان في ضوء أساليب القرآن*، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة، 1420هـ - 2000م.
- 37- *تاج العروس من جواهر القاموس*، الامام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، الناشر دار ليبيا . بنغازي، 1966 م .
- 38- *التبيان في البيان*، شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي، تحقيق : توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، ط1، الكويت - 1986 م .

39-التَّحْبِيرُ لِإِبْرَاهِيمَ مَعَانِي التَّيْسِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، تحقيق محمّد صُبْحِي بن حَسَن حَلَّاق أبو مصعب، مَكْتَبَةُ الرُّشْد، الرياض - المملكة العَرَبِيَّةُ السَّعُودِيَّة، ط1 1433 هـ - 2012 م.

40-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدوانى، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ت).

41-التدريبات اللغوية، د . إبراهيم عبد الله رفيده، وأ.علي الطاهر الفاسي، أ.علي محمد المعل ط1، دار الملتقى للنشر، 1991م.

42-التعريف بأصحاب الكتب الستة، (البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه)، محمد بن علي بن جميل المطري، كوالالمبور - ماليزيا، نسخة رقمية عبر الإنترنت، 2018م.

43-التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.

44-التفاحة في النحو، أبو جعفر النحاس، ابو البهاء، حازم أحمد حسني خنفر، د.م، د.ط، د.ت.

45-تفسير القرآن الكريم، محمد المنتصر الحسني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، نسخة رقمية، (د.ت).

46-التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بالخطيب القزويني، شرحه : عبد الرحمن البرقوقي، ط2، لبنان - (د.ت) .

47-التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1 1429 هـ - 2008 م.

48-جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت 310هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط2، 1954 م .

- 49- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه
= صحيح البخاري، محمد إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير ناصر
الناصر، ط1، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- 50- جمالية الخبر والانشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، جمعة، حسين، اتحاد الكتاب
العرب، 2005، من جامعة ميتشيغان، 2008م.
- 51- الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيباً ودلالة، حفيفة أرسلان شابسوغ، عالم الكتب
الحديث، اريد، ط1، 1425هـ - 2004م.
- 52- جمهرة الامثال، الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري، ت 395هـ، تحقيق عبد المجيد
قطامش ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م .
- 53- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع : أحمد الهاشمي، ط12، مصر - 1960م .
- 54- الجواهر والدرر في مناسبة الآيات والصور، برهان الدين البقاعي، (رسالة دكتوراه غير
منشورة)، جامعة دمشق، 1422هـ/2002م.
- 55- حاشية الشهاب 73/5.(مدونة)، تم الاسترجاع من <http://almerja.net/reading.php?idm=11178> التاريخ: 18 شباط 2015 م.
- 56- حاشية الصبان على شرح الأشموني، دن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة
التوفيقية، د.م، د.ط، د.ت.
- 57- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي د.م، د.ط، د.ت.
- 58- خصائص التراكيب خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو
موسى الناشر: مكتبة وهبة ط7، 2010 م.
- 59- خصائص التعبير في القرآن، د. عبد العظيم المطعني، د.م، د.ط، د.ت.
- 60- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،
القاهرة، (د.ط)، 1957م.
- 61- الخلاصة في علوم البلاغة، علي بن نايف الشحود، د.م، د.ط، د.ت .
- 62- دفاع عن البلاغة العربية، أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، د.ط، د.ت.

- 63- دلائل التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، دار التضامن للطباعة، مصر، ط2، 1408هـ.
- 64- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قدمه وشرحه د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 2003م.
- 65- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد الشافعي، ط4، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ.
- 66- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد صقر، دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية)، ط1 1417 هـ - 1996 م.
- 67- رياض الصالحين، يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص549، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2 سنة الطبع: 1404هـ.
- 68- سنن ابن ماجه، ابن ماجة-وماجة اسم أبيه يزيد- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
- 69- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط1، (د.م): دار الرسالة العالمية، 1430هـ.
- 70- الشجرية، ضياء الدين ابو السعادات بن الشجري (ت542هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- 71- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، 1420 - 2000.
- 72- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، القاهرة: دار التراث- (1980)، د.ط، د.ت.
- 73- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني 334/2.
- 74- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.

75- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ.

76- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط1، 1417 هـ - 1997م.

77- شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، د.م، د.ط، د.ت.

78- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصل، المعروف بابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ - 2001 م، 213/5.

79- شرح حصن المسلم من أنكار الكتاب والسنة، أبو مسلم مجدي بن عبد الوهاب الأحمد، تحقيق مؤلف حصن المسلم، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، 2003م.

80- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الشننمري، ط1، المطبعة الحميدية المصرية، 1323هـ.

81- شرح ديوان عنتر ابن شداد، قدم له وعلق على حواشيه، سيف الدين الكاتب أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط(1) (د.ت) : 194 .

82- شرح سنن ابن ماجه المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى»، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهزري الكري البويطي، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة، ط1، 1439 هـ - 2018 م.

83- شرح سنن أبي داود، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: 844 هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط1، 1437 هـ - 2016 م.

84- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة

- الأزهر، والأستاذ المساعد في كلية التربية بالمدينة المنورة جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة وهبة - القاهرة، ط2، 1414 هـ - 1993 م.
- 85- *الصاحبي في فقه اللغة*، ابو الحسين احمد بن زكريا احمد بن فارس، ت 395هـ، تحقيق د. احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1977م .
- 86- *الصاحح*، الجوهري : 4/1578 أو 1/231، دن، د. م : 10/407، مادة حبك .
- 87- *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- 88- *الصناعتين ابو هلال العسكري*، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1986 .
- 89- *الطرار المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز* : العلوي يحيى بن حمزة (749هـ) - المقتطف - القاهرة - 1332هـ = 1914م، د.ط.
- 90- *عروس الأفراح - شروح التلخيص*، بهاء الدين السبكي أحمد بن علي بن عبد الكافي (773هـ) - ط2 - مط السعادة - مصر، 2005م.
- 91- *العلاقات النحوية من المنطلقات البلاغية في السور المكية*، دراسة تاريخية تحليلية، دن، دم، د.ط، د.ت.
- 92- *علم أساليب البيان*، غازي يموت، دار الفكر اللبناني، ط2، 2002م.
- 93- *علم البديع*، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، 2014م.
- 94- *عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته المؤلف*، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) الناشر :دار الكتب العلمية - بيروت ،ط2، 1415 هـ.
- 95- *العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.

- 96- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: سليمان إبراهيم العايد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1405 هـ.
- 97- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، 390/2، دار الكتب العلمية ط1، 1408 هـ - 1987 م.
- 98- الفتح المبين بشرح الأربعين للإمام النووي وعليه حاشية حسن بن علي المدابغي، ابن حجر الهيتمي ص509، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1971 م.
- 99- فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»، عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1 1402 هـ - 1982 م.
- 100- فوائد من خطبة الوداع، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، د.م، د.ط، د.ت.
- 101- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، ط1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356 هـ.
- 102- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
- 103- القزويني وشروح التلخيص، د. أحمد مطلوب، د.م، د.ط، د.ت.
- 104- القواعد التطبيقية في اللغة العربية، د. نديم حسين د. عكور، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط2، 1998 م.
- 105- قواعد اللغة العربية، حسين صالح، تم الاسترجاع من www.almaany.com "ما الفرق بين التمني والرجاء، اطلع عليه بتاريخ 23-6-2018.
- 106- الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسكندراني، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010 م.
- 107- كتاب الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع، ط1، بيروت، 1983 م.
- 108- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة - 1952 م.

- 109- الكتاب، سيبويه 60/3، تحقيق د. عبد السلام هارون، د.م، د.ط، د.ت.
- 110- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1998م.
- 111-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت 538هـ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، 1968م.
- 112-الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى 893 هـ، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط11429 هـ - 2008 م.
- 113-الكوكب الوهاج والروض النبهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري الشافعي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط11430 هـ - 2009 م.
- 114-لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، الكويت، دار النوادر الكويتية، د.ط، 2010م.
- 115-اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان،، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1421 هـ - 2001م.
- 116-اللف والنشر في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، مج13، ع1، 1415 هـ -1995م.
- 117-لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي «المولود بداهلي في الهند سنة (958 هـ) والمتوفى بها سنة (1052 هـ) رحمه الله تعالى»، تحقيق الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط11435 هـ - 2014 م.
- 118-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير. تحقيق: بدوي طبانة، ط2، بيروت، 2001م.

- 119- مختصر السعد شرح تلخيص التلخيص، (في المعاني والبيان والبديع)، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، د.م، ط1، 1332هـ.
- 120- مختصر السعد، شرح تلخيص التلخيص، (في المعاني والبيان والبديع) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ط1، 1332هـ.
- 121- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1411هـ.
- 122- مداخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني - علم البيان - علم البديع، أ.د يوسف أبو العدوس استاذ البلاغة والنقد قسم اللغة بتصرف، العربية، جامعة اليرموك، 2010م.
- 123- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي (سلطان) محمد نور الدين الملا الهروي القاري، ط1، بيروت، دار الفكر، 1422هـ - 2002م.
- 124- المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، د.م، د.ت .
- 125- معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، د.م، د.ط. 1995م.
- 126- معترك الاقران في اعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، (911هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، 1970م.
- 127- معجم الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، 1412هـ.
- 128- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط2، 1406هـ، 1986م.
- 129- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرف عليه وراجعته د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م.
- 130- المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود الكوفي الشيرازي تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، 186/5. دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط1، 1433 هـ - 2012 م.

- 131-مفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ضبط وتعليق وتهميش: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
- 132-المفردات، الراغب الاصفهاني في غريب القرآن ضمن كتاب النهاية في غريب الحديث والاثار لابن الاثير المطبعة الخيرية بمصر، 1318هـ.
- 133-المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ)، تحقيق محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، ط1، 1417 هـ - 1996 م
- 134-المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، (ط. الأوقاف المصرية)، 1415 - 1994.
- 135-المقرب، ابن عصفور، (ت 669 هـ) تحقيق : احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، بغداد، 1971-1972م.
- 136-مقصودات صرفية نحوية، ثامر ابراهيم المصاروة، د.م، د.ط، د.ت .
- 137-من بلاغة القرآن (المعاني - البيان - البديع)، أ.د. محمد علوان، أ.د. نعمان علوان، ط3، غزة، 2016م.
- 138-المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط3، 1428هـ - 2007م.
- 139-النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي،، دار الرائد العربي،- بيروت، ط2، 1406هـ/ 1986م.
- 140-نزهة المتقين، مصطفى الخن وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1 : 1397 هـ ط 14 1407 هـ
- 141-نماذج من الربط بضمير الفصل في القرآن الكريم، د. هاشم محمد مصطفى، جامعة صلاح الدين، د.ط، أربيل، 2007م.

142-نهاية الإرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين، تحقيق: مفيد قميحة - حسن نور الدين - يحيى الشامي - علي بو ملحم - محمد رضا مروة - يوسف طويل - علي محمد هاشم - عبد المجيد ترحيني - عماد علي حمزة - نجيب مصطفى فوز - حكمت كشلي - إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، د.ط، 1424 - 2004م .

143-النهاية في غريب الحديث، ابو السعادات المبارك محمد الجزري المعروف ب(ابن الاثير)(ت606هـ)، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار احياء التراث العربي . بيروت .

144-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية - مصر، انظر دفاع عن البلاغة العربية أحمد حسن الزيات نشر عالم الكتب، د.ط .

145-الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.

الفهارس العامة

أولاً - فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
البقرة		
89	2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
202	16	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا ...﴾
54	171	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ ...﴾
آل عمران		
43	21	﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
250	28	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾
الأنعام		
202	103	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
الأعراف		
191	157	﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.
الأنفال		
222	43	﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ ...﴾
166	68	﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
التوبة		
191	82	﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾
270	122	﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
يونس		
114	2	﴿أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾
هود		
197	44	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ...﴾
يوسف		
245	40	﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ ...﴾
النحل		
185	118	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
الأنبياء		
184	23	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
الحج		
245	17	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ ...﴾
النور		
270	22	﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
133	39	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا ...﴾
195	50- 48	﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * ...﴾
النمل		
خ	19	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
القصص		
198	77	﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾
العنكبوت		
184	40	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
الأحزاب		
ج	45	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
الذاريات		
63	4	﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾
القمر		
222	2-1	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ ...﴾
الرحمن		
202	6-5	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ * وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾
97	73	﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
الواقعة		
211	89	﴿فَرُوحٌ وَرِجَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾
الحشر		
248	10	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ ...﴾
نوح		

الصفحة	رقمها	طرف الآية
218	14-13	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾
الإنسان		
277	13	﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾
المرسلات		
222	2-1	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ غَضًا﴾
الغاشية		
220	14-13	﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
58	أَبَا هِرِّ الْحَقِّ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَى
36	أَتَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا
188	أَتَيْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَعِيلَ هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحَيْتَيْهِ حَمْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا قَدْ نُهَيْتُمَا عَنِ التَّجَسُّسِ؛ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ»
23	أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
18	أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ.
90	أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشَجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ
196	أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
267	إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ
27	إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ. وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ. وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ. فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ
158	إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابُ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ؛ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
186	إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ
269	إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ»
30	إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ
48	إِذَا اسْتَلْقَى أَحَدُكُمْ عَلَى ظَهْرِهِ فَلَا يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى
215	إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ

الصفحة	طرف الحديث
79	إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ
79	إِذَا تَتَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ
109	إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ
278	إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ.
118	إِذَا سَلِمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ
262	إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا «
214	إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي. لِإِلَهِهِ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ
259	إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ
204	إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ
48	إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، وَلَا تَقْعُوا فِيهِ
81	إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سَوْقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نَصَالِهَا بِكَفِّهِ أَنْ تَصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِشَيْءٍ. أَوْ فَلْيَقْبِضْ عَلَى نَصَالِهَا
175	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ
67	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ * أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ * وَكَادَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يَسْلَمَ
28	اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ
178	أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
27	اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهَا، إِلَّا الْجَانَّ الْأَبْيَضَ
116	أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَذَاةِ الرَّجُلِ، فَإِنَّ لِلَّهِ
178	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ

الصفحة	طرف الحديث
174	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ
277	أَلَا أدلكم على أفضل الصدقة ؟
148	أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ
84	أَلَا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليكم وأرفعها
93	أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ
195	أَمَعَهُ شَيْءٌ
215	إِنَّ أَبَرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْمَرْءِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ
148	إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حَيَّالٌ وَجْهَهُ، فَلَا يَتَنَحَّمَنَّ حَيَّالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ
211	إِنْ أُخِرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ
21	إِنْ أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها
82	إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ
89	إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا
167	إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ
218	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُثُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَوَادَّ النَّبَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ
191	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ.
17	إِنْ الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه
17	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ: يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ
80	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّيْنِ، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ
268	إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُقِلِّ التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ

الصفحة	طرف الحديث
108	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْغُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ
209	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَذُرُّكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ
173	إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ
99	إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا
15	إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ
17	إِنْ لِي أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو
196	إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ
215	إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»
23	إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ
88	إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلصَّنِيفِ فَأَقْبِلُوا
101	إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ
171	أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا
226	إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
119	إِنَّا قَدْ نَهَيْنَا عَنِ التَّجَسُّسِ؛ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ
246	أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ
103	إِنَّمَا هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ. فَإِذَا نَمْتَمَ فَأُطْفِئُوهَا عَنْكُمْ
105	إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ
249	إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»
78	إِنِّي أَنْذِرُكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ
247	إِنِّي لِأَسْتَغْفِرَ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ

الصفحة	طرف الحديث
29	اهْجُهِمْ - أَوْ قَالَ هَاجِهِمْ - وَجَبْرِيلُ مَعَكَ
29	أُولِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ
274	أَيُّ بُنَىٍّ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ
59	أَيُّ سَعْدٍ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ «.
143	إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ
27	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا
199	إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ
21	أُحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ
117	أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعْتَ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا
75	بَجْرَهْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ انْكَشَفَ فَخَذَهُ فَقَالَ إِنْ الْفَخْذَ عَوْرَةٌ
231	الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ
42	بِمَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْفَحْلِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يُعَانِقُهَا
41	بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ
179	بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا: حَدِيثُهُ
92	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْتًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يُلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ
176	تَسْمُوا بِاسْمِي وَلَا تَكُونُوا بِكُنْيَتِي
75	تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ، وَخَمِيسٍ فَيُغْفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ
24	جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً، جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ ...
149	حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ

الصفحة	طرف الحديث
179	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَأَوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَّ
121	الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ
62	خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ، فَتَلَّحَى فُ؛ لِأَنَّ وَفُ؛ لِأَنَّ وَإِنَّهَا رُفِعَتْ،
21	خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا
106	دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ
156	ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ
185	رَأَى رَجُلًا يَتَّبِعُ حَمَامَةً فَقَالَ: شَيْطَانٌ يَتَّبِعُ شَيْطَانَةً
91	رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، وَأُتِينَا بِرُطْبٍ مِنْ رُطْبِ ابْنِ طَابٍ فَأَوَّلْتُ أَنَّ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ
91	رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
161	رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم
19	الرَّجُلُ عَلَى دَيْنِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ
92	رَجِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أَوْدَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ
259	الرَّحِمُ شَجَنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ
266	الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ،
29	الرَّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
46	سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفَتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحَجَرِ
171	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا»
58	سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يُنْثِي عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ وَيَقُولُ كَثِيرُ الْحَدِيثِ
251	سَوَّكَ بِالْقَوَارِيرِ «
175	السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الصفحة	طرف الحديث
16	طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً
194	طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه حدثنا
121	عرضت على أمتي بأعمالها. حسننها وسيئها. فرأيت في محاسن أعمالها الأذى ينحى عَنْ الطريق. ورأيت في سيء أعمالها النخاعة في المسجد لا تدفن
44	عَرَفَهَا سَنَةً، ثُمَّ اعْرِفْ وَكَاءَهَا وَعِفَاصَهَا
78	الْعَاذِرُ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ
190	فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفْتَدُرُونَ أَيْ بَلَدٍ هَذَا
77	فَأَيْمًا بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ
159	فشمت أحدهما (أو سمت) ولم يشمت الآخر. فقيل يا رسول الله عطس عندك رجلان
72	فَصُمُّ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ «. قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ فَأَطْعِمِ سِتِّينَ مِسْكِينًا
81	فقالوا السام عليك يا أبا القاسم. فقال (وعليكم)
207	فَلَا تَقْعَلْ، فُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحْدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا
191	فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
146	فِي صَلَاةٍ وَقُمْنًا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا
242	فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ مَائَةٍ وَسِتُّونَ، مَفْصِلًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْهُ بِصَدَقَةٍ
45	قَالَ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَذَكِيَّةٌ
184	قَالَ الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ وَإِنْ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَهُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ
165	قال الشؤم في ثلاثة في المرأة والمسكن والدابة
71	قال الله عَنْ وَجَلِ قَسَمَتِ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ
150	قَالَ إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِي فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يَفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يَفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرَمُوهُمْ

الصفحة	طرف الحديث
80	قال كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية
50	قال لا يؤم الرجل في سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه
120	قال ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء
120	قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام
120	قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
265	قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
56	قَحَطَ الْمَطَرُ فَأَسْتَسْقِي رَبِّكَ، فَتَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ
107	قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة
72	قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن
74	قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ
35	قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ إِلَى خَيْرِكُمْ
70	كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
18	كان على الطريق غصن شجرة يؤذى الناس
42	كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقَرَةَ
253	كبري الله مائة مرة. واحمدي الله مائة مرة. وسبحي الله مائة مرة
20	كَفَى بِالْمَرْءِ إِنْمَاءً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ
24	كُلُّ أُمَّتِي مُعَاْفَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمَجَانَةِ أَنْ يَفْعَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتُ
16	كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها
103	كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ
267	لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكَ عَلَيْهِ،؛ وَلَكِنْ أَنْتَ فُلَانًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْمِلَكَ»

الصفحة	طرف الحديث
48	لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا،
51	لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ
51	لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ
47	لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»
128	لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاطَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ النَّبْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي
116	لَا تَقُولُوا لِلْمَنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»
49	لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ،؛ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ
78	لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِالنَّارِ
52	لَا تَلْعَنُهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ
101	لَا تُنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ
123	لا تنزلوا على جواد الطريق ولا تقضوا عليها الحاجات
143	لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله وحتى أن يقذف ...
110	لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه
276	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاطُ وَلَا الْجَعْظَرِيُّ»
122	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ
15	لا يزال لسانك راطبا من ذكر الله عز وجل
113	لا يقص على الناس إلا أمير ومأمور أو مرء
51	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبْنْتُ نَفْسِي، وَلَيْقُلْ لَقِسْتُ نَفْسِي
164	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي
260	لَا يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةِ
230	لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ

الصفحة	طرف الحديث
48	لَا يَنْتَجِي اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْزِنُهُ
146	لَأَنْ يَمْتَلَى جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلَى شِعْرًا
247	لَقَدْ حَجَّرْتُ وَاسِعًا
168	لَقَدْ رَأَيْتُ، أَوْ أَمَرْتُ، أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ، فَإِنَّ الْجَوَّازَ هُوَ خَيْرٌ
172	لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ خِصَالٌ يَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ وَيَجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ وَيَشْتَمُهُ
268	لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»
190	اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ
55	اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة
39	اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا «. فَوَلَدْتُ غُلَامًا فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
160	اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ
99	اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ
53	اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
56	اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
55	اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ، عِبَادَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ
105	لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ
219	لو يعلم أحدكم ما في الوحدة ما سار أحد بليل وحده
166	لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
255	لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ

الصفحة	طرف الحديث
72	لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ فُرِغَ مِنْ مَقْعَدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
76	ليلة الضيف واجبة. فإن أصبح بفنائيه فهو دين عليه
147	مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا
97	ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ
42	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَرَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ
46	مَا تَعْدُونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ
102	مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا
79	مَا سَأَلْنَاهُمْ مِنْهُ حَارِبًا هُنَّ وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً، فَلَيْسَ مِنَّا»
41	مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ
177	مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ -تعالى- لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ
164	ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء
229	مَا مِنْ قَوْمٍ يَتُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ،
17	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا
87	ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
119	ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وتغشتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده
17	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا
16	الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرؤه يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران اثنان

الصفحة	طرف الحديث
130	مثل القرآن مثل الإبل المعقلة. إن تعاهدها صاحبها بعقلها أمسكها عليه. وإن أطلق عقلها ذهبت
16	الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً مَجَالِسَ
219	مر به وهو يغرس غرسا: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس ؟)
22	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
73	مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى
81	المستشار مؤتمن
177	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ
162	مَنْ أُبْلِيَ بِلَاءٍ فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ
221	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ
267	مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ
255	مَنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ «
261	مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا عَيْنَهُ «
77	مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُتْشِ بِهِ، فَمَنْ أَتَتْهُ بِهِ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ
185	من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد
230	مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ
266	مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الدِّمَةُ»
128	مَنْ حَلَفَ بِمَلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَاذِبٌ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهٍ فِي
109	مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى.
264	مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ

الصفحة	طرف الحديث
117	من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار
106	من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة ...
224	مَنْ قَتَلَ وَرَعَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ، كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً
268	مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَدًّا»
79	مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ
204	مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةً
258	من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن
263	مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»
94	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
258	مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ
224	مَنْ لَاءَ مَكُومٍ مِنْ مَمْلُوكِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُ مِمَّا تَلْبَسُونَ
276	مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»
232	من لم يدع الله سبحانه غضب عنه
235	مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى
241	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ .»
135	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
164	الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ
174	ناس من اليهود. فقالوا السام عليك يا أبا القاسم. فقال (وعليكم)
109	هَكَذَا - عَنْكَ - أَوْ هَكَذَا، فَإِنَّمَا الْإِسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ

الصفحة	طرف الحديث
112	هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا
27	الوالد أوسط أبواب الجنة فأضع ذلك الباب أو احفظه
36	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا
173	وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ
180	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
234	وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ
18	وَلَا تُسَمِّينَ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَحِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَنْتُمْ هُوَ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ لَا
43	وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ
120	ويحك قطعت عنق صاحبك) مرارا. ثُمَّ قَالَ (إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ فَلْيَقِلْ أَحْسَبُهُ وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا
77	وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةَ، رُؤْيَاكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ
44	وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ
211	وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا
86	وَيْلَكُمْ - أَوْ وَيْحَكُمْ قَالَ شُعْبَةُ شَكَ هُوَ
40	يا أبا عمير مافعل النغير
28	يَا أُمَّ فُلَانٍ اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاجِي السِّكِّ شِئْتَ حَتَّى أَجْلِسَ
274	يَا أُتَيْسُ اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ»
61	يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا
102	يا جنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار
74	يا رسول الله ماحق الوالدين على ولدهما ؟: قَالَ (هما جنتك ونارك
155	يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ

الصفحة	طرف الحديث
61	يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ
95	يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِي أَمْرِ اسْتَنْفَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ
32	يَا عَائِشَةُ، أَرْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ
59	يَا عَلِي لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ
50	يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَخْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ
59	يَا جَنِيْدُ إِنَّمَا هَذِهِ ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ
15	يَا حَازِمُ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
55	يَأْخُذْنِي فَنُقَعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقَعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ
38	يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنُ قَيْسٍ أَلَا أَدْلِكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ
161	يَنْقَارِبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرَجُ
235	يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ
162	يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ-جَلَّ جَلَالُهُ- مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ
123	يَقُولُ لَا تَدْخُلِ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا تَمَاثِيلُ
19	يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ بِسُبِّ الدَّهْرِ، وَأَنَا الدَّهْرُ

فهرس معاني الكلمات الجديدة في الأحاديث

طوبى	تعني غبطة وسعادة والمقصود في الحديث شجرة في الجنة.
خلفات	جمع خَلْفَة، وهي الحامل من النوق.
تحسسوا	التحسس شبه التسمع والتبصر، والتجسس بالجيم: البحث عن العورة.
ذنوبا	الذنوب (بفتح الذال) وهو الدلو العظيم.
فرسن شاة	الفرسن بكسر الفاء والمهملة هو عظم قليل اللحم وهو للبعير.
لقست	خبثت
النفير	طائر البلب وهو من فصيلة الشرشوريات وحجمه صغير.
بوايقه	أو بوائقه والبوائق هي الداهية والشيء المهلهل.
الدباء	هو القرع اليابس
والحنتم	هو جرار خضر
والمزفت	هو الغناء المطلي بالزفت
والنقير	هو الجذع.
سدرة	هي شجرة تتخذ للظل
نقاعة الحناء	النقاعة بضم النون وهي الماء الذي ينقع فيه الحناء والحناء ممدود
هدأة الرّجل	أي عندما يظهر السكون والهدوء في الطريق.
يمرقون من الدين كمروق السهم	يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى، لم يتعلق بشيء منه.
الرمية	الصيد المرمي.
قذذه	ریش السهم.
نصله	حديد السهم
رصافه	مدخل النصل من السهم.
نصله	حديد السهم.
نضية	هو قدح السهم أي عوده